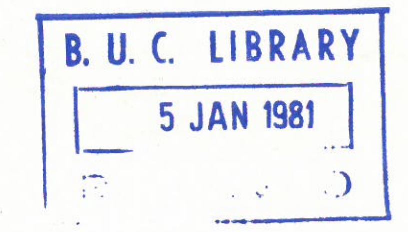
علي الزين

فصول من تاريخ الشيعة في لبنان

الكلمة
دار الكلمة للنشر

الشيخ علي الزين

فصول من تاريخ الشيعة في لبنان



الكلمة
دار الكلمة للنشر
١٩٧٩

صمم الغلاف : سعد عبد الوهاب

دار الكلمة (ش.م.م)
شارع ليون - بناية سلام - الحمراء
بيروت - لبنان
تلفون ٣٥٤٩٠٢
ص.ب ١٣/٥٢٨٨

الطبعة الأولى ١٩٧٩

الاهـــداء

الى الشقيقة الطاهرة البتول التي ضحت باعز ما تتمناه الفتاة من الحياة ـ كزوجة وام ، وسيدة بيت واسرة ـ صونا لراحة والديها وحرصا على كرامتهما وسعادتهما من ان تمس في آخـــر ايامهما كعاجزين مفتقرين الى كثير من العطف والرفق والدقة في ملاحظة اوضاعهما الصحية والنفسية والبيئية :

الى تلك الاخت الحنون التي تجاوبت معي ـ ذوقا وفكرا وعاطفة ـ فكانت لي بذلك مكـــان الام والاب ، والاهل ، والاصدقاء جميعا،فـي محض الوفاء وحسن المعاملة وتقدير الظروف الصحية والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كيفت حياتنـــا وحـددت امكانياتنا وفرضت علينا ما قد فرضته من واجبات ومسؤوليات ٠

الى شقيقتي « سكينة » اهـــدي كتابي هذا مع الشعور بالعجز عن تقدير قيمها الذاتية والانسانية وعن مدى فضلها العميم علي وعلى حياتي ٠

علي الزين

مقدمة

بقلم: أحمد بيضون

على الزين...

مؤرخ الطائفة المعارض

مؤرخ الدولة الغريب

وانا اباشر كتابة هذا التقديم يداخلني حرج لم اكن فطنت اليه (او لم يكن فطن الي) حين تقبلت المهمة قبل بضعة اسابيع · وذلك ان مهمة التقديم تضعني بغتة في مواجهة مع المؤلف ، فتدخلني قبله في النص · وهي مواجهة يصعب علي اعلانها ـ لان « الانا » كريهة ، ويزيدها قبحا ان تصر على ولوج نص مكرس لشخص آخر ـ ويصعب علي كتمانها ، لانها ـ على ما احسب ـ صلب الموضوع · فاختار اعلانها ·

والسؤال هو التالي : من انا حتى يطلب الي ـ واقبل ـ ان اقدم علي الزين ؟ اعمد الى مقارنة جد مبتسرة ، الا انها تكفي لكشف ما في الامر من غرابة · علي الزين في اواخر سبعيناته ، وانا في اواسط ثلاثيناتي · علي الزين عاملي امضى عمره في الجنوب ـ باستثناء اعوام الدراسة في النجف ـ ويعرفه شيب الجنوب وشبانه · وانا جنوبي ايضا ، امضيت هناك طفولتي وصباي ، وامضيت معظم سنوات النضج خارج جبل عامل ، ومن اعرفهم ويعرفونني قلة هناك · علي الزين يكتب وينشر منذ نصف قرن تقريبا ويوقع اسمه على ما ينشر · وانا اكتب ايضا وانشر منذ سنوات ادنى عددا بكثير ـ طبعا ! ـ وكنت لثلاث سنوات خلت او اربع ، ولاسباب لا اهمية لذكرها ، اوقع على ما اكتبه ـ وهو قليل في اي حال ـ بأسماء مستعارة او اخرجه بلا توقيع على الاطلاق · فبأية صفة اذن يتولى شخص ضئيل الزاد من السنين والصلات والآثار تقديم شخص تهدم جسده الضئيل تحت ثقل السنين واعباء الصحبة والخصام وكادت عيناه تنطفئان وهو مكب على اواخر آثاره ؟

خلف هذا الشعور بغرابة المهمة ، تلوح لي الصفة التي افترضها لي من عهد الي بكتابة هذا التقديم ، واعود ، بدوري ، فأفترضها لنفسي · انا مثقف « حديث » كونته اولا ، ورسمت ، ولو الى حد ، وجهة تحصيله اللاحق ، مناهج للتعليم اقرتها « دولة » وعلي الزين ـ رغم جريه ورعيله وراء هذه « الحداثة » ـ شيخ شيعي كونته ثقافة رسم معالمها السلف من ارباب المذهب وشيخ عاملي وصل بلا عائق عبر بيته من تعليم النجف الى بيئة العلماء والشعراء في جبل

عامل ، ايا كان نصيب النقد في موقفه من تعليم النجف ومن علماء جبل عامل .
اي ان صفة « مثقف الدولة » هي المفترضة لي – ولا فخر ! – وصفة « مثقف الطائفة » هي المفترضة لعلي الزين – ولا تثريب ! – . واسارع ، بعد استبعاد الفخر والتثريب ، الى اثبات التحفظ على ما سبق : فلا الدولة دولة ، ولا الطائفة طـائفة ..

علي الزين ايضا – في امتداد هذا التعريف الاول – مثقف « عاملي » . وانا مثقف « لبناني » . فيكون علي اذن ان اقدمه الى قرائه « اللبنانيين » ، والى قرائه العامليين بصفتهم لبنانيين ايضا ، وليس بصفتهم عامليين ، اذ انهم ، بهذه الصفة الاخيرة ، يعرفونه حق المعرفة .

★ ★ ★

تتعين هذه الهوية لعلي الزين بصنف الكتابة التاريخية الذي يمارسه اولا. في السنوات الست الاخيرة نشر مؤلف هذا الكتاب كتابين آخرين (١) ، استعاد فيهما ، بالنص احيانا ، كتابات له سابقة ، بحيث حصر وأتم ، فيهما وفي الكتاب الذي بين يدي ، جملة اسهامه في التاريخ لجبل عامل . وفي مستهل الثاني من هذين الكتابين ، يعتذر المؤلف بوهن جسده وضعف بصره – الذي اعجزه عـن القراءة – لابقائه كتابه ذاك نصوصا قريبة من خامتها في المصادر ، بحيث بدا الكتاب ثمرة جهد ضخم في البحث والجمع والتحقيق وثمرة جهد في التأليف ، ضئيل ضالة ما تبقى لصاحبه من قوى . ولا ريب ان على القراء ان يمدوا هذا الاعتذار المؤثر ليشمل الكتاب الذي بين ايديهم الان ايضا . ففي هذا الاخير يظهر ايضا ، في الشواهد المتطاولة بخاصة ، لزوم المؤلف جانب القرب من مصادره . وهي احيانا – حين يصل البحث الى حدث قريب العهد منا نسبيا – مصادر شفوية تولى المؤلف استنطاقها وتنسيق رواياتها والمقارنة بينها ونقدها بنفسه (٢) . يبقى الفاصل واضحا اذن – على العكس مما نرى في صنوف اخرى من الكتابة التاريخية – بين نص المصادر وبين نص المؤلف . هذا الفصل لا يفسر تردي صحة الشيخ الا « درجته » ، ولا يفسره من حيث هو واقعة مطلقة . ففـي الكتاب الاول « للبحث عن تاريخنا في لبنان » تتبدى السمة نفسها ، وان عـلى حدة اقل ، وان على تفاوت ايضا بين الاقسام الاولى مـــن الكتـاب والاقسام الاخيرة ..

....

١ – « للبحث عن تاريخنا في لبنان » – بيروت ١٩٧٣ . و « العادات والتقاليد في العهود الاقطاعية » – بيروت – القاهرة ١٩٧٧ .

٢ – في « العادات والتقاليد » يجمع المؤلف حصيلـة كبيرة بوسائل فقيرة . لا استمارات هنا ولا الة تسجيل .. بل رضا التامر يعرض على علي الزين معرفته بتقاليد الفروسية وضيافته .. ونفقة الطريق من جبشيت الى التامرية .
في : « العادات والتقاليد ... » مم. ص ١٠٨

ولعله لا يكون خطأ ان تنسب هذه السمة الى ضرب مـــن جمع الروايات ونقدها ورثه المؤلف عن كبريات المجاميع التاريخية العربية وورثته هذه الاخيرة عن مدوني السنن النبوية ونقاد رواتها وروایاتها ، اي عن واضعي مـــا سمي بـ « علوم مصطلح الحديث » (١) . الا ان لهـذا العزوف عـــن « المألفة » (٢) و « التأويل » وعن الخروج ، اخيرا ، بصور تاريخية لا تقولها المصادر مباشرة، تفسيرا اخر اقرب مساسا بما سبق قوله عن موقع علي الزين الثقافي اي عن نمط انتسابه الى الجماعة التي يروي تاريخها والى هذا التاريخ . وهـــو انتساب يحدد ، في آن ، ماهية هذه الجماعة وماهية تاريخها . ففي جهد التأويل والمألفة الذي يقوم اولا على « مجانسة » النصوص المنتقاة من المصادر ثم على تمهيد الناتىء منها ثم على ادراجها في سياق لا تقدمه مباشـرة (او تقدمـــه بعض « المحطات » التي تثبتها المصادر لا كلهـــا ولا جلها) ، كـــان المعاصرون من المؤرخين « القوميين » (« لبنانيين » كانوا ام « سوريين » ام « عربا ») يبحثون عن شيء محدد (او يصطنعونه ، في الواقع) وهو الهويـــة الثابتة للجماعة . وكان يتاتى لهم اثبات هذا الثبات بتوكيد استقلال الجماعة ووحدتها العضوية خلال عهد من العهود (محطة من المحطات او اكثر) كسبت الجمـــاعة اثناءه اسما لها يجعله المؤرخ شعار الهوية المستمرة (٣) . وكـــان يعثر للاسم وللهوية التي يشير اليها على متكآت ثابتة في الجغرافيا او في الدين ، ولا تنسى اللغة وثقافتها ولا العرق احيانا . هذه العناصر كلهـــا (« المحطة » التاريخية التي تنبت هوية مغروسة في ارض او في مذهب او في لغة وعرق او في هذه جميعا) كان المؤرخون المحدثون (وما زالوا) يؤولونها في اتجاه « معقول » هو معقول « الدولة القومية » ينســـون ، دون عنـــاء يذكـــر ، ان دورة قـــرن واحـــد لـــم تكد تـــدور على وصولـــه الى هـــذه الرقعـــة مـــن العـــالم . امـــا العهود التـــي يكون تاريـــخ الجماعـــة قـــد اتخذ خلالهـــا مجرى مغايـــرا لذاك الذي اتخذه (او « اثبت » المؤرخ انه اتخذه عند « محطات الهوية » تلك ، او ان شئنا « محطات التأسيس ») فيعلن المؤرخ ان الهوية كانت خلالها «جريحا» او «مطموسة» او «صريعا» (ان هو تعمد الواقعية) . اي انه يستمر (مستنجدا باستمرار عناصر يعتبرها بلا تاريخ هي الاطـــار الجغرافي والعـــرق والدين

....

١ ـ كان الدكتور أسد رستم في كتابـه « مصطلح التاريخ » بيروت ١٩٣٩ اول المعاصرين العرب تشديدا على هذه الصلة .

٢ ـ « المألفة » مفرد يضعه الشيخ عبدالله العلايلي بازاء Synthèse الفرنسية ، Synthesis الانكليزية .

٣ ـ من النموذجات انفاقعة لهذا النهج كتاب الاب بطرس ضـــو : « تاريخ الموارنـة الديني والسياسي والحضاري » وقد صدر منه حتى الان خمســـة مجلدات كبيرة . امـــا « محطة الهوية » التي يعتمدها للموارنة ومـن ثم القومية اللبنانية فهي عهد المردة . والشواهد على هذا الاعتبار لا تحصى في المجلدات الاول والثالث والرابع .

واللغة) في قياس « القيمة » التي يضمها تاريخ الجماعة كله ، ناهيك بـ « درجة وجود » هذا التاريخ ، على محطة او اكثر ، تيسر له تاويلها في وجهة حلم للمستقبل او تشكيلة مصالح راهنة ، واعتبرها (اعتبر المحطة او المحطات) لحظة تجلي « القيمة » وبروز « الوجود » الامثل · من هنا وقوعنا المستمر على تواريخ مؤلفة ، يظهر فيها تاريخ الجماعة ظلمة مستطيلة تدمغها لعنة السلب بعلاماتها ، لولا ان الايجاب (اي الوجود والقيمة) يتأتى لها من لحظة واحدة او اكثر يسند المؤرخ الى نورانيتها (المتسربة في البقايا اللاتاريخية المذكورة آنفا) وظيفة انقاذ التاريخ انقاذا مستمرا من اللاوجود ·

* * *

لا يبغي علي الزين على النصوص ولا يبغي منها الا ما فيها ، اي الاحداث (او بالاحرى بعضها) والاشخاص (او ، على الاصح ، ملامح لبعضهم) والجماعة في قراها ومدنها ، في اعرافها وعاداتها ، في تراكب السلطات الحائقة بها، على ما كانت عليه في ايامها (او بالاحرى في معاناة معاصريها وتصوراتهم اياها ، صادقة كانت هذه التصورات ام كاذبة) وليس على ما يمكن ان تكون في مرايا هواجسنا نحن · من هذا كله يتكون سياق مخرق تطبعه ، برغم ما في هذا القول من تنافر بين طرفيه ، فرادة الحدث وتكرار الاحداث · فالمعركة التي تقع على خبرها في صفحة بعينها هي معركة بعينها ، اي حدث يلفظ ، بحدة ، امكان التكرار · لكن سبحة المعارك تكر ، والقارىء يبحث عبثا عن وجهة او عن غاية· وهذا ايضا هو شأن الولاة والاعيان · يعيشون ويموتون ، يبنون ويدمرون ، يهزمون وينتصرون · ويتغير كل شيء وكأن شيئا لا يتغير · معركة ومعركة تساويان معركتين · شيخ مشايخ وشيخ مشايخ يساويان شيخ مشايخ مات وآخر حل محله · كأننا نحن امام الليل والنهار · من ينتظر ان تسفر عودة الجديدين عشرين مرة عن شيء سوى عشرين يوما اخرى ؟

لا يعني هذا ان علي الزين يروي احداثا بلا واقع او يقدم اشخاصا بلا وزن ، ولا انه يروي احداثا متقاربة الوقع ويقدم اشخاصا لا تفاوت بينهم، الخ·· بل العكس هو الصحيح · اذ ليس ثمة امكان للمساواة بين مصرع ناصيف النصار وفرحة الركيني بابنه الذي بدأ يتعلم القراءة ·· الا في ان الامرين حدثا فعلا اي في انهما ، منذ تحققهما ، حدثان مطلقان · وحين يعزف المؤلف عن شد الاحداث الى سياق وظيفي او غائي يتعدى مجرد اثبات حدوثها ، تتساوى هذه الاحداث فعلا ، لولا ان لكل قارىء اعرافا مسبقة تدله اين يكون عليه ان يبطىء اعظاما واين يسوغ له ان يحث الخطى ·

هكذا نجد انفسنا امام تاريخ لا يكاد يطالبنا باتخاذ موقع لنا في سياقه او في نهاية هذا السياق · لا يقول لنا : ما دام تاريخكم – او بعض تاريخكم –

هو هذا ، فعليكم ، اليوم ، ان تفعلوا كذا او ان تكونوا كيت · وذلك ان هذا التاريخ الذي يحيله لزومه جانب المصادر الى شبه « حوليات » لا يؤسس شيئا ولا ينعى شيئا ·· بل ان صاحبه عدو البدايات العظيمة والنهايات العظيمة · وهو لا يستنكف عن التدخل للهزء من خرافات البداية : من هو علي الصغير هذا (١) لم يؤسس ناصيف النصار دولة وليس لعلي الزين رغبة في ان يصنع للعامليين « فخر دين » او « بشيرا » ولا مجرد « يوسف كرم » · والنهايات ، هي الاخرى ، ليست احسن حظا عند الشيخ علي : ما الذي انتهى بعد اكتساح الجزار جبل عامل ، ما دام المشايخ ما لبثوا ان عادوا ومشت مساعي الصلح مع خلفه خطاها الوئيدة ؟ ما الذي الغاه الغاء الاقطاع حوالي ١٨٦٠ ما دام البك الكبير لم يكتف بتعيين نائب القاضي بل حمل عنه اعباء وظيفته ؟!·· ذاك ما يتيحه لزوم المصادر : لا بدايات قاطعة ولا نهايات قاطعة · اذ ما الذي يبدأ مثل هذه البدايات وينتهي مثل هذه النهايات ان لم تبدأ دولة وتنته دولة ؟

هذا التاريخ الذي تتقارب فيه ، من حيث الموقع في وعي اصحابه التاريخي، الكارثة والنصر المؤزر ، الحدث الكبير والعيش اليومي ، هذا التاريخ الذي لا يحتم شيء ايلولته الى نقطة ما تصنع له وحدة معنى يتيسر توهمها بتوهم حتمية المآل ، هذا التاريخ الذي يندر فيه حلم الاستقلال ولا يمده المؤرخ الى مجمل مساره ، ويحيله الالتحاق – وهو القاعدة – شتات احداث معلقة في الاحتمال·· هذا التاريخ الذي تنطوي فيه الجماعة على معتقد وتقاليد تصنع لها وحدة ادنى – واكثر ثباتا بالطبع – من وحدة تشكيل سياسي يتوجه جهاز سلطة ذو سيادة·· هذا التاريخ يشبه جبل عامل نفسه ·· اي الجبل الذي ندر ان ادعى مناطحة السماء ، وقبل اهله ، على وجه الاجمال ، هشاشة زمنهم البشري ، ووفروا الخلود لحياة اخرى ، وبذروا زرعا يحصد كل عام واستنبتوا اشجارا تقرب اعمارها من عمر البشر ·

---

١ – علي الصغير هذا هو الجد المفترض للعائلة المعروفة باسمه ، ومنها بنو النصار ، اكبر أسرة اقطاعية في تاريخ جبل عامل العثماني ، وأحفادهم (منذ القرن التاسع عشر) ال الاسعد · وتفوح من أحدوثة هذا الجد (التي يحيطها نقد علي الزين بشكوك كبيرة) روائح أوديبية تزكم أي أنف سبق له ان اندس في « الطوطم والطابو » لفرويد · من ذلك « اسقاط » العنف المواجه للاب على عدو خارجي لهذا الاخير ، بحيث يتاح للرغبة في قتله ان تعبر عن نفسها (قتل ال شكر والد علي الصغير) · يلي ذلك الاستئثار بالام (هربت ام علي به الى اهلها هي ، بعد ان لم يبق لاسرته اثر) · أخيرا نصل الى غلبة جانب التماهي على جانب الكراهية في « التجاذب » الذي يطبع موقف علي الصغير من ابيه : يفعل بال شكر ما فعلوه بأسرته أي ان الاحدوثة تصفي رمزيا الرغبة في قتل الاب بعد ان حققتها رمزيا · ويتولى علي الصغير – وهذا حل الازمة الاوديبية – مكان ابيه مجددا استمرار الاسرة ·· الخ ·· انظر فى صدده : « للبحث ·· » مم· ص ٢٦٦ – ٢٨٤ ·

في الصفحات السابقة ما يشير الى دلالة الحرية التي يتركها علي الزين لحديث النصوص القادمة توا من مصادرها · على ان هذه الحرية لا تنتهي الى اقصاء المؤلف عن النص الذي يكتبه ولا تحيله الى منسق وثائق · ابدا · فهو كثيرا ما يتدخل ليضبط رواية الحديث على شتات المصادر ويوحدها · وهو لا يكاد يكف عن التدخل منتقدا النصوص التي يوردها ، متصديا لاصحاب الغرض وللمهومين · فلا يندر ان يثير عجبنا من اسر نقلت سيرها ولم تكن في ظنه موجودة ، ومن معارك رويت اخبارها ولم تقع قط ، ومن امجاد انتسب اليها فلان او ترنم بها فليتان ، لم تكن الا خبرا بلا اثر · جل ما في الامر ان ندرة المألفة او موضعيتها ، في كتب علي الزين ، تسمح لنا بأن نميز بدقة بين نصه هو وبين شواهده الضافية · ويكون هذا الفصل ، في كثير من الاحيان باتا ، اذ يورد المؤلف نص شاهده مستقلا ثم يتبعه بالنقد تحت عنوان « ما يلاحظه الباحثون »·

يصدر المؤلف في نقده هذا عن ضرب من « العقلانية » كان عنوانا للحداثة التي حاول رعيله ان يلج بابها · وتبدو هذه العقلانية اداة لموقف الرعيل المذكور في الصراع داخل الجماعة العاملية ووجها من وجوه ذلك الموقف · فالتصدي لتسلط البكوات وسلفية العلماء يرفع علامة الحظر التي تزنر تواريخ اجدادهم، ويبيح التصدي لتمييز الوقائع من الخرافات او من احابيل التحوير فــي ركام تلك التواريخ · ومعاملة تاريخ الجماعة المدون (وهو تاريخ الاقطاعيين والعلماء، قبل سواهم) على انه خاضع لسلطان العقل ، يرمز الى تقديم العقل وحملة آلاته (اي المثقفين الجدد آنذاك) على موروث الزعامة الاقطاعية والهيبــة العالقة بحفظ العلوم المذهبية ، ويغذي هذا التقديم ·

اما القواعد التي تقيس عليها هذه « العقلانية » مرويات التواريخ فمتعددة نكتفي منها بأمثلة · فمنها التعارض بين المروي في النصوص المحلية والثابت في نصوص تواريخ مكرسة تغطي نطاقا اوسع من النطاق العاملي · لا يعقل مثلا ان تكون بطولة حمد البك ورجاله قد دحرت عساكر ابراهيم باشا — او اسعفت على دحرها ، اقلا — في معركة حمص ·· بينما نحن نعرف من تاريخ الحملة المصرية ان معركة حمص كانت هزيمة منكرة للعثمانيين (١) · ومن هذه القواعد التعويل على معطيات الوصف المقررة للجماعة الداخلة في الحدث او علــى معطيات الوصف الحسي لمكان الحدث ·· فلا يعقل مثلا ان يجند العامليون عددا معينا من الفرسان نسب اليهم زجه في معركة ما ، لان الجبل ، بتعداد سكانه ، عاجز عن فرز العدد المذكور (٢) · ولا يعقل ان يرابط عدة مئات من الفرسان مرابطة دائمة ، في قلعة تبنين ، لان القلعة — واسوارها لا تزال قائمة الى اليوم · وهي

١ — أدناه : الفصل الثالث ·
٢ — « للبحث ·· » مم· ص ١٣٧ — ١٣٨ ·

معروفة المساحة — لا تتسع لهم (١) · يقوم هذا النقد في نهاية التجريد — على مبدأ عدم التناقض او على مبدأ الهوية الذي يفرض تحديد النسبة الملائمة بين الجزء والكل وبين سعة الوعاء وحجم ما يصح وضعه فيه ·· (يقول العامليون دون تجريد انه كان بود البغلة ان تدخل في الابريق ، لولا ان الابريق ليــس موضوعا قابلا) · لكن مقارنة هذا النقد بخفة المصادر في انتاج الخرافات ، وبخفة المؤرخين — ومنهم بعض معاصرينا — في تصديقها ، تنزع عــن النقد المذكور — الذي يتولاه علي الزين — ما يبدو عليه من تلقائيــة ، وتوضح لنا ، بلا صعوبة ، اننا فعلا امام موقف ذهني جديد على الجبل — وربما على جواره ايضا — يحمله موقع اجتماعي جديد هو الآخر ·

الى هذا النقد ينضاف احيانا نقد آخر يقوم على مقابلة السلوك المــروي عن شخص او جماعة بما يفترض المؤلف انه سلوك مقبول مــن هذا الشخص بالذات او من هذه الجماعة بالذات · اي ان معيار قبول الرواية او رفضها هنا لا يعود ينتمي الى المنطق المجرد بل الى التقدير النفسي او الاجتماعي : لا يعقل ان يذبح بنو سودون طفلا عند نبع الحجير لاطعام كلاب الصيد ما دام من حولهم هناك قرى ومطاحن وقطعان ، فلا يصعب عليهم تدبر طعامهم وطعام الكلاب (٢) ·· لا يعقل ان يمتد الخلاف بين آل علي الصغير وآل الزين الى قرى عديدة مؤديا الى عزل حمد البك ، وان يكون مجرد خلاف على ارض في قرية معركة ·· لا بد ان يكون السبب اكثر وجاهة (٣) ، الخ ··

يفترض هذا النقد الاخير وجود معايير لسلــوك الاشخاص والجماعات منضوية في نظمة يتمثلها المؤلف · هذه النظمة المفترضة (التي لا يقدمها علي الزين ، دفعة واحد ، في اي مكان من كتبه) هي الوجه الاعمق من وجوه تدخله في التاريخ الذي يكتبه · فهي مبنية على صورة العلاقات التي تنتظم الجماعة وعلى معايير هذه العلاقات ، اي على صورة الجماعة نفسها ، في عين المؤلف · وهي تفضي اخيرا الى الموقف من « الآخر » الذي تجلو الجماعة صورتها اليوم (يجلوها لها المؤرخ) لتواجهه بها وتقيس نفسها عليه · وهو آخر لن نعتم ان نعرف اسمه ·

* * *

شددنا على غياب مثال « الدولة القومية » من وجهة علي الزين في بسط التاريخ العاملي · على ان ما يفسر هذا الغياب ليس ان المؤرخ بلا موقف قومي · وكيف لا يكون جهلنا مثار هزء ان نحن نعينا غياب « الموقف القومي » على رجل

١ — أدناه : الفصل الثالث ·
٢ — « للبحث ·· » مم· ص ١٣٦ — ١٣٧ ·
٣ — أدناه : الفصل الثالث ·

كان بين ورثة الحركة الهاشمية المباشرين في جبل عامل ، وكان في الصدارة خلال الثلاثينات داخل الحركة المناوئة للانتداب والمطالبة بوحدة سوريا العربية في ذلك الجبل ، وكان بين اوائل المنتسبين العامليين – بعد ان جاوز الخمسين من سنيه ! – الى حزب البعث العربي الاشتراكي ؟ (١) لكننا نـدع جانبا نضال علي الزين السياسي – وهو يستحق مع نضال رعيله ابحاثـا علـى حدة – مقتصرين ، في هذه العجالة ، على تناول كتبه · والحال اننا نقع في هذه الكتب نفسها ايضا ، على صفحات لا تترك مجالا للبس في شأن هوية جبل عامل القومية ·· ولكن من حيث هي هوية « اصلية » ، اذا صحت العبارة ، اي هوية انتساب لا رجعة عنه ، وان لم يعد الى البروز في صورة العامل الثابت الذي يصنع سياق الحوادث ·· وليس من حيث ان هذه الهوية هوية « سياسية » اي انتساب دينامي دائم التدخل في اختيارات الجماعة على مدى تاريخها · يكفـي للتثبت مـن « اصلية » هذه الهوية ان نقرأ ملاحظات المؤلف على مقالة لامنس ·· فنعلم ان المتاولة عنده عرب لا ريب في عروبتهم ·· ويكفي للتثبت من « لاسياسية » الهوية نفسها ان نقرأ الكتب الثلاثة برمتها (٢) ·

★ ★ ★

اذن ليس مرد الاستنكاف عن وضع هذا التاريخ للعهـود الاقطاعية في وجهة « الدولة القومية » ، الى غياب الهاجس القومي عن بال الموقف ، بل الى انه يحمل على محمل الجد علاقات الجماعة « ما دون القومية » التي يؤرخ لها ، اي علاقات الاقطاع والطائفة · وليس ثمة مفر من القول ان هذه الجدية بعيدة كل البعد عن ان تكون موقفا « علميا » او « موضوعيا » صرفا وانها ، قبل كل شيء ، وجه لجدية انخراط علي الزين في الجماعة المذكـورة ، بحدودها ، ولاسبقيته على اي انخراط آخر · لا يسف علي الزين الـى وهـدة تسخير النصوص ، فلا يجمل تاريخ الجماعة حيث لا يكون هذا التاريخ جميـلا ، ولا يفتعل لمقاتليها البطولات ولا لاعيانها العظمة · بل ان ولعه باثبات شواهده على حالها الاصلية هو في ذاته شهادة وافية ببعده عن هـذه الوهدة · واحسبني شددت بما فيه الكفاية على ابراز التواضع العام الذي يسم تأريخ هذا الشيخ لجبل عامل · للانخراط هنا معنى آخر هو انه ما يشعرنا بمعاناة المؤرخ المستمرة لما يرويه ومما يرويه · فالنص الذي يصوغه لا يتخلى في اية مرة عن وظيفة يمكن

١ – جابر (منذر) : « جبل عامل من ١٧٥٠ الى ١٩٢٠ » (رسالة دكتوراه بالفرنسية) المقدمة · (اطلعت على هذه الرسالة عام ١٩٧٧ · وكانت لا تزال مخطوطة ، فلا فائدة في ذكر ارقام الصفحات) ·

٢ – لابد من تحفظ هام على هذه « اللاسياسية » وهو تشديد الزين على المصدر القبلـي (العربي طبعا) للاعراف والتقاليد ، في : « العادات والتقاليد ·· » مم· ص ٧–١٣ ·

ان نطلق عليها اسم « قياس القيمة » ، قيمة الحدث او الشخص او الجماعة (١) فيبدو لنا ان التاريخ « ينتصف » الى المؤرخ ، فـ « ينصف » هو – بهدوء تارة وبشيء من العصبية طورا – ما في هذا التاريخ ومن فيه · وهو لا ينصف مـن خارج ، بل لا يدع لك فرصة ارتياب في امر الصف الذي يقف فيه · ولاقل مرة اخرى – مجازفا بالسقوط في الاملال – ان هذا الانخراط ، او التماهي مع طرف من اطراف الحدث ، ليس ، بأية صورة ، مرادفا للتحوير ولا للتزوير ·

والانخراط المذكور معقد التراتب · في المواجهة بين المتاولة والجزار يقف المؤرخ مع المتاولة طبعا· أما في المواجهة بين الجزار والزناة من عبيده وجواريه فيقف مع الجزار (٢) · وهو بعد ان يعرض مثلا اخبار الوقائـع بين العامليين واللبنانيين ، في العهد الشهابي ، من بشيـر الأول الى يوسف ومن مشرف الى ناصيف النصار ، يحرص على الافضاء بتقويم اجمالي ، نادر عنده ، يهشم بـه صورة تاريخية صنعها ذوو مشارب مختلفة للمتـاولة وقبلهـا بعض المتاولة لانفسهم ، وهي صورة المتالي المخذول أبدا (٣) · وهو من حين يدخـل في خبر خصام بين واحد من أعيان آله (آل الزين) وآخر من أسرة أخرى يعمد – مـع الاعتذار الدائم – الى « الانتصاف » لآلـه مما دسـه عليهم رواة خصوم ·· الخ ·· (٤) ·

على انني ادع جانبا هذا الشتات من الامثلة لاشير الى مـا هو أهم ، أي الى ما يحتل موقع الجذع من انتماء علي الزين الى جماعة العامليين الشيعة · قصدت موقفه من الفئات الوظيفية البارزة التي انقسمت اليها الجماعة المذكورة في ظل الاقطاع : من العامة ومن علماء المذهب ومن الاقطاعيين ·

لا يصطنع مؤرخنا للعامة وزنا لم يكن لهم ويترك لسواه ان يبحث في دورهم التاريخي ، خلال عهد الاقطاع ، عن انتفاضات يلوح بها في أيامنا الحضرة ، قدوة لمن اقتدى او عبرة لمن اعتبر · ويظهر جليا ، في روايته – مثـلا – لأخبـار « الطيّاح » بعد اجتياح الجزار جبل عامل ، ان ابناء ناصيف النصـار العائدين هم الذين بادروا الى « الطياحة » ونظموها ، وانهم كانوا ذوي وطأة على الاهلين، ثقيلة ثقل وطأة « السردلة » الذين كلفهم الباشا بالقضاء على الطياحة ··· وان بعض العامليين حاولوا ان يتولوا ، بأمر الباشا ، مهمة القضاء على الطياح من

١ – يشكل « قياس القيمة » هذا وسيلة المؤرخ للتدخـل في تنظيم الصورة التي يقدمهـا للجماعة عن تاريخها ، أي في توزيع علامات السلب وعلامات الايجاب على عناصـر هذا التاريخ وفي احلال التراتب بينها · أي ان المؤرخ يتدخـل بالنتيجـة في تنظيم المخيلة التاريخية للجماعة ·

٢ – أعلاه : الفصل الاول ·

٣ – المبحث ·· مم· ص ٥٨٩ ·

٤ – أعلاه : الهامش ١١ ومواضيع أخرى من هذا الكتاب ·

ابناء بلادهم (١) ٠ اذن لا قداسة تفترض سلفا في العامة ولا حالة ثورة دائمة تراوح بين الغليان والكمون ، لكنها تظل قائمة ٠ بل ان المؤلف لا يستنكف ، في مواضع اخرى ، عن اثبات تشخيصه العام لوضع العامة السياسي ٠ فتراه يكتب في موضع ان الشعب « كان ينظر الى الحاكم نظرة العبد الى سيده ولا يتجاسر على رفع نظره اليه ٠ فكانت الاهالي تحتفل بحاكمها (٠٠٠) قبل ان تعلم عنه شيئا وتحرق له بخورا وتضيء له الشموع وتزين الشوارع كما هي العادة التي لم تزل تحترم نصوصها الى يومنا هذا » (٢) ٠ وتراه ينقل عن الجبرتي في موضع آخر انه « قد بلغ من هوان الفلاحين ان اصبح الاذلال دستورا محترما لديهم : فكانوا اذا ما آنسوا من الملتزم او من الملاك تسامحا معهم ورحمة بهم٠٠ تهاونوا في خدمته وازدروه وما طلوه في دفع ما عليهم له » (٣) ٠

على ان تسليط الضوء على استكانة العامة للاقطاعيين ، لا يميل بعلي الزين ناحية هؤلاء ٠ وما دامتاريخ هذه الحقب التي يؤرخ لها مؤلفنا ، هو ، في مصادره الاصلية ، تاريخ الاقطاعيين ونظامهم ، قبل ان يكون تاريخا لاية فئة سواهم ، وما دامت العامة تظهر في هذه المصادر كتلة واحدة او قطعانا قلّ أن تعنى المصادر بحفر ملامح مميزة بين مجموعاتها ، فان المرء يدهش لخروج علي الزين على القاعدة المألوفة في تواريخ جيله من المؤرخين : ان يواصل المؤرخ « انابة » الحاكم عن الجماعة ، فيجعل من قوة حاكم معين صورة لقوتها ويمد اشعاع هذه القوة الى عهود سابقة ولاحقة ، كأن الحاكم القوي الذي عبر قد استحال الى جوهر ثابت للجماعة يلام الحكام الضعفاء (السابقون أو اللاحقون) على نكوصهم دون بلوغه وعجزهم عن جلائه ٠

لا شيء من هذا ، على وجه الاجمال ، عند علي الزين ٠ فلا نكاد نقع عنده الا على التحفظ ـ ان لم نقل العداء ـ ازاء صور مشايخ الاقطاع المتاولة التي تجلوها روايات من عاصروهم وقصائدهم ٠ فنجد ان عتب المؤرخ على العامة ـ وهو عتب المحب ـ يمتد ـ رغم الاستثناءات ـ في حذر من مشايخ الاقطاع يحاذي النقمة المكشوفة احيانا ٠ فهم ظلمة ٠ وهم قلما يتحدون للذود عن بلادهم ٠ وهم غالبا اذناب الولاة يتنافسون على رضاهم بل يتخاصمون في طلبه ٠ وحين يرد

١ ـ ادناه : الفصل الثاني ٠

٢ ـ « العادات والتقاليد » ٠٠٠ مم٠ ص ٣٤ ٠ وكان هذا التقدير منتشرا بين كتاب مجلة « العرفان » وشعرائها ، من رعيل علي الزين ، حين يتناولون مواقف العامة من الزعماء ٠ نجد نماذج منه ، مثلا ، في قصائد لموسى الزين شرارة وعبد الحسين عبدالله ومحمد يوسف مقلد وفي مقالات لابن البادية لانيس ايراني ، الخ ٠٠ لكن ما تنطوي عليه هذه النصوص ليس احتقارا للعامة ، بل هو اقرب الى ان يكون حنقا على جهلها وذلها :

٣ ـ « العادات والتقاليد ٠٠٠ » مم٠ ص ٦٨ ٠

علي الزين على قول احمد رضا ان قادة المتاولة المجتمعين شرقي النبطية قرروا ان لا يبدأوا الامير يوسفا الشهابي بالقتال بعد ان كان قد اجتاح مقاطعاتهم من الغازية الى جباع ومن هذه الى كفررمان ٠ يقول ان « في هذا ما فيه من دواعي الشك بمثل هذه الروايات والافتراضات التى تسيء الى قادة المتاولة وتشوه سيرتهم في فهم الامور وتقدير المسؤوليات الملقاة على عاتقهم » (١) ٠ فنقع هنا على مثال نادر لتضامن المؤرخ مع مشايخ المتاولة ٠ وتشيل كفة هذا التقييم بازاء احكام تنحو منحى التعميم ، منها قول المؤلف مثلا ان آل علي الصغير يئسوا من ولاء الناس ، بعد فتكهم بآل شكر ، فاعتمدوا الارهاب الداخلي والانقياد الخارجي للحكام والولاة (٢) ٠ ومنها قوله في نسق سلطة المشايخ ومداها وأسلوب تصرفهم بها ان المشايخ « كان يتولى أمرهم شيخ منهم توليه عليهم الدولة بعد ان تفرض عليه الجباية وتطلق له التصرف بأحوال الشعب وراحته ، وكانت شريعة شيخنا هذا ارادته (٠٠٠) وكان هذا الزعيم (٠٠٠) يقيم له معاونين ووكلاء (٠٠٠) وكان يفرض عليهم مالا محدودا ويعدهم ان لا يتعرض لاعمالهم فيمرحون ويطلقون لمطامعهم الاشعبية الأعنة في مص حياة الشعب من عروقه بلا شفقة ولا حنان ، وكانوا يستعبدون ويأتون المنكرات (٠٠٠) » (٣) ٠

أما العلماء ـ وقد كان امرهم من أغمض ما في التاريخ العاملي خلال العهود التي يؤرخ لها علي الزين ـ فلا بد في شأنهم اولا من اكبار جهد المؤرخ الذي نبش المخطوطات والمنشورات القديمة نسبيا نصوصا لم يستوقف معظمها سابقيه ، وهي تكسو شحما ولحما ـ وتعدل أيضا ـ أحكاما مجردة كثيرا ما اطلقت على دورهم في الجماعة وعلى علاقاتهم بالزعامة الاقطاعية (٤) ٠ مع هذه النصوص يبدو الحاق العلماء بالزعامة الاقطاعية محدد السمات ٠ فاذا طلب الحاكم من الشيخ العالم ان يكون نائب قاض ـ عوضا عن تركي لا هو بشيعي ولا هو بقابل على الارجح تعريض نفسه لنفوذ الزعيم دون مقابل ـ قرن الحاكم الطلب لا بحفظ قدرته على توجيه الشيخ وحسب بل يعرض مفاده انه هو

١ ـ « للبحث ٠٠ » مم٠ ص ٥٣٦ ٠

٢ ـ « للبحث ٠٠ » مم٠ ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ ٠

٣ ـ « العادات والتقاليد ٠٠ » مم٠ص ٧٠ـ٧١ ويلاحظ ان المؤرخ يخص (ص ٧٢) ناصيف النصار ، أبرز وجه بين قادة المتاولة في عهد الاقطاع ، باشارة الى ظلمه ٠ لا تفلح اسطورة ناصيف اذن (مقاومته الغرباء واعلاؤه شأن الجبل وتوطيده استقلاله الداخلي) في انقاذه من هذه اللسعة التي **يقبلها** سياق النص ، لكنه لا **يحتمها** ٠

٤ ـ أبرز هذه النصوص ما يقتطعه المؤلف من مخطوطة الشيخ محمد مهدي مغنية « جواهر الحكم» ٠ (ادناه : الفصل الثالث) ٠ ولعله يكون في نشر هذه الصفحات ما يحفز القادرين على نشر المخطوطة المذكورة في كتاب ٠ وذلك لما يبدو لها من اهمية ، لا في معرفة احداث التاريخ السياسي لجبل عامل ، وحسب ، بل ، على الاخص ، في معرفة تاريخه الاجتماعي ابان القرن الماضي ؛

ـ أي الحاكم ـ سيكون القائم الفعلي بأعمال القضاء • واذا عرفنا ان المتاولة ـ الذين لم يكن مذهبهم بين المذاهب المعترف بها في ظل العثمانيين ـ كانوا يحتفظون لدى علمائهم بقضاء غير رسمي (يسمونه « الشريعة ») ، ادركنا ان هذا القضاء لم يكن يسعه ان يظل بمنأى عن سلطة الاقطاع ، وان اساليب استجلاب مشايخ المذهب ـ وهذا بيّن في النصوص ـ كانت عديدة • ندرك من النصوص ايضا انه كان لهذا الالحاق مقابل يندرج معه في اقتصاد علامي (سميلوجي) موضعي ، هو شعائر الخضوع التي كان الزعماء يؤدونها لمشايخ المذهب حفظا لمكانة هؤلاء من العامة ورمزا لانتساب من الزعماء الى المذهب يبغي ارساء وحدة ما بين انتماء الجماعة الموحد الى المذهب وانتمائها الى زعمائها • يتبدى ايضا من مثال السيد محمد الامين (١) ان العلماء ـ والسادة منهم على وجه التخصيص ـ كان في وسعهم اختزان بديل للزعامة السياسية يلجأ الولاة (هنا خورشيد باشا) الى « تحقيقه » حين تبيد الزعامة الاقطاعية مؤقتا ، وتضفي عليه الصفة المذهبية للسادة طابع « المعقل الاخير » (والاستثنائي في آن) لوحدة الجماعة • في بسط هذا كله ـ أو النصوص المفضية اليه أقلا ـ يبدو المؤرخ حانقا على علماء تلك العهود ، حذرا ازاء ما خطته ايديهم من نصوص ذات محتوى تاريخي ومن قصائد •• ويشف نص المؤرخ الشيخ عن صورة أخرى مرتجاة لعلماء المذهب ودورهم مغايرة جدا لصورتهم في مصادر تاريخه •

نحن اذن امام مؤرخ معارض تنصب معارضته في تيارها الأشد على العلاقات الداخلية في الجماعة العاملية (٢) ، في موقفه من الاقطاعيين والعلماء

....

١ ـ ادناه : الفصل الثالث •

٢ ـ حين يرى القارىء لدى علي الزين وزملائه من كتاب « العرفان » نفض اليد هذا من « الزعامات » ومن العلماء ومن العامة ـ وان تفاوتت مغازيه بين حالة واخرى ـ يتساءل حتما: على من يعولون في الاصلاح الذي يسعون اليه ؟ لكنه سرعان ما يلاحظ انهم ، في الواقع ، لا ينفضون ايديهم من اية فئة برمتها ـ في كل من فئات الجماعة عناصر او مجموعات يمكن ان يحفزها السعي الى حداثة لا تطيح أية مرتبة من مراتب الهوية الموروثة ، لا مرتبة الدين ولا مرتبة المذهب، لا مرتبة القومية ولا مرتبة الانتماء المحلي • هكذا كانت « العرفان » تجمع الى حديث العلم الغربي ، في آخر مخترعاته، احاديث كربلاء والتاريخ العاملي ووحدة المسلمين ووحدة العرب •• وكان الباب مفتوحا امام علماء وادباء وزعماء ومغتربين ، الخ •• للعدول الى هذا الموقع •• وكانت فرضية هؤلاء الدعاة المتنورين ان « التنور » هو طريق « التحرر » أيا كان الاصل الاجتماعي • والتنور لا بد ان يتسع بين فئات الجماعة كلها بفضل نشر التعليم • وما لا تصعب رؤيته هو ان هذه الفرضية كانت تحتفظ لمثقفي « الحداثة » انفسهم بمكان الطليعة • وفي « للبحث •• » مم• ص ٩١ ـ ١٣٣ وفي « العادات والتقاليد ••• » مم• الصفحات الاخيرة ـ ملحقان يتناولان مسائل عصمة الامام ووحدة

وفي تنديده باستكانة العامة تبدو المعارضة صيغة لوجوه انخراطه الاساسي في الجماعة • وتبدو هذه الجماعة نفسها (متاولة جبل عامل) ـ لا الاوسع منها ولا الاضيق ـ مكان هذا الانخراط الاساسي أي مكان هويته وهمومه وحزنه وغضبه واحلامه • فحلم الحاضر الذي يكتب علي الزين تاريخ الجماعة انطلاقا منه هو اولا حلم بصورة جديدة تتخذها الجماعة نفسها ، وليس حلما يتجاوز وضعها الداخلي ويلغيه •• أي انه ليس حلما بدولة •

★ ★ ★

لا يعني ما سبق ان هم الدولة غائب عن بال علي الزين • فهو يريدها لا مع جماعته وحدهم وانما مع الآخرين ايضا ، لادراكه ان جماعته ، بحدودها، ليست مشروع دولة • عند ظهور الدولة على مسرح هذا المؤرخ ، يظهر الآخر اذن • وتظهر الدولة نفسها في صورة الغريب المنفصل عن الجماعة والساحق غالبا • أما الدولة التي تكون فيها هذه الجماعة نفسها عنصرا عضويا فهي نقطة وصول لا يبدو ان الجماعة ادركتها يوما ولا يبدو ان لها مثالا ما في التاريخ الذي يرويه علي الزين •

في مكانين ، على الاقل ، من كتبه الثلاثة ، يثبت علي الزين العلاقة بين استقلال التاريخ واستقلال الدولة • كان جبل عامل مشيخة تابعة « لحكومة مركزية مستبدة هي كل شيء في التاريخ والسياسة ، فلم يحسب له المؤرخون حسابا ليكون له تاريخ مستقل مفصل » (١) • من جهة اخرى « قد يكون من التعصب الاقليمي ـ ونحن نقدر امكانيات العامليين وظروفهم ـ ان نزعم انه كان بوسعهم في أي عهد من العهود ان يشكلوا دولة مستقلة او امارة لها سياستها وانظمتها ومراسيمها الخاصة ، ليكون لهم من ذلك تاريخ سياسي مستقل خاص، وانما كل ما بوسعنا ان ندعيه ونثبته ، هو انهم استطاعوا في بعض المناسبات ان يحتفظوا بمقاطعتهم مستقلة او شبه مستقلة لها ما للمقاطعات التابعة للايالة (•••) وعليها ما عليها (•••) فسياستهم العامة اذن لم تكن تختلف عن سياسة غيرهم من ابناء المقاطعات السورية ، وتاريخهم السياسي العام انما يتمثل في تاريخ السوريين اجمع » (٢) •

بعد نفي الدولة المستقلة ومعه نفي التاريخ المستقل ، يأتي نفي الفرادة برغم

....

المسلمين والاجتهاد ومناهج التعليم في النجف • والنصان نموذجان لما يؤول اليه الموقف العقلاني اللاحق بالحداثة (اي الموقف « المتنور ») حين يواجه من الداخل (علي الزين شيخ نجفي) بعض مسائل المعتقد الديني والمذهبي نفسه •

١ ـ « العادات والتقاليد ••• » مم• ص ٦٧ •

٢ ـ أدناه : مطلع الفصل الرابع •

حصول استقلال المقاطعة « في بعض المناسبات » • لا يستند علي الزين الى هذا الاستقلال الاخير ليقول ان جبله كان حالة فريدة في الدولة العثمانية ـ هذه سنّة نعرف ان المؤرخين الموارنة دأبوا عليها في صدد جبل لبنان ـ ويحرم نفسه بالتالي مرتكزا (كان يسهل الحصول عليه ببعض التعنت) للمطالبة بوضع على حدة او ـ في المصطلح اللبناني الشائع ـ بـ « وضع خاص » في محيطه المشرقي • مرة اخرى ليس ناصيف النصار فخر الدين • على ان نفي القراءة لا يعني مماثلة جوهرية بين جبل عامل وسائر المقاطعات السورية • فالمؤرخ الشيخ يعرف ان جبل عامل ليس اقليم صفد ، برغم التداخل ، فكيف يكون جبل العلويين او جبل حوران ؟ وهو يعرف ان « التاريخ السياسي العام » الذي تشترك فيه هذه الجماعات وتدور أهم فصوله في قصور الملوك والوزراء وفي ساحات الحرب ، لا يصل الى جبل عامل مثلا الا في صورة الغريب (عسكر يقتل وينهب) ، أو في صورة القريب المنفصل نسبيا ، الداخل في حياة الجماعة بفعل تقاليد داخلية لا توجدها ولا تزيلها ارادة الدولة وحدها (مشايخ بأعينهم أو بكوات بأعينهم) • خارج هذا التاريخ العام تبقى حياة الجماعة ويبقى موتها ، بكل ما فيهما • وقد رأينا ان انتماء علي الزين انما هو الى هذه الجماعة اولا • لذا نراه يعدد هذه الدوائر الواقعة خارج « التاريخ السياسي العام » (خارجه نسبيا ، ولكن الى حد بعيد) ، ثم نراه لا يتكاسل عن مواكبة هذه الدوائر معتبرا اياها موضوع التاريخ الذي يكتبه هو •

لا تاريخ دولة مستقلا اذن ولا وضعا خاصا لجبل عامل • والدولة تبقى عند الأخر وتبقى ملكه ، وهو الذي يأتي بها ـ قسرا بالطبع ـ الى جبل علي الزين •

نضرب صفحا ـ تحاشيا للاطالة ـ عن نمط السيطرة العثمانية على جبل عامل ـ في متابعة مؤرخنا اياه ـ لا لأن سيطرة الدولة العثمانية على بلادنا مدة اربعة قرون باتت عديمة الدلالة في نظرتنا الى انفسنا (١) ، بل لان ثمة ما يتيح

....

١ ـ تظهر هذه الدلالة ، عند علي الزين ، في الانحياز الى الهوية الاصلية ، اي الى الاسلام ، حين يعرض النص لمواجهة بين العثمانيين المسلمين والغرب المستعمر • لكن علي الزين لا يغفل ، من جهة اخرى ، عن الطغيان العثماني ، حين يتناول الوجه الداخلي من السياق الذي يرسمه • ولا عجب في هذا الموقف المتوازن من شيخ مسلم شهد بنفسه استقبال جمال باشا في الطيبة عام ١٩١٥ •• العجب في موقف مؤرخين « تقدميين » او « قوميين » ما زالوا في ميعة صباهم التاريخي ينحون ـ بقليل من الخجل او كثير ـ الى الاخذ بناصر السياسة العثمانية ، في الداخل والخارج (!) كلما كانت فرنسا في الافق • يقابل هؤلاء ، في الجهة الطائفية او الايديولوجية الاخرى ، من يأخذ بناصر الغرب دائما ولا يرى في السيطرة العثمانية شبكة مؤسسات وبشر خاضعة لفعل التحليل التاريخي ، بل يرون فيها مجرد تجسيد للشيطان • يكشف هذا ←

احاطة أقرب بصورة الدولة والآخر في هموم علي الزين وهمومنا • نتحدث اذن عن جبل عامل وفخر الدين في نصوص شيخنا المؤرخ •

يتميز فخر الدين الثاني المعني بأنه « بطل » يسهل على كل طرف من أطراف متعددة أن يضع يده عليه • فالكتاب الدروز يرون فيه بطلا درزيا مستندين الى انه كان ، بالدرجة الاولى ، أميرا على جبل الشوف ، « جبل الدروز » ، يومذاك ، والى شهادات عديدة تؤكد انه كان هو نفسه درزيا انتحل ، في بعض الظروف ، مذهب أهل السنة ، على سبيل التقية (١) • وأهل السنة يستندون الى اقدامه على بناء الجوامع والى تعدد زوجاته والى ترشيحه نفسه أو ابنه ، ذات مرة ، لامارة الحج ، فيجعلونه سنيا (٢) • ويبرز الموارنة حكاية لجوئه الى آل الخازن بعد مقتل ابيه ، وما ظهر لاحقا من تقريبه الخوازنة والموارنة عامة واسكانه اياهم في مناطق لم يكونوا دخلوها سابقا واعتماده عليهم في جيشه وادارته وفي علاقاته بالفاتيكان وتوسكانة ، ويبرزون ايضا حكاية تنصره ، في أواخر أيامه ، على يد راهب كبُوشي ، موضحين ان هذا القرار كان يجول في خاطره قبل اقدامه على تنفيذه بمدة ، جاعلين من هذا كله علة لنسبة « دولته » ، اليهم قبل سواهم (٣) • أما الذين يؤرخون تسامح فخر الدين مع مختلف الطوائف المدارس غالبا ـ فيضعون في الصدارة تسامح فخر الدين مع مختلف الطوائف

....

→

الانحياز ، بطرفيه ، « الحلم الراهن » الذي ينطلق منه كل طرف ليكتب التاريخ : الاستبداد ، في جانب ، واستبقاء « محميات » لامتياز الاقليات الطائفية في الجانب الاخر • عليه لا يترك المؤرخون اللبنانيون ، عادة ، مكانا لاحلامنا الهنيئة • فهم لا يريدون لنا ان نحلم بشيء غير الحرب الاهلية • والحال اننا فيها ! وليس ثمة ما هو اثقل من الكوابيس الا الاحلام المتحققة سلفا •• أي « الواقع » الذي يبيد أفق الرغبة •

١ ـ انظر رأيا قريبا من هذا معمما على امراء لبنان جميعا حتى اواسط المرحلة الشهابية في : جنبلاط (كمال) : « حقيقة الثورة اللبنانية » ـ بيروت ـ طبعة ١٩٧٨ ص ١١٥ ـ ١١٦ • و : « في مجرى السياسة اللبنانية » ـ بيروت ـ طبعة ١٩٧٨ ص ٨٣ ـ ٨٤ •• ومواضع عديدة اخرى من مؤلفات جنبلاط •

٢ ـ مثلا : النقاش (زكي) : « اضواء توضيحية على تاريخ المارونية » ـ بيروت ١٩٧٠ ١٩٧٠ ـ ص ٨٣ ـ ٨٤ •

٣ ـ مثلا : ضو (الاب بطرس) : « تاريخ الموارنة •• » مم• الجزء الرابع ـ جونية ١٩٧٧ ـ ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ •

عام ١٩٧٧ ايضا نشر جورج هارون، في سلسلة «القضية اللبنانية» الصادرة عن الكسليك (رقم ١٩) كراسا بعنوان : « هل توحد لبنان مع فخر الدين المعني الثاني ؟ » • ويجيب هارون على هذا السؤال بنفي يشبه ، في حدته ، نفي علي الزين • لكن الموقعين متناقضان : بينما ينفي الزين حصول التوحيد من موقع الرغبة في تحقيقه على قاعدة التكافؤ ، يستند هارون الى نفي حصوله من موقع التخلي عن الرغبة في دولة « موحدة » لم تعد ضمانة كافية لعدم التكافؤ القائم •

واضطلاعه بـ « توحيد لبنان » ، في حدوده الحالية (وأوسع !) ومحاولاته الاستقلال عن الدولة العثمانية وبناء جهاز ثابت للدولة يتجاوز التشرذم الاقطاعي ، وينتهون من ذلك الى التسبيح بحمد الباري : كأنه ألهم فخر الدين أن يعتمد « الميثاق الوطني » دستورا غير مكتوب !

يقف علي الزين ، بشيء من القرف ، خارج هذه المعمعة · فعنده لا يعود فخر الدين بطلا للاستقلال ولا رائدا للوحدة ولا مثالا للتسامح : « خذ مثلا على ذلك الامير فخر الدين المعني ألمع شخصية في تاريخ لبنان السياسي ، وابحث عن حقيقة أهدافه وحقيقة سياسته الداخلية والخارجية ، ثم عن حقيقة بطولته في كبرى الحوادث ، هل تجد فيها ما ينعش الروح القومية ويعزز الوحدة الوطنية ويوجب الالفة والمحبة بين الطوائف والاحزاب المختلفة النزعات ؟؟ » (١) · على حواشي هذا الحكم العام ،يظهر فخر الدين في وجوه أخرى : تحت بطولاته الحربية تظهر الدسائس والمخادعة والرشاوى ، فيصير انتصار عنجر مثلا «أشبه بفصول تمثيلية منه بحوادث حرب جدية لم يشبها شائبة من المكر والخيانة » (٢) · ثم ان معركة عنجر لم تكن ضد العثمانيين (رغم وجود مصطفى باشا على رأس الجانب الآخر وأسره) ، بل كانت معركة أهلية بين الحرافشة والسيفيلية من جهة والمعنيين والشهابيين من جهة · فالانتصار فيها « لا يعد انتصارا وطنيا » خاصة وان له « اهدافا استعمارية » ذات طابع صليبي ، وأخرى « رجعية » عنوانها « انساء قومية مارونية » (٣) ·

و « الحملة الصليبية » و « القومية المارونية » هما بيتا القصيد في تقويم مؤرخنا العام لفخر الدين · وهو يقدمهما متلازمين · فقد « انضم النصارى في لبنان وسوريا وفلسطين الى الدروز (تحت راية الامير المعني) امتثالا لرغبة قداسة البابا وتحقيقا للاهداف التي رسمها عواهل أوروبا لاحتلال الاراضي المقدسة » (٤) هذا التلازم بين وجهين للآخر الخطر (خطر الاجنبي النازع الى الاستعمار وخطر الطائفة النازعة ، في المساق نفسه ، الى الغلبة) هو المدخل الى تحليل العلاقة بين جبل عامل و « الدولة » المعنية ، في تقديم علي الزين لها ·

أولا يعمد مؤرخنا ـ رادا بذلك دعوى قرألي ـ الى اقامة البرهان على ان المعنيين لم يحكموا جبل عامل قبل فخر الدين الثاني · فيرفع بذلك صفة «البدئية» عن هذا الحكم اذ يستبعد اقتران بدايته ببداية اخرى ذات واقع تاريخي قاطع

---

١ ـ « للبحث ··· » مم· ص ٢٤٢ ·
٢ ـ « للبحث ··· » مم· ص ٢٤٥ ·
٣ ـ « للبحث ··· » مم· ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ·
٤ ـ « للبحث ··· » مم· ص ٢٢٨ ·

هي حدث الفتح العثماني لبلاد الشام · وفي هذا ما فيه من تقليص لشرعية السيطرة المعنية على الجبل · ثم يعدد ظروف هذه السيطرة « أيام فخر الدين ، وكلها ـ من الزاوية التي يقف فيها المؤرخ ـ ذات قيمة سلبية : نقمة الدولة العثمانية على الشيعة ، آنذاك : « لمبالغة شيعة ايران والعراق في مضايقتها سياسيا وعسكريا » ، مساندة الدول الغربية والكرسي الرسولي لفخر الدين ، رشوات فخر الدين للوزراء والولاة ، تسهيلا لسيطرته على السنجقيات والمقاطعات ، ولقطافه رؤوس منافسيه (ابن الفريخ ، ابن الحرفوش ···) (١) ·

لا يطمئن مؤرخنا اذن لا الى غايات فخر الدين ولا الى وسائله· أما الوسائل فهي الرشوة والخديعة والعمالة للاوروبيين ، ونصيب البطولة وتأليف القلوب من هذه الوسائل أقل بكثير مما توهمه آخرون أو أوهموا به · لا مجال هنا للتمييز مثلا ، بين اهال مقهورين واقطاعيين رفع الامير عبء جورهم عن الناس (٢) · بل تعود الجماعة العاملية ـ في عين المؤرخ ـ كتلة واحدة يقع عليها قهر خارجي كليا · وأما غايات فخر الدين ، فيبحث بينها علي الزين عن « الوحدة الوطنية » ويعلن انه عثر على نقيضها : « فهل من الصحيح ان الامير فخر الدين كان في حكمه وادارته وسياسته يعمل على توطيد دعائم الوحدة الوطنية بين الاحزاب والطوائف اللبنانية ؟ أم ان كل شيء في حكمه وادارته وسياسته كان يجري على خلاف ما تقتضيه الوحدة الوطنية ؟ » ذلك ان هذه الوحدة لا تقوم بقوة القهر السياسي ، ولا ـ على الاخص ، وهذه نقطة هامة ـ بنخر تجانس المنطقة الطائفي وكسر تماسكها عن طريق انشاء نوع من « المستعمرات » فيها (احياء وقرى ذات انتماء طائفي مغاير) يحميها المنتصر الدخيل بينما يرى قرألي (حين يتحدث عن اسكان الامير الموارنة في المتن والغرب والشوف والساحل وعكار ومرتفعات جبل عامل الشرقية) ، ان فخر الدين استعان « بالموارنة على التوسع والتوطيد ، واستعانوا به على انشاء وطن قومي لهم في لبنان » · يرد علي الزين بأن هذه « الاجراءات الكيفية والسياسية المتميزة (···) » لا توطد « الالفة والمحبة بين ابناء الوطن الواحد (···) » بل تمهد « لدى اضطراب الاوضاع العامة » (···) لتحويل « التذمر والقلق » الى « تحد وانفجار » · وما كانت احداث ١٨٤٠ ـ ١٨٦٠ ـ يقول مؤرخنا ـ الا « من جراء السياسة المسابهة لسياسة فخر الدين في تغليب فئة على فئة وايثار طائفة

---

١ ـ « للبحث ··· » مم· ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ·
٢ ـ هذا رغم ان النصوص التاريخية (وان كان صدقها عرضة للطعن) لا تقفل هذا الطريق أمام من يريد ولوجه ـ فالخالدي الصفدي ، مؤرخ فخر الدين الوسمي، يؤكد ان الامير حمل معه العدل والامان الى حيث حل · وهو يفتتح كتابه بذكر ما أصلحه الامير من احوال بلاد صفد · انظر : الخالدي الصفدي (الشيخ احمد بن محمد): « لبنان في عهد الامير فخر الدين المعني الثاني » ـ بيروت ١٩٦٩ (منشورات الجامعة اللبنانية) ـ فاتحة الكتاب ·

ـ من اهالي البلاد ـ على طائفة » ٠ والاشارة الى احداث وسط القرن التاسع عشر تفصح عن نزعة علي الزين الى مد انموذج الإثرة الطائفية على جملة الحقب التي يروى تاريخها : وهو يكتب صراحة ان اللبنانيين لا يجدون في « تاريخهم السياسي الحديث ابتداء من عهد الامير فخر الدين المعني الثاني الى آخر عهد الامير بشير شهاب الثاني « ما يلم « شمل الجميع على اختلاف احزابهم وطوائفهم ومناطقهم » (١) ٠

في هذا الحكم الذي يندر العثور على ما يعادله في القسوة عند مؤرخي الطوائف اللبنانية الاخرى (الكبيرة ، على الاقل) ، يتبدى مثالان للطائفة وللدولة ، يقول علي الزين ان تاريخنا الحديث لم يحقق شيئا منهما ٠ فعلى الدولة ان تكون موجودا بذاته غير تابع لغلبة طائفة او قائم على اثرتها٠ لكن شرط اللاتبعية هذه هو ان توصل كل طائفة استقلالها الذاتي الى حالة بلورة تامة وان تنضم الى الدولة حرة من أي قيد سوى ما تختاره هي ٠ من البيِّن ان في هذا ما يشير (ما دامت السيادة هي شرط وجود الدولة) الى النزوع نحو تحقيق سيادتين ، تكون سيادة الطوائف ، وهي احداهما ، سبيلا يبعد الدولة ـ مبدئيا ـ عن التحول الى مكان نزاع دائم ويحقق سيادتها ، وهي الثانية ٠ هكذا يتولى الغاء الغلبة في المجتمع الاهلي ، أي ارساء سيادات منفصلة في داخله حجب الدولة عن نزاع على الغلبة لم يعد له وجود ٠ وليس لي ، هنا، ان أبحث عن حظ لهذا الحلم في ان يكون منفذا للصيرورة التاريخية التي يرسم علي الزين ملامحها المرَّة ٠٠٠

الوجهة المبتغاة (ما دامت الموضوعية وهما ، لا تعدو فائدته حدود المنهج، وما دام كل تأريخ يصاغ حول حلم راهن) هي وجهة تحلم بالملاءمة بين الاندماج في الدولة والاستقلال عنها ٠ وعلي الزين مؤرخ جماعة طائفية ، لكن الدولة ليست خارج أفقه ٠ جل ما في الامر انه لا يريد لجماعته الدولة التي عرفتها في تاريخها الحديث ولا يريد دولة لها وحدها ٠ نراه يرفض تصديق « بعض المؤرخين » حيث يشيرون الى فرصة الانفصال الوحيدة عن الدولة العثمانية ، التي قد يصح القول انها عرضت للمتاولة (وهي فرصة التحالف بين ظاهر العمر وناصيف النصار) ، فيقول : ان ثورتهم ما كانت الا لتعزيز النفوذ وبسط السلطان ٠٠ ولم تكن للانفصال عن الدولة او الانضمام الى غيرها من الدول العادية (٢) ٠ لا انفصال اذن بل تعزيز للموقع ٠ بينما ينحو التأريخ الماروني الى اعتبار كل عصيان على الدولة الاسلامية نزوعا كامنا أو معلنا الى استقلال لبناني ، ويعتبر صفات الجماعة المارونية وعلاقاتها الداخلية والخارجية ومآتيها

١ ـ شواهد هذه الفقرة في : « للبحث ٠٠٠ » مم٠ ص ٢٤١ ـ ٢٤٤ ٠
٢ ـ « للبحث ٠٠٠ » مم٠ ص ٥٠١ ٠

في المقاومة ـ خرافيا كان تصوير هذه الامور كلها أم واقعيا ـ أدلة متضافرة على جدارة اللبنانيين ـ أو الموارنة نيابة عنهم بنيل الاستقلال ، يسارع مؤرخ شيعي الى تفويت فرصة لاعلان مماثل ٠ لكنه لا ينفي عن جماعته الجدارة٠ فرغم التشديد المتكرر على دور الزعامة الاقطاعية وانقساماتها في اضعاف الجماعة وعلى تبعية العلماء وخنوع العامة ، نجد ، في لحظة مواجهة مع الآخر الطائفي او مع الدولة الغربية ، احكاما في حق جماعة المتاولة جملة تجمع بين الاعتداد والاعتدال ٠ بعد ان يذكر المؤرخ وصف فولني لمعركة سهل الغازية بين عسكر المتاولةو عسكر الامير يوسف الشهابي (ملاحظا ان المؤرخين اللبنانيين ينسبون الهزائم اللبنانية دائما على عسكر الدروز » كأن لم يكن غير الدروز مع الامير » ! (١) ٠ وبعد ان يورد قصيرة شناعة المريجي وما يحف بها من روايات تظهر بطولة المتاولة ، يخلص الى القول : « ليت شعري لماذا نلجأ الى الاحلام والاخيلة في اظهار بطولاتنا ما دام في المؤرخين اللبنانيين من يقول (كذا) ؟ (٢) الجدارة موجودة اذن ، لكنها جدارة بالهوية الموازية لسواها وبالقيمة المكافئة لسواها ، في اطارا لدولة ، وليست جدارة بالدولة المنفصلة ٠

واذا كنت قد لجأت ، للدلالة على هذا ، الى أمثلة متفرقة ، فما ذلك الا لتعزيز الدليل على ان علي الزين يظل وفيا لهدف جعله برنامجا لجهده التأريخي، وهو ينم ، دون لبس ، عن الموقع الذي يريده للجماعة ويجعل الجهد التأريخي سندا له ٠ فهو يكتب صراحة : « اننا حين نحاول درس تاريخنا الاقطاعي على وهج العواطف القبلية او الاقليمية او الطائفية نجني على الوحدة الوطنية ونقضي على مفعولها القومي والانساني في بلد كلبنان تضاربت فيه النعرات (٠٠٠) حتى اوشكت ان تجعل منه برجا من ابراج بابل وان تحول برلمانه الى ما يشبه جمعية أمم (٠٠٠) ٠

« بذلت الجهد (٠٠٠) توضيحا لماضينا السياسي وتحديدا لمحلنا (نحن العاميين والمتاولة) من الشعب اللبناني » (٣) ٠

أما « الماضي » فهو ماضي جماعة استحقت به ـ في نظر علي الزين ـ ان تقف على قدم المساواة مع الآخر (وبخاصة مع الآخر اللبناني) الذي واجهته٠ وأما المحل المرتجى فيحمل معه هذه المساواة الى قلب الدولة اللبنانية، حتى لا تعود « دولة الآخر » (وان بقيت هي «الآخر المفارق» للجماعات) ، وحتى لا يعود علي الزين ابنها الغريب ٠ لا أجهد ذاكرتي لاستعيد برنامجا شيعيا أخذ ، منذ أواسط الستينات ، يطرح نفسه على أنه حل لمشكلة لبنانية عامة (لكن بين

١ ـ « للبحث ٠٠٠ » مم٠ ص ٥٧٢ ٠
٢ ـ « للبحث ٠٠٠ » مم٠ ٥٨٩ ٠
٣ ـ « للبحث ٠٠٠ » مم٠ ص ٢١٣ ـ ٢١٤ ٠

يدي ما يدل على انه يرقى ، بصورة ما ، الى السنوات التي تلت مباشرة تأسيس الجمهورية اللبنانية عـــام ١٩٢٦) (١) • ولا أجهد مخيـلتي لاستحضر قـامة موسى الصدر •

★ ★ ★

لم يبق الا ان نتناول الصورة التي يتشكل فيها زمــن هذا التاريخ الذي يرويه علي الزين • اذا سألنا : بماذا يختلف عهد ناصيف النصار عن عهد حمد بك ؟ فنحن ، لا بد ، واجدون وجوه اختلاف ، بعد شيء مـــن البحث • أما اذا سألنا : ماذا أضاف عهد حمد البك الى عهد ناصيف النصـــار ؟ فان الجـواب يمسي أكثر صعوبة • فنجد ان السياق ينحو الى ان يصير سياق تحولات ويبتعد عن التفتت في التكرار كلما صعدنا نحو قمم الاجهزة والعلاقات ـ أي نحو الحيِّز الذي تحضر فيه الدولة العثمانية فعلا ـ وابتعدنا عن حيــاة العامة المنثورة في المقاطعات • ثمة أسماء ذات وقع مرت من هنا : الجزار ، بونــابرت ، ابراهيم باشا •• وثمة سياق على هذا المستوى يبدو متجها نحو غاية : سيطرة الغــرب سياسة وتجارة وثقافة ، الاقرار بحقوق الاقليات والـــرد عليه ، بزوغ الفكــرة القومية ، الخ ••• » • لكننا اذا وقفنا بين صفوف العامة ، وقعنا في هذه الاعوام المائة ـ وقبلها وبعدها ـ على زمن يغط ويجتر كـــوارثه • في عهــد الاقطاع تتراصف اعوام زمن العامة ، تلامذة في الفلاة لا تجمعهم قاعة ولا يحصيهم معلم ولا يوحد بينهم منهج دراسة • فلا فائدة تقريبا من سنة تزيد ولا ضير من عشر تنقص • ويكتب الركيني (٢) (أو الركينيون الثلاثة) حوليات فيها مـــا فيها : حلول السنة الهجرية وري الارض من المطر وأسعار الحبوب ومـــرور الجراد ووقوع الزلزلة ونزول الوباء وسفر الجزار الى الحج وويلات الحرب وما يصحب ذلك كله من مدهشات •• والوفيات •• الوفيات ، على الاخص • رغم ضحـالة عبارته وركاكة جمله ، يصر الركيني على ارتكاب السجع كلمـــا نعى رجلا ذا اسم • اذا مات ـ مثلا ـ ابن النصار ، فالى رحمة العزيز الجبار ! ولا يصح ان

....

١ ـ عام ١٩٣٠ ابرقت « جمعية العلماء العاملية » (وكانت قد تأسست قبل ذلك بأشهر) الى رئيس الجمهورية تعرض له مطالب متعلقة بحقوق الطائفة (في الوظائف ، في التبغ ، في تخفيف الضرائب ، الخ ••) •• وكانت « العرفان » (مجلة الوحدويين السوريين) قد عودت نفسها منذ زمن على حفز العلماء الى مخاطبة الدولة اللبنانية، أي على الاعتراف بهذه الاخيرة • ويستحق موقف الشيعة العامليين مــن لبنان بين ١٩٢٠ و ١٩٤٣ تأريخا دقيقا • (نشرت « العرفان » برقية العلماء في م ٢٠، ج ٣)•

٢ ـ نشر « العرفان » مذكورات الركيني العجيبة على حلقات موزعـة بين المجلدات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ (١٩٣٧ ـ ١٩٤٠) تحت عنوان « جبل عامل في قرن » • ويستعيد علي الزين في هذا الكتاب وفي « للبحث •• » معظم نص الركيني ، مرجحا ان الركينيين كانوا ثلاثة كتبوا هذه المذكورات الواحد بعد الاخر •

يتوفى ـ مثلا ـ ابو حمد ، الا الى رحمة الفرد الصمد ! كأن رتابة السجع صدى لحتمية الموت ، وهو ، عند الركيني ، ايقاع الزمن الوحيد • فقلما نقع هنا على سانحة تسم القلب ، مثل هذه : « بدأ ابني محمد في القراي (القراءة) (١) » • وماذا يضبط زمن العامة ، عهد الاقطاع ، غير الموت ؟ مواسم الزرع شيء يتكرر، ويحمل الى كل سنة ملامح سابقتها •• هذا ان لم يأت الموسم بالغلاء او بزيادة الميري أي بالموت • وما يجري في دائرة السياسة ، سواء كانت عليا أم وسطى، لا يصل الى العامة الا في صورة الموت (الحرب غالبا) • لا الطبيعة اذن تضيف جديدا الى زمن العامة ولا السياسة • ويظهر جليا ان دخول وتـــائر الدولة الى حياة العامة (ولم يكن قد حصل بعد) هو وحده ما يقيم للاعمار حسابا ما• لم يصل الركيني الى الزمن الذي تضبط فيه الاعمار على صفوف المدرسة أو على الاقدمية في العمل أو على أفق التقاعد • كان زمنه ـ وهو الشيخ البسيط ـ زمن الفلاحين ، ولعله كان ايضا زمن الطائفة الذي يحل الفراغ والتكرار بعد رحلة التأسيس) يبكي الناس مصرع الحسين كأنه صرع أمس •• وكأن جديدا لا يطرأ بعد ان تمت دورة الامامة وكأن مرور الاعوام لا يكاد يبعد أحـــدا عن يوم وقوع الغيبة الكبرى •

في الزمن المتكرر هذا يفطن أحد الركينيين مرة الى حساب عمره : « وفي هذه السنة حسبنا مقدار عمري فوجدناه ثلاثا واربعين سنة ، وأنا العبد الفقير الى الله الغني حيدر رضا بن علي رضا الركيني » (٢) • الى أيـــة زلزلة ، الى أية مجاعة ، الى أية نكبة ، الى وفاة أي واحد من ابناء عـلي الصغير (طبعا الى رحمة العلي القدير !) استند الركيني ليحسب مقدار عمره » ؟ •• وكم سنة كانت قد مضت يومذاك وهذا « المؤرخ » لا يعرف « مقدار عمره » ؟

يعرِّض الشيخ علي الزين تكرارا بسذاجة الركيني •• انمـــا هي سذاجة الزمن يا شيخ علي ! وأنت مؤرخ كبير لهذا الزمن الساذج (٣) • نحن نصغرك بأربعين أو خمسين سنة يا شيخ علي ! وقد مضى زمن كنـــا نحسب فيه اننا في كنف دولة (كانت فاسدة وكنا نحلم بتغييرها) ونحسب ان أعمارنـــا تنمو نحو غاية وانها ستنتهي الى انجاز ما او الى محطة في انجاز • وكنـــا كلما كبرت الكبوات وتعددت ، نقلبها على وجهها الآخر لنرى بشائر النهضة تزداد قربا منا، بينما نحن نتقدم في العمر • ثم جاءت هذه الحرب ، فما أضيع أعمارنا يا شيخ علي ! لا أعرفك ، الا من بعيد ، واسمع منذ زمن بعيد بخفة ظلك •• فأسألك الآن لنضحك معا : كم مضى من عمرك يا شيخ علي ؟ !

....

١ ـ « العرفان » م ٢٩ ج ٣ (أيار ١٩٣٩) ص ٣٠٣ •

٢ ـ مذكور في : « للبحث ••• » مم• ص ٥٩٣ • وفي « العرفان » م ٢٧ ج ٦ (تشرين الثاني ١٩٣٧) ص ٢٥٢٥ •

٣ ـ اقول « زمن ساذج » بالمعنى الذي يقال فيه « ثوب ساذج » أي قليل الحظ من الصنعة •

فصول من تاريخ الشيعة
في لبنان

الواقع التاريخي في عهد الجزار

عطفا على ما تقدم من البحث عن تاريخنا في العهود السالفة نتابع اليوم البحث عما تلا ذلك من الحوادث والاضطرابات في عهد والي عكا احمد باشا الجزار بين سنة ١١٨٩ و ١٢١٩هـ ، مع شيء من الملاحظات والتعليقات المفسرة لما التبست صوره او زيغت معانيه او موهت اغراضه من الحوادث والقصص والاعتبارات عن ان نبلغ بذلك الى ما ينشده القارىء الكريم من الدقة في معرفة ماضي آبائه واجداده وتاريخ امته وبلاده متذرعين بكل الوسائل العلمية الممكنة من عرض للنصوص المختلفة وتبسط في الشرح والمقارنة والتنسيق وتمحيص للنتائج ·

علي الزين

الفصل الأول

لمحة عن حياة الجزار

كان احمد باشا الجزار من اصل بشناقي ، وكان فطنا حازما يتقن الاحتيال والمكر واستغلال الظروف والمناسبات لالقاح الفتن وابتزاز الاموال ، كما كان شجاعا باسلا يحسن الطعن والضرب وسفك الدماء بغير حساب ، ومع ذلك فقد كان يحسن التهكم والسخرية ممن كانوا يتندرون بفظائعه ويبالغون في التجني عليه ، كما كان يميل - بنشأته الاسلامية - الى القول بالقضاء والقدر ، وينزع الى تبني بعض الافكار الصوفية ؟!

وكان قد اتى صغير السن من اقليم البوصنة الى اسطنبول وتيسر له ان يتصل بعلي بك الحكيم والي مصر فأخذه معه الى القاهرة وهناك تنقل في خدمة حكام مصر ولبس لبوس المماليك وبرع في السير على نهجهم وتهيأ له ان يحظى بعطف علي بك الكبير رئيس المماليك وان يصبح مع الزمن في جملة القادة الذين اصطفاهم لنفسه حتى جعله واليا على القاهرة بعد ان استقل بمصر وطرد الوالي العثماني منها ٠

ثم ان الجزار انسل بعد ذلك خفية من مصر حين خاف على نفسه من غدر سيده علي بك - لامور يصعب فهم اسرارها والاقتناع بما يروى منها - وعاد منها الى اسطنبول ثم ذهب لسوريا - في الفترة التي تحالف بها سيده علي بك مع الشيخ ظاهر العمر ومشايخ المتاولة - ليحارب مع والي الشام وامير لبنان خطر هذا التحالف على ولاة الاتراك او كيدا لسيده علي بك ، ثم لما غلب على امره في حكم مدينة بيروت ، وافتضحت خيانته لظاهر العمر عاد الى اسطنبول، وبتقلب الايام وتطور الاحوال السياسية في البلاد عين واليا على صيدا وعكا من قبل الدولة العثمانية ، بعد ان قضت على سلطان الشيخ ظاهر العمر في فلسطين سنة ١١٨٩هـ ، وفي هذه الفترة الطويلة من زمن حكمه برز صورة طبق الاصل لسيده علي بك الكبير ولزميله محمد بك ابي الذهب ، فان من يتصفح سيرة كل من هؤلاء المماليك الثلاثة في نشأتهم وفي تطور حياتهم وفي حروبهم وسياستهم وادارتهم، ثم في خيانة كل واحد منهم لاصحابه واسياده واولياء نعمته

ومبالغتهم في الغدر والفتك وسفك الدماء ـ لا يفرق بين واحد وواحد منهم الا بما تسنى له من ظروف مؤاتية او معاكسة ، بيد ان الجزار في غرائبه وتناقضاته قد يفوق الجميع ٠

فمن غرائب الجزار ، انه كان في كل سنة يقتل في قلعة دمشق جملة من الناس بدون تحقيق ، وقد قتل في احدى السنين مئة وستين رجلا خنقا وفي السنة التي تلتها قتل نحو ستين ، وكان كلما جاء دمشق وهو ذاهب ليحج بالناس او آيب من الحج يعمل مثل هذه الاعمال للارهاب ! (١) ٠

* * *

وكان الجزار يقتل الكبير والصغير من وزراء وافندية وعلماء واغوات ثم يرضي السلطان بالمال ويداريه فيتغاضى عنه ٠ وكان اذا عامل احد المغضوب عليهم بالرفق وعزف عن قتله يجذم انفه ، ثم يصلم اذنه اليمنى ، ثم يقلع عينه اليمنى ولو كان من خواص خدامه ، وكم من بيت خربه بسلب ماله ظلما ، وكم من رجل قتله بعد ان صادره ، وكان لا ذمة له ولا زمام ، خدمه رجال من بيوتات معرفة فلما بدا له قتلهم صادرهم واختلق لهم ذنوبا والقاهم في البحر ! (٢) ٠

٠٠٠ وخرج ذات يوم في عكا قبل الشمس الى باب السراي وامر باغلاق المدينة وقبض على كثيرين من العمال والكتاب والاهالي فسجنهم وكانوا مائتين وثلاثين انسانا ٠ وقبض على النواب وسجنهم ٠ وكان كلما تقدم اليه انسان ، يكشف رأسه وينظر في وجهه فالذي يقول فيه نيشان يرجعونه الى السجن والذي يقول ما فيه نيشان يطلق ٠ ثم انه احضر الفعلة ايضا وصنع بهم كذلك وقبض منهم جملة ، واحضر التجار وارباب الصنائع والحمالين ، وعلى هذا المنوال عامل الجميع فامتلأت السجون ، ومن الغد احضر المغاربة وامر ان يخرجوا السجناء كلهم خارج البلد ويقتلوا الجميع ففعلوا ما امرهم به ٠

قال مدون وقائعه : وكان يوما عصيبا لم تكن تسمع فيه الا صراخ المقتولين ظلما وعويلهم وانينهم ، وبقي القتلى كالغنم مطروحين خارج البلد ، ثم امر ان ينادي المنادي في شوارع عكا ليخرج اهل القتلى لدفن موتاهم واشار الى ان كل امرأة ترفع صوتها تقتل حالا ، فخرج الناس ودفنوا القتلى واصبحوا في كرب عظيم وخوف زائد ، ثم ابتدأ يرسل جنوده يقبضون على الفلاحين ومشايخ البلاد

١ ـ لاحظ ص ٨ ج٢ من خطط الشام للاستاذ محمد كرد علي ٠
٢ ـ لاحظ ص ٢١ ـ٢٢ ج٢ من الخطط ٠

واصحاب المقاطعات فمنهم من يقتله ومنهم من يصلم اذنه ويجدع انفه ويطلقه (١) ٠

ومع ذلك كان يحاول ان يقنع سفير فرنسا بانه رجل لا يتوخى الا العدل حين قال في محاورته : « ان الناس يقولون ان الجزار رجل غليظ الكبد خشن الطبع وهو في الحقيقة قاس بعدل او عادل بقساوة ٠ واني اطلب اليك ان ترجو من القنصل الاول ـ اي نابليون بونابرت ـ الا يبعث الي بمفوض للشؤون التجارية من ذوي العاهات ، اني اريد رجلا سليما لا عرج فيه ولا عور حتى لا ينسب الي اني كسرت ساقه او سملت عينه » !؟ (٢) ٠

ومع هذا الذي لا يحصى من فظائعه وغرائبه وتناقضاته فقد بالغ في بناء مسجده الكبير في عكا على احسن ما يقتضيه اتقان البناء في ذلك العصر ، وبالغ في تأسيس مكتبة له ووقف عليها المئات والالاف من الكتب والمخطوطات الثمينة التي رسم على غلاف كل مجلد منها العبارة التالية « وقف وحبس وسبل هذا (الكتاب) » الحاج احمد باشا الجزار في جامعه المسمى بنور الاحمدية وقفا صحيحا شرعيا ، وشرع ان لا يباع ولا يرهن ولا يتغرب عن محله ، سنة ١٢١٠هـ (٣) ٠

ثم انه كان في الجامع ورعا تقيا جدا يتلو صلاته بصوت مرتفع حار ويسجد السجدات كلها بغيرة في العبادة كغيرة زاهد متبتل (٤) ٠

انسجام مشايخ المتاولة مع الجزار

نحن الان في سبيل البحث عن مدى تضامن مشايخ المتاولة مع الجزار ، ومدى حرصهم على الاستجابة لرغائبه ومتطلباته بعد ان استتبت له الامور ودرجت الايام على سلطان آل ظاهر العمر وكاد ان يصفو له الجو في ولاية صيدا والشام ، ثم في سبيل البحث عما دعا الجزار لانتقامه من مشايخ المتاولة واعيانهم بعد ذلك التضامن والانقياد التام لوحيه وارادته ؟ وليس الى هذا من سبيل الا ما يرويه المؤرخون وخصوصا الذين عاشوا في الفترة التي عاشها ناصيف النصار ، وقبلان الحسن وحمد العباس وحمزة المحمد كالاب افتيموس

١ ـ لاحظ ج٢ ص ٢٢ من الخطط ايضا ٠
٢ ـ لاحظ ص ٢٠٤ ج١ من السياسة الدولية في الشرق العربي للاساتذة اميل الخوري وعادل اسماعيل ٠
٣ ـ لاحظ ص ١٠٠ فصل ١٦ من كتاب النكبات لامين الريحاني ٠
٤ ـ لاحظ ص ٢٨٤ من كتاب رحلة في لبنان تعريب الاستاذ رئيف الخوري عن كتاب سوريا والارض المقدمة لجون كارن ، خلال رحلته سنة ١٨٢٧م ٠

زكار ، والخوري مخائيل ابريك ، وحيدر رضا الركيني ، والامير حيدر احمد شهاب ومن قد روى عنهم وعن امثالهم من المعاصرين للحوادث كالرحالة الفرنسي فولني ، والمعلم طنوس الشدياق ومخائيل نقولا الصباغ ٠

فمن ذلك ما جاء في رسالة للاب افتيموس زكار عن غريفه بتاريخ ١٩ ــ ٨ ــ ١٧٧٦م من قوله « وبعد اخذ دير حنا بعدة ايام وقع القبض من حسن باشا قبدان (قبطان) ومن احمد باشا الجزار على عثمان الظاهر واخوته احمد وسعيد ، وفاضل بن علي ــ وهذا سلموه اهل طبرية ــ وصالح الظاهر ، وعبد العزيز بن عثمان ، ويوسف دبورة كيخية (مستشار) علي (الظاهر) الذي سلم دير حنا ، والكل واضعينهم في الجنزير في حبس عكا وفيما بعد يرفعونهم الى الغلايين (المراكب) قاصدين اخذهم الى اسلام بول » ٠

فلما نظر المتاولة هذه الافعال من الدولة قالوا في نفوسهم ليس بعد مسك اولاد ظاهر الا نحن ، وهكذا عدلوا عن (التفكير في) مساعدة الدولة وساروا الى بلادهم وجيشوا بعساكرهم واستعدوا للالطشة (لمضاربة) الدولة ان هي قارشتهم (تعرضت لهم بأذى) فالدولة فاتت على بلادهم (مرت) الى جسر الاولي وما كلمت احدا من المتاولة ، وجعلوا وطاق العساكر على الجسر والقبدان (القبطان) والجزار حضرا الى صيدا وغلايينهم (ومراكبهم) منها في صيدا ومنها على ميناء بيروت واستعدوا لركبة الجبل (جبل الشوف) واستغاثوا لذلك (بالمتاولة) وما اجابوهم لانهم قالوا في بعضهم ان ساعدناهم على الدروز لا يبقى في السلم سوانا وبعد ان ينتهوا من الدروز يرجعوا علينا ، ولاجل ذلك ما طابقوا معهم ، وعسكر الدولة وحده لا يقدر ان يقحم بلاد الدروز لكنه مع هذا عسكر الدولة ضرب شوية على المزارع في ساحل صيدا لاجل التبن والشعير ونهبوا قمح من بعض مواضع ٠ ومرات كانوا يوصلوا الى حدود كرخا ، واوقات لحدود جون ، والجلالية ، واصحاب هذه المواضع يردونهم » (١) ٠

وبناء على ما تضمنه هذا القول من رسائل الاب العام افتيموس زكار ، فان المتاولة لم يترامو في احضان الجزار لاول وهلة ولا تهافتوا امام قوى الدولة وسطوتها لاول بادرة كما كنا نتوهم ، وانما وقفوا منه ومن عساكره موقف الحياد والحذر الى ان جرت الامور بمجراها الطبيعي وبدا من الجزار ما بدا في زيارته لمدينة صور ومبيته عند الشيخ حمد العباس ثم نزول الشيخ ناصيف النصار بعد ذلك لمواجهته كما يتضح من قول الركيني « وفي سنة ١١٩٠هـ في

١ ــ لاحظ ص ١٧٩ ــ ١٨٠ من تاريخ الشيخ ظاهر العمر للمعلم مخائيل نقولا الصباغ مع تعليقات الاب قسطنطين الباشا ٠

ليلة عشرين من صفر جاء الجزار الى مدينة صور ونام ليلة فيها عند الشيخ حمد العباس » ٠

وقوله « وفيها (١١٩٠هـ) ثاني ربيع الاول ركب الشيخ ناصيف ايده الله الى صور لمواجهة احمد باشا الجزار » ٠

وقوله « وفيها (١١٩٠هـ) في يوم السبت الثاني والعشرين من ربيع الاول ركبت خيل ناصيف وخيل القواطعة مع احمد باشا الجزار على علي الظاهر » ٠

ثم قوله « وفيها (١١٩٠هـ) في يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر ربيع الثاني كبست خيل المشايخ اجمع اعني البشارية والقواطعجية الى بلاد صفد مع احمد باشا الجزار على علي الظاهر » ٠

* * *

لاحظ ص ٣٥٠ من العرفان م ٢٨ : ثم لاحظ ان مجيء الجزار الى مدينة صور في اول سنة من سني حكمه ونزوله عند شيخ القاطعة المتوالي ــ حمد العباس ــ فيه من المعاني ما يشف عن ان الجزار كان يحرص على تطمين المتاولة وتوثيق الصلة بينه وبينهم ، كما ان مواجهة الشيخ ناصيف النصار له في صور بعد ذلك ، تنم عما تخلل هذه المواجهة من تصفية الجو بينهم وبينه ، ثم تعرب عن بداية انسجامهم معه حسب الشروط والتقاليد التي كانت متبعة يومئذ ، ثم يزيد في توكيد هذه المعاني وتوضيحها انهم اشتركوا مع الجزار في مطاردة الشيخ علي الظاهر بن الشيخ ظاهر العمر (حليفهم من قبل) كما بينا فيما اوردناه من اقوال ٠

ولكن المشكل هنا في تاريخ الحوادث التي رواها الركيني عن سنة ١١٩٠هـ فانها اذا كانت متأخرة بتاريخ وقوعها عن تاريخ الحوادث التي يرويها الاب افتيموس زكار في رسالته المرسلة في ١٩ ــ ٨ ــ ١٧٧٦م تكون ملاحظاتنا بمحلها من الصواب في تقدير الموقف الذي وقفه المتاولة من الجزار ، والا فالمسألة بحاجة الى التفكير واعادة النظر فيما اذا كان امتناعهم عن الاشتراك مع الجزار في الغارة على جبل لبنان بعد مجيء الجزار الى صور واتفاقه مع مشايخ المتاولة على مساعدة عساكره في اداء مهماتها ، او كان امتناعهم قبل تلك المرحلة من اجتماع صور ؟ ذلك بأن الامر يختلف في كل من الحالتين ويكون لكل حالة معناها وقيمتها التاريخية المعبرة ٠

واقعة الجولان ومقتل ابي حمد

ثم اشترك مشايخ المتاولة في واقعة الجولان سنة ١١٩٣هـ، ضد حلفاء

والي الشام محمد باشا العظم تقديرا منهم لميول احمد باشا الجزار والي عكا او عملا بوحيه واشارته ويبدو ذلك حيث يروي الشيخ علي سبيتي ويقول « وسنة الف ومایة وثلاثة وتسعين ركب ابو حمد على عرب عنزة فقتل هـو وابن اخيه قاسم المراد ومعهم ماية فارس على نهر الرقاد في الجولان • فركب ناصيف مـن تبنين فهربت العرب فلحقهم للرمثا وقطع البرية ففاتوا هربا فرجع فوجد ولدين صغيرين في الحارة لفاضل المهنا كبير العرب مريضين في الجدري فخلع عليهم ورجع للبلاد » • (١)

وحيث يقول الركيني في مذكراته « وفي يوم السبت يوم التاسع من شهر ربيع الاول ركبت خيل المتاولة مع الصقر والسردية وبني صخر على عرب عنزة رعية فاضل مزيد ، فالتقى الجمعان يوم الاثنين الحادي عشر من ربيع الاول فقتل الشيخ ابو حمد وابن اخيه قاسم المراد ، وسلبت العرب جميع خيل ابي حمد وما ابقت لهم شيئا يستر ابدانهم لانه صادفهم في يوم الواقعة شتاء كثير ومطر غزير، وكل من قطع ماء الرقاد وقعت الهوشة عليه مع الدولة والعرب ، ومن حين رمي ابو حمد ما عاد احد قطع الماء واكثر المسلبين ماتوا من البرد والشتاء العظيم لان الشتاء (بقي) قدر ثمانية ايام بلياليها حتى ان الذيء مات في الهيش جاءت الدولة اليه وقطعت رأسه واخذت الدولة الرؤوس معهم الى الشام رؤوس الذين ماتوا من البرد ورؤوس الذين قتلوا في المعركة • (٢)

ثم حيث يبالغ مؤلف جبل عامل في التاريخ ، ويتوسع في تلوين محتوى هذه النصوص اذ يعرضها على النحو التالي « في سنة ١١٩٣هـ استنصر عرب الصقر وعرب السردين وعرب بني صخر بالشيخ ناصيف النصار على خصومهم بني حسن المرؤوسين لآل المزيد ، وكان آل المزيد قد استنصروا بالحكومة وكان اسم رئيسهم فاضل المهنا فامدهم ناصيف بجيش ذي عدة وعدد وتوجهت الجيوش يوم السبت تاسع ربيع الاول فالتقى الجمعان في نهار الاثنين الحادي عشر مـن ربيع الاول من سنة ١١٩٣هـ في (الجيدور) من اعمال حوران على مقربة من (الحارة) وكان نهر الرقاد يفصل بين القوات المتحاربة وكانت هذه الواقعة في فصل الشتاء وقد استمر المطر ثمانية ايام بلياليها واشتد البرد وتوحلت الارض وكثر الضباب ومل الناس من الانتظار فجازف ابو حمد واجتاز النهر ، والظاهر ان الفرسان كانت تجتازه وهو مثقل باعباء المطر والبرد والعبور ، وكان ذلك اليوم كثير المطر والضباب فانهال الفرسان عليه من كل جانب وهم لا يعرفونه ولم يجد مجالا للقتال ، ومذ تجلى الضباب وتكشف الحرب تبين ان ابا حمد قد

....

١ ـ لاحظ ص ٢٢ من العرفان م٥ نقلا عن مخطوطة الحاج محمد سهيل وناصيف باشـا الاسعد •

٢ ـ لاحظ ص ٣٥٤ من العرفان م٢٨ •

قتل وهكذا كان حال من عبر الهنر ، ولم يجرأ بعده احد على العبور وكل من عبر النهر قتل ، وقد استشهد معه ابن اخيه قاسم المراد النصار صاحب قلعة دوبيه ومائة فارس وقد قطعت الحكومة رؤوسهم ورؤوس من مات من البرد وجردهم اعداؤهم من اللباس وتركوهم عرايا مسلبين » •

وعندمـا فهم بنو حسن بقتل ابي حمد ايقنوا بالهلاك والبوار وتهيؤوا للفرار وطلبوا الفيافي والقفار ولما انتهى الخبر الى ناصيف هب للاخـذ بالثار وطار بما تيسر له من الفرسان واقتفوا اثر المنهزمين فدفدا بعد فدفد ، وكـان المنهزمون يصلون الليل بالنهار لشدة خوفهم وكان ناصيف يسرع في اثارهم الى ان ادرك احدى المنازل وآثار النار لم تزل فيها ، فعلم انـه قد اقترب منهم فجد في السير والطلب ولما لاحت اشـباح الغزاة للمنهزمين ايقنوا بالهـلاك والبوار فنجـوا بأنفسهم تاركين الاثقال والنساء والاطفال فانتهى ناصيف الى منازلهم ورأى آثار التسليم بادية ولم يجد في المنازل احدا من الرجال فعندها حملته سجاياه عـلى العفو والاحسان فأمر الفرسان باعتزال البيوت ونزل هو في بيت كبيرهم ودعا بأكبر اولاد فاضل المهنا وكان له من السن دون العشرة فخلع عليه فروا ثمينا ثم دعا بأولاد الشيوخ والموجهين فخلع عليهم كلا بحسبه فضج الحي ومـن فيه بالدعاء والابتهال • (١)

● الهوامش والتعليقات

اذا لاحظ القراء ان الحرب الباردة كانت قائمة بين والي عكا احمد بـاشا الجزار وبين والي الشام محمد باشا العظم من يوم اختلافهم في امر الشيخ علي ابن الشيخ ظاهر العمر وقتله غيلة على يد القيصرلي (٢) ثم تحـولت الحرب الباردة بعد ذلك الى حرب ساخنة كما يتضح من قول الركيني « وفي سنة ١١٩٤هـ في يوم الخميس خامس وعشرين من شهر رجب ركبت خيل الشيخ ناصيف الى عند الجزار الى عكا لمحاربة محمد باشا باشة الشام » (٣) •

ثم لاحظوا انه كان من تقاليد ولاة الدولة العثمانية ـ اذا تمرد عليهم احد من الناس او غضبوا على حاكم او امير ـ ان يدفعـوا مجاوريه مـن الحكام ورؤساء العشائر مع ثلة من عساكر الدولة لمحاربة من يتمرد عليهم او يغضبون عليـه (٤) •

....

١ ـ لاحظ ص ١٤٦ ـ ١٤٨ من جبل عامل في التاريخ للشيخ محمد تقي الفقيه •

٢ ـ لاحظ ص ٨٣١ ج٢ من نزهة الزمان للامير حيدر طبع مغبغب في مصر سنة ١٩٠٠ ، وص ٤٦٥ م٢٨ من المقتطف وص ٥٦٠ من كتاب للبحث عن تريخنا في لبنان •

٣ ـ لاحظ ص ٧٢٨ من العرفان م٢٨ •

٤ ـ لاحظ ص ١٤٤ من كتاب مع التاريخ العاملي •

ثم لاحظوا مع هذا ان عسكر الدولة كان مشتركا – في واقعة الجولان – مع رجال العشائر العربية التي قتلت ابا حمد النصار وفرسان المتاولة ، وانها اخذت رؤوسهم الى الشام – بدا لهم ولنا من خلال هـــذه الملاحظات ان ارسال الشيخ ناصيف لاخيه ابي حمد وابن اخيه قاسم المراد بمائة فارس من المتاولة للاشتراك مع حلفاء احمد باشا الجزار في واقعة الجولان – ضد عساكر محمد باشا العظم وحلفائه من القبائل العربية – لم يكن بادرة عفوية من ناصيف وانما كان بوحي من الجزار وامتثالا لأرادته ، اذ لا يعقل ان يرسل ناصيف اخاه وابن اخيه مع ماية من فرسان المتاولة ضد والي الشام وضد القبائل المدعومة بعسكر الدولة – حين يكون والي عكا ووالي الشام متفقان معا ضد القبائل التي عضدها ناصيف ، لان في ذلك ما يسخط ولاة الدولة جميعا عليه ويخلق لـه وللمتاولة مشاكل كبيرة لا يعقل ان يتجاهلها ناصيف او يستخف بها احد منهم ، واذا كان عرب آل المزيد قد استنصروا بدولة والي الشام كما تشير القرائن وكما يصرح مؤلف جبل عامل في التاريخ بذلك .

فهل كان اخصامهم من عرب الصقر والسردية وبني صخر غفلة عن مثل هذه الوسيلة ليهملوا امر دولة والي عكا ويتوجهوا لناصيف بدون رخصة مـن الجزار او اشارة من كتابه لناصيف كي لا يتباطأ عن تلبية رغائبهم .

وعليه – اذا صح ان واقعة الجولان هي في حقيقتها واقعة بين والي الشام محمد باشا العظم ووالي عكا احمد باشا الجزار ، وان ناصيف النصـــار انما اشترك برجاله مع جموع والي عكا في تلك الواقعة امتثالا لارادة الجزار وبوحي منه – فلا يصح بعد ذلك ان يطمئن القراء لرواية الشيخ علي السبيتي وقوله في التعقيب على اخبار مقتل ابي حمد « بأن ناصيف ركب بعد ذلك من تبنين فهربت العرب فلحقهم للرمثا وقطع البرية فعافوا هربا فوجد ولدين صغيرين في الحارة لفاضل المهنا كبير العرب مريضين في الجدري فخلع عليهم ورجع للبلاد » (١) .

او يصغي لقول العلامة الشيخ محمد تقي الفقيه « ونزل هو – اي ناصيف – في بيت كبيرهم ودعا باكبر اولاد فاضل المهنا وكان له من السن دون العشرة فخلع عليه فروا ثمينا ثم دعا باولاد الشيوخ والموجهين فخلع عليهم كلا بحسبه فضج الحي ومن فيه بالدعاء والابتهال » . (٢)

ذلك بأن ناصيف كان يعلم ان اولئك العرب لم يكونوا هم قتلة اخيه ابي حمد وفرسانه من المتاولة بل انه كان يعتقد بأن الذين قتلوا من المتاولة لم يقتلوا الا بسيف الدولة وبارادة والي الشام ، والا لما اخذت الدولة رؤوسهم الى الشام؟

١ – لاحظ ص ٢٢ – ٢٣ من العرفان م٥ .
٢ – لاحظ ص ١٤٧– ١٤٨ من كتاب جبل عامل في التاريخ .

فالتفكير بأن يأخذ بثأرهم من العرب فيه ما فيه من الغرابة ودواعي الشك بحكمة ناصيف وتعقله للامور ، او فيه ما فيه من تطرف الرواة ومبالغتهم فـي تلوين الحوادث ، واذا جاز ان يكون الشيخ ناصيف قد ركب من تبنين الى مكان المعركة فلكي يتفقد جثث القتلى ويقف على قبورهم بعض الوقت اداء لحق الرحم وتلبية لنداء العاطفة .

ثم هل كان بني حسن وقبائلهم مقيمين في جبل عامل او بجواره ليفروا من وجه ناصيف ويقتفي اثرهم او ليطمع في ان يدركهم ام انهم كانوا بعيدين بمنازلهم وبمراحل انتقالهم عن ان يدركهم ناصيف ورهطه بأذى ؟

ثم ان الذين صمدوا لابي حمد وفرسان المتاولة وجماهير عـــرب الصقر والسردية وبني صخر وشردوا الجميع ، هل يمكـــن ان يجزعوا او يفروا من مجابهة اخيه ناصيف ليتركوا نساءهم واطفالهم وديارهم عرضة للهوان بمجرد ان لاحت لهم اشباح الغزاة من بعيد ؟؟

ثم بعد : هل كان الشيخ ناصيف – حين حاول ان يخلع الخلع عـلى ابناء قتلة اخيه وقتلة فرسان المتاولة – يجهل ان موضع القصاص والاخذ بالثأر غير موضع العفو والاحسان لتفوته حكمة المتنبي وقوله :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا   مضر كوضع السيف في موضع الندى

واقعة علمان وعانوت وما تلاها من وقائع

وكما اشترك مشايخ المتاولة مع عساكر الجزار وحلفائه في مطاردة علي الظاهر ثم في واقعة الجولان ، فقد اشتركوا مع عساكر الجزار والامير يوسف شهاب في واقعة علمان وعانوت وذلك في الفترة التي قتل الامير يوسف اخاه الامير فندي وقامت الاهالي ضده وفر الى عند الجزار ودفع له ثلاث ماية الف غرش ، واعاده الى حكم البلاد وطمنه وبعث معه عسكرا ، وعندما وصل الامير يوسف بعسكر الجزار الى قرية علمان وعانوت ، جرت بينهم وبين عسكر الامير سيد احمد شهاب معركة انكسر فيها عسكر الامير سيد احمد واهالي البلاد .(١)

وفي هذه المعركة ركب المتاولة بقيادة ناصيف مع عساكر الجزار والامير يوسف ووصلوا بهجومهم الى جزين على ما يرويه الركيني في قوله :

« وفي هذه السنة (١١٩٥هـ) يوم السبت يوم الرابع عشر من ربيع الاول

١ – لاحظ ص ١٢٨ – ١٣٠ ج١ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، وص ٨٣٨ – ٨٣٩ من نزهة الزمان ج٢ مطبعة مغبغب في مصر سنة ١٩٠٠ .

ركب الشيخ ناصيف والشيخ حمد العباس مع احمد باشا الجزار والامير يوسف ابن الشهاب على الشوف وكان الركوب في اول برد العجوز في سابع وعشرين شباط ، ثم انتهى وصول المتاولة مع الشيخ ناصيف الى جزين فحين وصل الخبر الى اهالي الشوف بوصول الذين قلوبهم بحب الله مشغوف ، زعق في الشوف غراب البين ونادوا بأجمعهم الهرب الهرب ، واما حضرة الامير يوسف انتقل الى المختارة وبعذران وجعل يهدم الدور والبنايات ، وارسل الى جناب حضرة الشيخ ناصيف المؤيد المسدد ، ان رايتم — غير مامور عليكم — ان تكفوا العسكر عن القتل والنهب والحريق لان البلاد بلادكم والرعية رعيتكم وامر جنابكم ماضي علينا في الرخاء والضيق ورفيقنا ورفيقكم فرد رفيق وان شاء الله الطريق فرد طريق ، لان غيرتكم ورأيكم السديد الذي بدا معنا وما بذلتموه لدينا ماسبقكم عليه لا اخ ولا صديق . فيجب علينا حفظه على مر الدهور والايام » .

واما اولاد الشيخ علي جنبلاط فقد هربوا الى قرية الريحان وفاتوا جميع ما في ديارهم من الفرش والاثاث ورجعوا خفية الى جباع الى عند الفقهاء بيت الحر لمواجهة الشيخ ناصيف فكان جواب جنابه لهم هذا امر متعلق بالدولة العلية ولكن ان شاء الله عز وجل نبذل المجهود في نظم صالحكم ، ثم بعد ذلك رجعت العساكر بأمر الشيخ ناصيف من جزين الى بلاد بشارة وركبت على الدروز الحملة والغارة (١) .

واقعة الظهر الاحمر

ثم اشترك المتاولة مع عسكر الجزار في واقعة الظهر الاحمر ، وذلك بعد ان ربح الامير يوسف وعسكر الجزار معركة علمان وعانوت وبعد فرار الجنبلاطية الى جبل عامل وفرار الامير سيد احمد الى قرى اقليم المتن ، ثم التقاء الجميع بعد ذلك في (قب الياس) حيث التمسوا هناك من والي الشام محمد باشا العظم ان يولي الامير سيد احمد شهاب وادي التيم الفوقا والتحتا مع البقاع الغربي ، فاستجاب الباشا لطلبهم ووعدهم بالمعونة ووجه للامير سيد احمد العساكر ، وعندما التقوا بعساكر الشام ساروا معها الى راشيا الوادي

---

١ — لاحظ ص ٣٨٠ من العرفان م٢٨ ، ثم لاحظ الاختلاف في توقيت الحوادث ثم الاختلاف بين ما يقوله الركيني هنا وبين ما يقوله الشهابي من : ان الجنبلاطيين ذهبوا في فرارهم من الشوف « الى ديار جبل عامل فنزلوا على حيدر بن فارس الصعبي » او يقوله المعلم طنوس الشدياق من انهم (ذهبوا الى حاصبيا) : ثم يلاحظ من رواية الركيني بعد هذا « ان المتاولة قد توجهوا الى الشوف من جهة جزين لا من جهة علمان وعانوت ، وفي هذا ما قد يشعر بانهم لم يدركوا مكان الواقعة ولم يشتركوا عمليا بمعارك علمان وعانوت » .

واصطدموا بعساكر الامير محمد امير راشيا ومعهم عساكر الجزار والامير يوسف عند قرية الظهر الاحمر وجرت بينهم معركة دامية انكسر فيها عسكر الامير محمد شهاب امير راشيا واعوانه من عساكر الجزار والامير يوسف (١) .

وفي هذه المعركة ركبت خيل المتاولة اجمع وتوجهوا — بوحي من الجزار — نحو حاصبيا ليشتركوا مع عساكر الامير اسماعيل شهاب في نجدة الامير محمد امير راشيا ضد عساكر محمد باشا العظم وعساكر الامير سيد احمد كما يبدو من رواية الركيني وقوله « وفي هذه السنة (١١٩٥هـ) ركبت خيل المتاولة اجمع مع الامير اسماعيل (شهاب) على دولة الشام وكان الركوب يوم السبت يوم العشرين من ربيع اخر ، وذكروا انها صارت بين دولة الشام وبين اهالي راشيا الدروز وقعة عظيمة وقتل بينهم قدر ثلاثماية رجل وكانت الوقعة في ارض الظهر الاحمر (٢) .

واقعة قب الياس

ثم اشترك المتاولة مع عساكر الجزار في معركة (قب الياس) وذلك عندما عاد الامير سيد احمد من معركة الظهر الاحمر الى قب الياس وعاد اليه الجنبلاطية واستنجدوا بمحمد باشا العظم فامدهم بقوة من عسكر الشام ، فسار اليهم الامير يوسف بما عنده من عساكر الجزار وعساكر اللبنانيين ودارت الحرب بين الطرفين في ارض قب الياس وانهزم الامير سيد احمد مع عساكر الشام (٣) .

وفي هذه المعركة اشترك المتاولة ايضا مع عساكر الجزار وعساكر الامير يوسف ضد عساكر والي الشام وعساكر الامير سيد احمد ، على ما يرويه حيدر

---

١ — لاحظ ص ١٣١ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين ج١ ثم ص ٦٠ من اخبار الاعيان ج٢ ، من الطبعة الثانية ١٩٥٤ ميلادية .

٢ — لاحظ ص ٨٣٢ من العرفان م٢٨ ، ثم لاحظ ان المتاولة — حسب رواية الركيني هذه — قد ركبوا لينضموا الى عسكر الامير اسماعيل امير حاصبيا ويتوجهوا معه نجدة للامير محمد امير راشيا وحلفاءه من عساكر الجزار والامير يوسف ضد عساكر محمد باشا العظم والامير سيد احمد وحلفائهم من اللبنانيين : لكن الامير اسماعيل لم يتوجه معهم للحرب ضد محمد باشا العظم بل مال اليه وتوسل به ليمنع عساكر الامير سيد احمد وعسكر الشام من الوصول الى حاصبيا ، وميل الامير اسماعيل لعدو الجزار الاكبر محمد باشا العظم وتخلفه عن نجدة عساكره وعن امتثال اوامره في مساندة امير راشيا ربما اثر على عزم مشايخ المتاولة وعلى سيرهم لنجدة حلفاء الجزار عى حلفاء خصمه محمد باشا العظم .

٣ — لاحظ ص ١٣٢ ج١ ، من لبنان في عهد الامراء الشهابيين وص ٦١ من اخبار الاعيان ج٢ طبعة سنة ١٩٥٤ .

رضا الركيني في قوله « وفيها سنة (١١٩٥هـ) فـي يوم الخميس ركبت خيل المتاولة اجمع مع الامير يوسف بن ملحم الشهاب الى البقاع على الامير السيد احمد ودولة الشام ومحمد باشا العظم و (كان) دولة احمد باشا الجزار باشة صيدا مع الامير يوسف وكان الركوب يوم الثلاثين من جمادى الاولى مـن هذه السنة » ٠(١)

٠٠ ومـاذا بعـد ؟؟

٠٠ ثم ماذا بعد واقعة قب الياس التي وقعـت في جمادى الاولى سنة ١١٩٥هـ ، هل جرى بعدها من الحوادث ما يشوش العلاقات بين مشايخ المتاولة ودولة الجزار ؟

انني مع كل ما بذلت من جهد في البحث عما قد يسخط الجزار ـ ويقلقه من تصرفات مشايخ المتاولة ومواقفهم تجاه سياسته وتطلباته منهـم في هذه الفترة بين جمادى الاولى وشوال من سنة ١١٩٥هـ ـ لم ار فيما يرويه المؤرخون ما يدعو الى شك الجزار بمشايخ المتاولة او يوجب سخطه وثورته عليهم سوى ما يحدثنا به الامير حيدر احمد شهاب من « ان الامير يوسف شهاب لما قتل اخاه الامير افندي وخاف من نقمة الاهالي عليه فر الى عكا ، وعند وصوله الـى بلاد المتاولة التقاه الشيخ ناصيف النصار ونهاه عن النزول الى عكا وقال له ، انـه يسلمه بلاد المتاولة ويكون هو تحت يده فما قبل الامير يوسف وظل سائـرا في طريقه » (٢) ٠

فاذا افترضنا صحة هذا القول الذي يمثل الشك بسياسة الجزار وامانته ويتضمن التحذير من غدره وسوء نيته ، ثم افترضنا ان يكون قد وصل هذا القول الى مسامع الجزار بطريق من طرق الوشاية والدس ٠

فهل في هذا القول وحده ما يكفي لان يكون سببا لنقمة الجزار وثورته على

....

١ ـ لاحظ ص ٨٣٢ من العرفان م٢٨ : ثم لاحظ ان المتاولة قد ركبوا مـع الامير يوسف للاشتراك في معركة قب الياس امتثالا لرغبة الجزار ، فلا ادري كيف تجاهل مؤرخو لبنان القديم والحديث اشتراك المتاولة في هذه الواقعة ؟ وعلى كل سواء تجاهـل مؤرخو لبنان وجود المتاولة في هذه المعركة لان المتاولة لم يعتبروا من اللبنانيين قبل الانتداب الفرنسي على لبنان وسوريا او تجاهلوا المتاولة في معارك عانوت والظهر الاحمر وقب الياس تهاونا بهم او تنكرا لمكانتهم القتالية ، فانه من المؤكد ان المتاولة قد لبوا طلب الجزار والامير يوسف بركوبهم للقتال معهم ، وبانهم لم يتخلفوا قط ، وان ركوبهم في كل مرة ينتدبونهم للحرب فيه تعزيز لمعنويات الجيش الذي يؤيدونـه وفيه امتثال واطاعة للاوامر ولو لم يصلوا الى قلب المعركة ٠

٢ ـ لاحظ ص ٨٣٨ من نزهة الزمان ج٢ من طبعة مغبغب في مصر ٠

مشايخ المتاولة ؟ ام ان هناك اشياء اخرى لم نصل بعد الى مصادرها او كشف حقائقها ؟؟ هذا اذا صح ان اعمال الجزار الكيفية واجراءاته التعسفية وعقده النفسية يمكن ان تأول او تعلل حسب الاصول والقواعد المنطقية ؟

واقعة يارون ومقتل ناصيف سنة ١١٩٥هـ

يقول الركيني « وفي سنة ١١٩٥هـ في يوم الاثنين خامس شوال صار بين الشيخ ناصيف وبين دولة احمد باشا الجزار وقعة في ارض يارون وقتل الشيخ ناصيف وحزنت عليه المتاولة اجمع الى مرجعيون !! وصار الامير اسماعيل يعد النساء ويأخذ عليهن خفرا ، كما اخذ العداد والخراج ، وهـدمت الدولة القلع واخذوا ما في القلعة وهدموها ، وهرب المشايخ الى بلاد بعلبك ، والشيخ قبلان واخوته الى الشام وجعل الامير اسماعيل (اميـر حاصبيا) يمسـك اتباعهم ويبلغهم بأمر الجزار ، وجعلت الدولة تأخذ من الرعية الاموال والخيل والسلاح ، وكانت هذه السنة سنة خوف وجزع وذهر شديد » (١) ٠

الواقعة كما يرويها الامير حيدر شهاب

ويقول صاحب نزهة الزمان « وفي السنة ١١٩٧هـ و ١٧٨٢م بعد رجوع احمد باشا الجزار الى عكا جعل يفرغ جهده في امتلاك بلاد بشارة كمـا امتلك بلاد صفد ، وكان المتاولة متحصنين في القلع ومستعدين للقتال ، وهـم ثلاث قبائل تحت رئاسة ثلاث عائلات ، وهم بنو عـلي الصغير ، ومقدمهم الشيـخ ناصيف النصار ، واخوته ، وبنو منكر فريق منهم مقدمه الشيخ محمد الحسن وعشيرته ، والاخر مقدمه الشيخ حيدر الفارس » ؟؟

وكان عندهم ابطال لا تطاق في الحرب وكان قد جرى بينهم وبين الجزار وقائع كثيرة ولم يظفر منهم بطائل ؟؟ فجهز لهم هذه المرة عسكرا عظيما ولما بلغ الشيخ ناصيف النصار قدوم العسكر جمع رجالـه ونادى بقبائل بنـي متـوال فاجتمعوا اليه من القبائل الثلاثة لانه كان كبير المشايخ والجميع ينقادون اليه ، وسار بتلك العساكر قاصدا عسـكر الجزار وانتشب بينهم الحـرب وحمل في مقدمة العسكر الشيخ ناصيف النصار ولم يلبث ان اصابته رصاصة في رأسه فقتل ، ثم قتل اخوه ابا حمد وكان يعد في الحرب بألف فارس ؟؟

فانهزمت المتاولة واخلت البلاد ودخل عسكر الجزار بلاد بشارة وتسلموا قلعة هونين وقلعة يونين (تبنين) وحاصروا قلعة شقيف ارنون وكان بها الشيخ

....

١ ـ لاحظ ص ٨٣٢ من العرفان م٢٨ ٠

حيدر الفارس وبعد ايام سلم فاخذوها بالامان ثم قتلوا كل من فيها وتسلموا قرية صباع (جباع) وتفرق عسكر الجزار في تلك البلاد ، وباد اسم بني علي الصغير وبني منكر ، والذين سلموا من الحرب هربوا مع اولاد الشيخ ناصيف النصار الى بلاد عكار واجتمعوا بمحمد بك الاسعد (المرعبي) . لاحظ ص ٨٤١و٨٤٢ من نزهة الزمان ج ٢ من طبعة مصر سنة ١٩٠٠م .

● الهوامش والتعليقات

١ ـ يلاحظ ان الركيني لم يذكر لهذه الواقعة اي سبب ولا فصل كيف وقعت ولا ذكر اسماء القادة الذين اشتركوا فيها من كلا الطرفين مع ان الحوادث التي رواها قبل ذلك تنفي ان يكون لهذه الواقعة اي مبرر من قبل الجزار او من قبل المتاولة ؟؟

٢ ـ ثم يلاحظ ان الشيخ حيدر الفارس هو من العائلة الصعبية وهي مستقلة بنسبها وبمقاطعتها من اقليم الشقيف عن بني منكر ومقاطعاتهم في اقليمي الشومر والتفاح فكيف جعلها المؤرخ الشهابي فرعا من فروع آل منكر ؟

٣ ـ ثم يلاحظ ان ابا حمد اخا الشيخ ناصيف النصار لم يكن حيا في هذا الوقت الذي وقعت به واقعة يارون سنة ١١٩٥هـ ذلك بأن ابا حمد هذا قد قتل في واقعة الجولان سنة ١١٩٣هـ كما تقدم من اخبارها في هذا البحث ، فعده من ضحايا واقعة يارون خطأ واضح من الشهابي .

٤ـ ثم يلاحظ من رواية الركيني والسبيتي وغيرهم ان جل الذين سلموا في هذه الواقعة من مشايخ المتاولة واعيانهم قد فروا الى بعلبك والهرمل والشام، ومنهم من ذهب الى العراق ، ثم الى الهند ، لا الى عكا كما تنص رواية صاحب نزهة الزمان .

٥ ـ ثم ان من يلاحظ سلسلة الحوادث التي اشترك بها المتاولة منذ ان حكم الجزار في ولاية صيدا الى ان حدثت واقعة يارون سنة ١١٩٥هـ ، يدرك ان مشايخ المتاولة مع الشيخ ناصيف النصار نفسه كانوا دائما مع الجزار يأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه ويشتركون مع عساكره واعوانه من القادة في كل معركة ينتدبهم اليها ، فكيف نطمئن بعد الى هذا القول الذي يقوله الامير حيدر احمد شهاب ومن يروون عنه من « انه كان بين الجزار وبين مشايخ المتاولة حروب ومعارك كثيرة » قبل معركة يارون التي قتل بها الشيخ ناصيف ؟ ثم كيف نفسر البواعث الحقيقية والاسباب التي دعت الى حدوث واقعة يارون ، اذا لم نأخذ بعين الاعتبار رواية الشيخ علي سبيتي وقوله « وفي سنة خمسة وتسعين والف ارسل الجزار عسكر الى حاصبيا فجاء الى يارون فظن اهل بلاد بشارة

ان العسكر يريدهم فحضر ناصيف وصارت وقعة ناصيف وخربت البلاد ، وقيل ان عسكر الجزار حضر للبلاد بواسطة صاحب قلعة هونين وصار قتل ناصيف بواسطته وظن ان البلاد تصفى له فلم يبقي على احد منهم » .

* * *

لاحظ ص ٢٢ـ٢٣ من العرفان م ٥ نقلا عن مخطوطة الحاج محمد سهيل وناصيف باشا الاسعد ، ثم لاحظ ان رواية السبيتي هذه اقرب الى التصديق مما يرويه الشهابي وبقية المؤرخين العامليين الذين تأثروا بقول الشهابي وبروايته: ذلك بأن الجزار كان مستاء يومئذ من امير حاصبيا الامير اسماعيل شهاب لميله الواضح الى عدوه الاكبر محمد باشا العظم وتوسله به ليمنع عسكر الامير سيد احمد وعسكر الشام عن الوصول الى حاصبيا ، ثم لتخلف الامير اسماعيل ـ بسبب ذلك ـ عن نجدة احلاف الجزار في معركة الظهر الاحمر التي انتصر بها احلاف والي الشام على احلاف والي عكا ، وربما اتهمه الجزار بأنه قد ثبط عسكر المتاولة عن الوصول الى الظهر الاحمر لنجدة حلفائه ضد عساكر والي الشام وحلفائه ـ اذا صح ان المتاولة لم يصلوا بعساكرهم الى مكان المعركة ، اضف الى ذلك ان الامير اسماعيل امير حاصبيا كان يسعى دائما للصلح بين اعداء الجزار من مشايخ الدروز وامرائهم الذين كان الجزار يكره اتحادهم ويخاف منه على مخططاته السياسية ومساوماته النفعية .

* * *

وان في كل واحدة من هذه المحاولات والمخالفات ما يوجب سخط الجزار على امير حاصبيا فكيف بهذه الهنات كلها اذا تجمعت في سجل الامير اسماعيل عند الجزار ؟؟ ولكن مفاجأة الشيخ ناصيف والمتاولة واعتراضهم لعسكر الجزار في ارض يارون حولت الجزار عن عزمه وشغلته عن امير حاصبيا الى ان انتهى من اجتياح بلاد المتاولة ومن القضاء على نفوذ مشايخهم ، ثم تفرغ لامير حاصبيا على ما يبدو للقارىء من تفاصيل حوادث سنة ١١٩٨هـ .

ثم لاحظ ان الشيخ قبلان الحسن صاحب قلعة هونين معروف بأنه كان عاقلا متحفظا يحسب للعواقب حسابها ، ثم معروف بأنه كان على صلة تامة بالولاة من آل العظم اخصام الجزار وانه كان يتردد عليهم ويضمن منهم مقاطعة القنيطرة (في الجولان) .

ثم لاحظ ان الشيخ قبلان هذا لما فر ـ بعد واقعة يارون ـ فر الى الشام وان محمد باشا العظم والي الشام وخصم الجزار قدم للشيخ مساعدة مالية لدى قدومه ، ثم اقطعه مقاطعتي الهرمل ورأس بعلبك لهذا نشك بأن يكون بين

الشيخ قبلان وبين الجزار هذه العلاقة الخاصة التي تشجعه على الوشاية بابن عمه ناصيف ، لو صح انه كان بينه وبين ابن عمه شيء من سوء التفاهم الى حد يحمله على الوشاية به ، بل ربما كان بين الشيخ قبلان وبين الجزار قدر من الشك والتحفظ والحذر يمنعه من ان يركن الى الجزار في مثل هذا العمل المريب لو جاز ان يكون قد فكر فيه؟

* * *

ثم لو ان هناك وشاية من الشيخ قبلان على الشيخ ناصيف لاستغلها الجزار في زرع الفتن وخلق الاحقاد واشعال الحروب بين مشايخ المتاولة الى ان يهلك بعضهم بعضا ، كما زرع الفتن واشعل الحروب بين الامراء اللبنانيين ثم امراء وادي التيم من الشهابيين الى ان اذلهم وجعل بعضهم يقتل بعضا وهو في عكا يدخن (الشبق) ويقبض مئات الالوف تقدمة منهم ثمنا لرضاه ومساعدته على ان ينكل بعضهم ببعض ·

بل ان الذي يبرر قول السبيتي (بأن عسكر الجزار الذي مر بأرض يارون كان قاصدا حاصبيا) هو ان الجزار كان في غنى عن قتل ناصيف النصار بهذه الصورة المكشوفة اذ كان باستطاعة الجزار ان يستمر على خطته في استخدام ناصيف وجيش ناصيف في الحرب ضد بقية اخصام الدولة واخصام الجزار الى ان تتلاشى قوى ناصيف ويتبدد اعوانه ويبقى عاجزا عن كل حركة تخيف الدولة او تخيف الجزار منه ومن المتاولة كما استخدمه من قبل في الحرب ضد الشيخ علي الظاهر ثم ضد امراء الدروز ، ثم ضد احلاف محمد باشا العظم وعساكره من القبائل العربية الى ان استشهد اخوه ابو حمد وابن اخيه قاسم المراد مع ماية من فرسان المتاولة كل ذلك امتثالا لاوامر الباشا واخلاصا لوجيه ، ثم ما الذي كان يمنع الجزار ان يدعو الشيخ ناصيف الى عكا ويعتقله او يقتله ويضع مكانه من يشاء من الحكام كما كان يفعل مع امراء لبنان ، لو ان هناك وشاية من مشايخ المتاولة على ناصيف او كان لناصيف جرم ملحوظ لدى الجزار واعوانه ؟؟ او لو كان بينه وبين الجزار ما يوجب ان يقتله او يقضي عليه ·

وعليه فلا ندري اي الروايتين اقرب للواقع التاريخي ، رواية الفاضل السبيتي ام رواية الركيني الابن ؟؟ ولولا ان الركيني الابن يتناءى في رواياته عن التقيد بالواقع وملابساته جهلا منه بحقيقة الواقع او استهتارا به ، ولولا ذلك الشياع الذي بات يرجح رواية السبيتي لدى ادباء آل الصغير واعيانهم كالحاج محمد سهيل وناصيف باشا الاسعد الذين أخذت رواية السبيتي عن مخطوطهما لولا ذلك لبقينا في حيرة من امرنا وامر الرواية التي يصح ترجيحها والاعتماد عليها ·

* * *

ثم انه مع كل هذه التحفظات والملاحظات المعقولة بافتراضاتها يبقى هناك سؤال يهمس في وجدان كل باحث ، وذلك كيف قدر لناصيف ان يشعر بأن هذا العسكر الذي نزل او مر بقرية يارون ، كان يقصد الايقاع به وبانصاره من المتاولة ؟؟ ثم كيف استطاع بهذه السرعة الخاطفة ان يجمع قوى المتاولة لمباغتة هذا العسكر قبل ان يغادر اراضي يارون ؟ لو لم يكن في الامر سر بالغ الاثر على تفكير ناصيف وحدسه ، ولو لم يكن وراء الكواليس ما وراءها من عوامل التحفز والانقضاض على عسكر الجزار في يارون ؟؟ ومثل هذا السؤال يبقى واردا الى ان يتاح لنا من القرائن والنصوص التاريخية ما يجيب عليه بدقة ووضوح ·

* * *

اما ما يقال من ان ناصيف اسرع لصده بشرذمة من خيله لا تزيد عن سبعماية فارس كانت ترابط معه دائما في حصن تبنين فقول يتنافى مع ابسط الحقائق العلمية ذلك بأنه لو اتينا اليوم بسبع ماية رأس خيل دون الفرسان ثم ادخلناها قلعة تبنين فانها لا تتسع بفسحاتها واقبيتها لاكثر من نصف هذا العدد؟ فكيف كانت اذن تتسع في ايام ناصيف لسبع ماية من الخيل والفرسان ؟؟ وهل كانت اوسع مما يدور عليه صورها اليوم ؟ ثم هل كانت ميزانية حاكم مقاطعة تبنين تقوى على تحمل نفقاتها السنوية التي تبهظ ميزانية والي الايالة · (١)

وهكذا الشأن فيما يقال من انه « عندما حمل – ناصيف – على فارس كان يبارزه في معركة يارون واذا بفارس آخر زنجي اطلق عليه الرمح فأصابه بجرح ثبت له وانثنى كارا عليه وضربه بالسيف فقتله وبينما هو كذلك واذا بثلاثة فوارس آخرين قد هجموا عليه فاراد ان يثني عنان جواده نحوهم فزلت نعال الجواد على بلاطة صخرة مستوية فسقط هو والجواد فحمل عليه اولئك الثلاثة واطلق احدهم الطبنجا فاصابته وطعنه الاخر في صدره فغودر عند ذلك قتيلا » (٢) ·

فان مثل هذا القول لا يبرره منطق ذلك بأن حرب الهجوم والمباغتة كالحرب التي جرت في قرية يارون لا تفسح مجالا لمبارزة الافراد بالرماح ، ثم ان شيوع الاسلحة النارية في زمن ناصيف وخصوصا عند عساكر الدولة لا تبقي مجالا لاستعمال الرماح عند الشدة ، ثم ان قائدا كناصيف النصار محاطا بالرجال والفرسان لا يتسنى لاخصامه ان ينفردوا به او يعزلوه اثناء المعركة او يتغلبوا عليه خلسة بمعزل عن رجاله كما تصوره رواية العلامة الفقيه ·

١ – لاحظ ص ١٢٧ من تاريخ جبل عامل للاستاذ جار ·

٢ – لاحظ ص ١٥٦ من كتاب جبل عامل في التاريخ للعلامة الفقيه ·

قصة انتقام الجزار من امير حاصبيا

عندما عللنا قول السبيتي « بأن عسكر الجزار الذي مر بقرية يارون كان قاصدا حاصبيا » عللناه بما كان من نقمة الجزار على امير حاصبيا لتخلفه عن نجدة عساكر الجزار والامير يوسف وامير راشيا في واقعة الظهر الاحمر ، ثم لميل امير حاصبيا الصريح نحو عدو الجزار الاكبر محمد باشا العظم والي دمشق الشام وتوسله به ليبقيه حاكما على حاصبيا وليمنع عنها عساكر الشام وعساكر دروز لبنان ، ثم لمساعي امير حاصبيا المتنوعة في التأليف بين مشايخ الشوف وامرائه الذين كان الجزار يكره اتحادهم وتآلفهم صونـــا لمخططاته السياسية ومساوماته النفعية ٠

* * *

لهذا توجه بنقمته الى الامير اسماعيل شهاب امير حاصبيا بعد ان استولى على بلاد المتاولة وقضى على نفوذ مشايخهم الذين اعترضوا طريق عسكره الى حاصبيا ، وذلك بأن عزل الامير اسماعيل عن مقاطعة مرجعيون لانها كانت تابعة لولاية صيدا ، ولم تكن كمقاطعة حاصبيا تابعة لولاية الشام ، وطلب الى الامير يوسف شهاب امير الشوف ان يستولي عليها ٠

فلما انعم الجزار بها على الامير ارسل الشيخ بشير النكدي ومعه جملة رجال فاستولى عليها وضبط ما للامير اسماعيل هناك من محصولات فبلغت ما ينيف على خمسين الف غرش ، وكان حاكم حاصبيا يؤدي عنها في كل سنة ، ستة الاف غرش وكان جل اعتماده في معيشته عليها بل كان اكثر نفقاته ونفقات خاصته من ريعها ، فتضايق الامير اسماعيل من جراء ذلك وسار الى دير القمر وارتمى على الامير يوسف وشكا له ما لقيه من المضايقة عند خروجها من يده وعاهده على ان يدفع له خمسة وعشرين الف غرش اذا تركها وتوسط بينه وبين الجزار ، فأبى وامتنع فكرر الاستغاثة به وتواضع له حتى قيل انه قبل قدميه فلم يزد الامير يوسف الا قسوة عليه وتمسكا بها ٠

ولما رأى الامير اسماعيل خيبة ظنه ورجاه عاد الى حاصبيا فاشار عليه الشيخ قاسم جنبلاط بأن يدفع الى الجزار على ولاية البلاد ومرجعيون ثلاثمائـــة الف غرش وهو يتعهد معه للجزار بذلك ٠ فكتب الى الجزار بهذا الشأن فأجابه الى ذلك وطيب قلبه واستدعاه اليه واعدا اياه بالولاية بشرط ان يكـــون احد الامراء الشهابية شريكا له فيها ـ وذلـــك لايناس الاهالي به ـ فســـر الامير اسماعيل ، وكتب الشيخ قاسم الى الامير سيد احمد شهاب يشير عليه ان يكون متحدا مع الامير اسماعيل فاجابه مستنهضا همته فكتب الامير اسماعيل والشيخ

قاسم الى الجزار يخبرانه بما كان وتعهد له الامير أسماعيل بمشاركة أحد الشهابيين اللبنانيين حسب امره وكفل له الشيخ قاسم ذلك المبلغ ، فأبقى الجزار الرسل عنده في عكا وارسل الى الامير يوسف يخبره ويخيره ؟!

فجمع الامير يوسف مناصب البلاد فوافقوه على قبول الدفيعة الا الشيخ قاسم فانه افسد رأيهم واقنع الامير يوسف بالقتال فأذعن الامير لرأيه وتهيأ للقتال وكتبت المناصب للجزار انهم لا يقبلون دفيعة على بلادهم ٠

فحنق الجزار وارسل يستدعي الامير اسماعيل مـــن حاصبيا الى جبل الريحان فقدم برجاله ، فارسل له الوزير عسكرا من الارناؤوط الى قرية جباع الحلاوة ، فجمع الامير يوسف عسكرا وارسله الى جزين مع مدبره الشيخ سعد يقدمهم الامير فارس يونس ومعه امراء حاصبيا الامير اسعد واخوه الامير قاسم ابناء الامير سليمان اخي الامير اسماعيل ، فجرى بينهم وبين عساكر الجزار عدة مواقع كان النصر فيها لعسكر البلاد ٠ ولما اجمع رأي عساكر البلاد ان يباغتوا الامير اسماعيل (في جبل الريحان) اخذ الشيخ قاسم يوهمهم ويثبطهم وارسل للامير اسماعيل سرا ان يقوم بعسكره حالا الى صيـــدا فنهض الامير اسماعيل الى صيدا ، واخذ عسكر البلاد ينهب ويحرق في بلاد الجزار ٠

واستدعى الامير يوسف متاولة جبل عامل من عكا واطلق لهم المخرقة (الغارة) في بلاد الجزار ولا سيما بلاد بشارة وامدهم بالاسلحة والخيل ، فشنوا الغارة على عامل تبنين وقتلوه وسلبوا ما وجدوه هناك ٠

اسر امير حاصبيا وموته

ثم ظل الجزار يحاور الامير يوسف والامير اسماعيل ويداورهما خداعا ومكرا ـ الى ان تعهد له الامير يوسف بألف الف غرش على ان يوليه جبل الشوف ومقاطعة حاصبيا فخلع عليه خلع الولاية واصحبه بالعساكر الكافية فسار بها الى دير القمر ، وباغت الامير اسماعيل وقبض عليـــه وزجه بالسجـــن الى ان مات ٠ (١)

اما كيف مات فقد اختلفت اقوال الرواة في ذلك فمنهم من قال مات قهرا ، ومن قال مات خنقا ، ومنهم من قال ان الامير يوسف امر بسمل عينيه ، ثم بخنقه

١ ـ لاحظ ص ٦٣ ـ ٦٨ من اخبار الاعيان ج٢ طبعة بيروت سنة ١٩٥٤ ، ثم ص ١٣٥ ـ ١٤٠ مـن (لبنان في عهد الامراء الشهابيين) ج ١ ، ثم ص ٨٤٣ ـ ٨٤٨ مـن نزهة الزمان ج٢ طبع مصر ٠

بعد ذلك وكتم خبر موته ثلاثة اشهر خوفا من الجزار لانه كان قد اوصاه به او خوفا من الناس ان ينقموا عليه ؟ وممن ينص على انه سمل عينيه وخنقه وهو مؤلف تاريخ الجزار حيث يقول « وبهذا العهد (١٧٨٥م) فالامير يوسف بعد ضبط مال الامير اسماعيل حاكم حاصبيا امر بقلع عينيه وبعد مدة قتله · وكذلك عمل في محمد القاضي (قاضي الدروز) الذي كان متفقا معه وزاد على تقليع عينيه بأن قطع لسانه وبواهم يديه ثم قتله · (١)

١ ـ لاحظ ص ٤٠٣ من تاريخ الجزار طبعة سنة ١٩٥٥ ، ما يقوله الخوري حنانيا المنير الزوقي ·

المعارك بين جزين وجباع

سنة ١١٩٨ هـ

يقول الخوري حنانيا المنير « وفي سنة ١٧٨٤م تحرك احمد باشا الجزار ضد الامير يوسف شهاب وبعث فطلب منه السلاح الموجود في البلاد ، فأرجعه الامير المذكور ودفع له ثلاثماية كيس لاخذ خاطره فلم يرض بل حرج على ارسال السلاح ، فالامير يوسف وحكام البلاد انكروا هذا الطلب ولم يرضوا به واستعدوا للحرب مع الوزير ، فوجه لهم عسكر ، وجمع الامير يوسف عسكر ايضا وتلاقوا في اراضي جباع فوق مدينة صيدا واشتبك الحرب وبدأ القواص والطعن والضرب وانتخت المناصب وتشددت الحكام واتفقوا على رأي واحد ونادوا يا لبني مدرز ، يا لغيرة العرض والحريم ، وتصلبوا في القتال فكسروا عسكر الوزير وقتلوا منه ماية نفر فولوا الادبار ولجوا الحصار » · (١)

١ ـ لاحظ ما يرويه الخوري حنانيا المنير ص ٣٩٤ من تاريخ الجزار طبعة بيروت باشراف وتحقيق الاب انطنيوس شبلي اللبناني ، والاب اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي ، ثم لاحظ ما يرويه المعلم طنوس الشدياق عن هذه الواقعة ايضا « من انه لما ارسل الامير اسماعيل والامير سيد احمد الشهابيان للجزار يتعهدان له بثلاث ماية الف غرش اذا هو اسند اليهما حكم البلاد ، ابقى الجزار رسلهما عنده في عكا وارسل للامير يوسف يخبره ويخيره ؟! ولكن الشدياق لم يصرح بالشيء الذي خيره به الجزار بل قال واستعد الامير يوسف والمشايخ للحرب » ·

(لاحظ اخبار الاعيان ج٢ ص ٦٤ من طبعة بيروت لسنة ١٩٥٤ · بل ص ٦٣ ـ ٦٤) ·

ثم لاحظ ما يورده الامير حيدر احمد نفسه في تاريخه الكبير عن هذه الوقائع بين جباع وجزين من « ان الامير يوسف تهيأ للحرب والتمرد على الجزار وعساكره بمجرد ان عرف ان خاله الامير اسماعيل واخيه الامير سيد احمد قد ذهبا لعند الجزار ، وان الجزار مال اليهما ، يعني ان الامير تهيأ للحرب بدون ان يلح عليه الجزار بطلب شيء من المال او السلاح ؟؟ =

ثم يقول « وكذلك المتاولة اذ بلغهم ان الدروز عمدوا على حرب الجزار وانهم جمعوا عسكرا واتفقوا على ذلك ، فهم ايضا نبهوا على بعضهم واجتمعوا من كل فج وغميق ؟ وذكروا ما اصابهم من عظيم الضيق وقالوا اليوم اخذ الثأر وكشف العار وتوجهوا الى قلعة تبنين واحاطوا بها وفتحوها وقتلوا المتسلم الذي كان بها من قبل الجزار وقتلوا معه مقدار مايتين نفر ، وقتل منهم احد مشايخهم واناس قلايل » ٠ (١)

المعارك بين تبنين وشحور كما يرويها السبيتي

« وفي سنة سبعة وتسعين جمعوا وحشدوا وكان المدبر الشيخ علي الزين صاحب شحور ، فرأسوا حمزة من بيت علي الصغير ونهضوا الى تبنين فقتلوا المتسلم وهرب الكاتب من بيت الايوب واخذ الدفاتر الى صيدا الى الجزار فارسل عسكرا الى شحور فقتل مقتلة عظيمة واخذ الاسرى فصلب حمزة بالخازوق وفكوا الاسرى ، فهربت بيت الزين مع اولاد ناصيف الى الشام وتلددوا هناك خفية فقدر الله ان الجزار حكم الشام ايضا فهربوا الى العراق ونزل اولاد ناصيف على حمد الحمود كبيرخزاعة » وفي ذلك الوقت صار حرب بين خزاعة وتامر الحمود شيخ عرب المنتفج ٠ وظهر من اولاد ناصيف كل شجاعة واقدام

=

(لاحظ ص ١٣٦ ج١ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين طبعة بيروت سنة ١٩٣٣) ٠

فليت شعري أي الاقوال اصح واقرب للواقع الذي ننشده ، فالخوري حنانيا يعلل سبب الحرب بان الجزار طلب من الامير يوسف السلاح الموجود في البلاد فامتنعوا جميعا عن تقديمه واستعدوا للحرب ، والمعلم طنوس الشدياق يقول بان الجزار اخبر الامير يوسف بما كان من خاله الامير اسماعيل واخيه الامير سيد احمد ، وخيره بين ان يدفع الدفيعة او يقبل خاله واخيه ما تعهدا به ؟

والامير حيدر احمد شهاب يقول بان الامير يوسف قد تهيأ للحرب بمجرد ان علم بان خاله واخاه قد ذهبا الى عند الجزار أي تهيأ بدون ان يطلب منه الجزار شيئا ؟؟

١ ـ ثم لاحظ ان الخوري حنانيا ـ في النص الثاني ـ لم يذكر اين اجتمع المتاولة ، ومن الذي دبر هذا الاجتماع ، ومن الذي قاد المتاولة الى قلعة تبنين ، ولا ذكر كيف كان رد الفعل من عسكر الجزار بعد ذلك ؟؟ ثم انه لم يفرق بين المعركة التي قتل بها المتسلم في قلعة تبنين ، وبين المعركة التي جرت بعدها في ضواحي شحور ٠ وقتل بها العدد الغفير من المتاولة ثم اسر من اسر مع الشيخ حمزه المحمد الذي قتل في صيدا بعد فكاك الاسرى ، ثم فرار بقية الاعيان ، بينما يصرح الشيخ علي السبيتي بكل ذلك ويفرق بين المعركتين في الزمان والمكان وفي اثرهما على اهل البلاد ٠

وخلص الشيخ علي الزين احد اهالي شحور الى الهند وصار وزير لاحد ملوكها ونال عنده رتبة ٠٠ وحين ملك الانكليز عاد الى بلاده ٠ (١)

يلاحظ الباحثون ان في عبارة المؤرخ السبيتي هنا شيئا من التهافت والاضطراب بين قوله « وكان المدبر الشيخ علي الزين صاحب شحور » ، وبين قوله بعد ذلك « وخلص الشيخ علي الزين احد اهالي شحور الى الهند » فانه بعد ان قال ان الشيخ علي الزين هو المدبر لاجتماع المتاولة في شحور ، وهو المنظم لثورتهم على الجزار ، لا يحسن به ان يقول بعد ذلك وخلص الشيخ علي الزين احد اهالي شحور الى الهند ، فان المدبر لشؤون القوم والمنظم لحركاتهم ضد حاكم الولاية لا يمكن ان يكون نكرة بينهم يحتاج الى ان يعرف باسم قريته، ثم اذا كان الشيخ علي الزين هو صاحب شحور اي مالكها او حاكم مقاطعتها ـ فان مالك القرية او حاكم مقاطعتها لا يقال عنه فلان (احد اهالي القرية الفلانية) ولا يصح ان يعرف باسم قريته ايضا بل ان قريته هي التي تعرف به ٠

واذن فان مثل هذا التعبير والترتيب لا يصح منه الا اذا كان هنالك من اهالي جبل عامل الساكنين بغير شحور شخص آخر يحمل مثل هذا الاسم (الشيخ علي الزين) ومثل هذه المصادفة قد تحصل في كل عصر وفي كل قطر وفي كل عشيرة ٠

اما اذا اريد بهذه الجملة (من اهالي شحور) المقحمة بغير مكانها من الكلام ـ هو مجرد التحقير او الاستخفاف بالشيخ علي هذا ، فان في ذلك ضرب من البله والغفلة لانه بعد القول عنه « بأنه صاحب شحور وبأنه المدبر لاجتماع المتاولة ولحشودهم في الثورة على عمال الجزار في البلاد » لا يسوغ للمتكلم ان يتجاهل اسمه ومكانته وشهرته ثم يعرفه باسم قريته كما يعرف النكرات من الناس وخصوصا بعد ان عرف ان الشيخ علي الزين هذا ، قد فر مع اولاد الشيخ ناصيف النصار الى الشام ثم الى العراق ثم خلص الى الهند ٠

ذلك بأنه لم يفر يومئذ الى خارج جبل عامل الا اعيان البلاد كأبناء ناصيف النصار وكالشيخ قبلان الحسن واخوته ، والا علماؤها الاعلام كالشيخ محمد الحر والشيخ ابراهيم يحيى والسيد صالح الموسوي ، اما الاشخاص العاديين فلم يكن فرارهم يتجاوز الغابات والادغال العاملية حيث يتسنى لهم ان يعودوا الى اعمالهم وبيوتهم عندما يخف الضغط وتهدأ الامور لانهم ليسوا من المسؤولين ولا المعروفين لدى الدولة باسمائهم او بتأثيرهم السياسي والاجتماعي ٠

١ ـ لاحظ ص ٢٢ ـ ٢٣ من العرفان م٥ نقلا عن مخطوطة ناصيف باشا الاسعد والحاج محمد سهيل ، ثم لاحظ ص ١٦٣ ـ ١٦٥ من جبل عامل في التاريخ للعلامة الفقيه ، ثم ص ١٧٤ من تاريخ جبل عامل للاستاذ محمد جابر حيث يقول لا ٠

لهذا نستبعد ان تكون تلك الجملة المقحمة من كلام اديب كبير كالشيخ علي مروة او الشيخ علي سبيتي ، بل يخيل الي انها مدسوسة في الكلام من قبل بعض النساخ تطفلا وفضولا او جهلا بالاصول البيانية ؟؟

* * *

ثم ان الباحث حين يمعن النظر في مجـرى الحوادث يستغرب ان يكون الشيخ علي الزين صاحب شحور هو الذي دبر او فكر في اجتماع العامليين او تنظيم الثورة على عمال الجزار وقتل المتسلم في قلعة تبنين ، وخصوصا بعد ان رأى وشاهد كيف كان مصير ناصيف النصار وكيف تفرق العامليون وتلاشت قواهم الحربية ، ثم كيف سيطر الجزار بقوة على البـلاد العاملية واللبنانية والفلسطينية ، ذلك بأن الشيخ علي الزين هذا كان - كما عرف عنه من معمري جبل عامل - مدبرا للشيخ ناصيف النصار ومستشارا له ، وكان الـى ذلك معروفا بحدة الذكاء واصالة الرأي وبعد النظر ، فلا يعقل من رجل هكذا وصفه وهكذا تجاربه ان يصوب الثورة على دولة الجزار وعلى جيشه المسيطر وهو يعلم ان ليس لدى العامليين من القوى الحربية يومئذ ما يمكنهم من الصمود امام قوة الجزار وقوة جيشه ، ثم ليس لهم من جيرانهم الفلسطينيين مـن يعضدهم ويجيرهم كما كانت الحال في ايام الشيخ ظاهر العمر ، ولا في حكام لبنان من يطمئن اليه في الشدائد ، وقد اصبحوا ينكل الاخ منهم بأخيه تقربا من الجزار او حرصا على نفوذهم الشخصي ٠

واذا صح ان الشيخ علي الزين قـد ساير الميـول الثوريـة التي حدث بالمنكوبين من ابناء المشايخ الى استغلال هذا الاجتماع الذي انعقد في شحور، فذلك لانه اصبح - على ما يبدو من القرائن - امام امر واقع بعد ان نزل عليه ابناء ناصيف وبقية المتحمسين من (الطواح) وكلفوه بالدعوة الـى اجتماع العامليين واستثارة حميتهم للثورة والهجوم على متسلم الجزار في تبنين ٠٠ او لانه كان يخشى - اذا عارض نزعتهم للحرب وتلكأ عما يعتبرونه واجبا - ان يتهم بالجبن او بالخيانة لابناء قومه ولابناء ناصيف الذيـن اطمأنوا للظروف والعوامل التي اثارت الامير يوسف على الجزار ، واعتدوا بمساعدة الامير لهم وبمواعيده الخلابة ٠

ثم ان اندفاع المتاولة للقيام بما قاموا به يومئذ مـن مغامرات وحروب دامية قد تضاربت الاقوال في البحث عن عوامله وملابساته وفي الحديث عـن اسبابه المباشرة ، فالمعلم طنوس الشدياق يذهب الى ان الامير يوسف - عندما

وقعت الحرب بينه وبين الجزار - هو الذي استدعى متاولة جبل عامل من عكار وامدهم بالسلاح ودفعهم للغارة على بلاد الجزار ٠ (١)

والامير حيدر احمد شهاب يذهب في تاريخه العام الى انهم لما سمعوا بثورة الامير يوسف وبتمرده على الجزار - حضروا الى الامير - وهو يعتـد للقتال ويجمع ما عنده من الرجال - فتلقاهم بالبشاشة وامدهم بالخيل والسلاح فشنوا الغارة على بلاد الجزار وقتلوا متسلمه وسلبوا ونهبوا (٢) يعني انهم حضروا بحافز من انفسهم بدون ان يستدعيهم الامير يوسف لذلك ، وهذا اقرب لرواية العامليين ولرواية الخوري حنانيا المنير الذي يصرح بأن المتاولـة قـد ثاروا وصمموا على القتال بدون ان يتصلوا بالامير يوسف او يستعينوا به ثم ادنى الى الواقع من رواية الشدياق ومن يقول بقوله من المؤرخين العامليين ٠

ثم لا ندري بعد اذا كان انطلاقهم الى تلك الغـارات عفـوا وارتجالا او بمشورة الشيخ علي الزين وبتخطيط منه ؟ كما يقول السبيتي ومشايعوه عـلى هذا القول ؟؟

الحوادث كما يرويها الركيني الابن

اما الركيني الابن الذي حاول ان يتمم ما بدأه والده في يومياته ، فانـه يروي حوادث شحور وتبنين بصور مضطربة تشككنا بمستوى معلوماته وكفاءته وتنفي كل علاقة للحوادث العاملية بالامير يوسف شهاب او بالشيخ علي الزين صاحب شحور او بأي حافز سوى العواطف الهوجاء بـل قـد يرويها لمجرد التسلية (والتخريف) اذ يقول بعد سرد الكثير من القصص الخرافية :

- وفي يوم الاثنين يوم الثاني عشر من رجب صارت قتلة المتسلم في تبنين مع الشيخ حمزة بن محمد النصار ، وثاني يوم الثلاثاء يوم الثالث عشر صارت وقعة في شحور بين الدولة والشيخ حمزة المذكور ، وكان الغلب للدولة وقتل الشيخ حمزة وقتل معه قدر من المتاولة قرب مائتي رجل ، وقالت الزيادة زيادة ونقل ما لم يصح ليس فيه افادة ، ونهبوا اهل البلد نهبة عظيمة واخذوا الدولة السلب ورؤوس القتلى الى صيدا ، ويوم وقعة شحور شردت الناس في البراري والاوعار والجبال والاقفار وكل امرء في عقله محتار وصار الناس من الدولة يهربون وفي كل واد يهيمون ٠

ومن جملة سعد الدولة وحظهم في الدنيا لانهم مـن اهلها لان رجـلا خبأ

١ - لاحظ ص ٦٤ ج٢ من اخبار الاعيان طبعة بيروت سنة ١٩٥٤

٢ - لاحظ ص ١٣٧ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين ج١ طبع بيروت سـنة ١٩٣٣ ، وص ٨٤٤ من نزهة الزمان ج٢ من طبعة مصر سنة ١٩٠٠ ٠

دراهما تحت حجر وهرب فمن التقادير الربانية وصروف الدهر العجيبة الغريبة ان بعض الدولة طالبا الرجل الذي خبأ ماله تحت الحجر المذكور من غير علم الدولاني ولا رآه ولا نظره يصل الى محاذات الحجر المدفون المال تحته وتنقطع احدى ركابات حصانه فنزل حتى يصلحها فلم ير شيئا يربط الحصان فيه الا الحجر المعهود فقلبه ووضعه على رسن الحصان فرأى المال تحت الحجر فأخذه ومشى فسمع طير حجل يقاقي على رجمة فقوسه فقتله فخرق في الحجارة فجعل الدولاني ينقب الرجمة على الديك الحجل فوجد مالا عظيما مدفونا في الرجمة ، ومثل هذا كثير : فهذا باب السعد والطالع ؟ » ٠

لاحظ ص ٧٥ من العرفان م ٢٩ ، ثم لاحظ كيف يمضي الركيني الابن في سرد القصص التافهة بعدما روى الحادثة مشوشة مبتورة مما يدعو القارىء الى الشك بصحة ما يرويه وبمدى انسجامه مع تسلسل الحوادث وتناسق الظروف والملابسات الواقعية ؟

ثم لاحظ بعد انه لم يكن لدى الدولة يومئذ مخابرات سلكية او لاسلكية ، ولا طائرات او سيارات للنقل السريع ، وان وصول اخبار الواقعة من تبنين الى عكا او صيدا كان يحتاج الى مدة يومين وان تحضير العساكر وارسالها من صيدا او عكا الى شحور كان بحاجة الى مثل هذه المدة على اقل تقدير ، واذن فكيف نتصور ان قتل متسلم تبنين كان في اليوم الثاني عشر من شهر رجب وان مباغتة عساكر الجزار من عكا لقرية شحور كان في اليوم الثالث عشر بدون فاصل كما تنبئنا رواية الركيني الابن ٠ ثم لا نعرف ان احدا من المؤرخين صرح باسم من قتلوا من اعيان المتاولة في معركة شحور ، وانما ذكر الفاضل السبيتي، ان الشيخ حمزة المحمد قد اسر مع العديد من المتاولة وفك الاسرى في صيدا وقتل الشيخ حمزة بالخازوق ٠ (١)

ثم لاحظ ان الهارب من القتل والسلب الذي لا يعلم الى اين سينتهي به المطاف قد يتهاون بكل شيء ينقله الا بالمال الذي يسعفه في شدته وغربته ٠ فكيف يعقل ان يتهاون به او يتثاقل من حمله ليضعه تحت اي حجر صادفه على جانب الطريق او ضمن اي رجمة من الحجارة بعدما اخرجه من بيته ليستعين به على الشدائد ، لتطمئن قلوبنا الى ما يحدثنا به الركيني الابن من اساطير ؟؟

١ ـ لاحظ ص ٤٠ من مشهد العيان مخائيل مشاقة : حيث يقول ان طرق الاعدام في ايام الجزار كانت متنوعة واغلبها على الخازوق : فكانوا يجلسون المجرم على الخازوق جلوسا عاديا ، او يلقونه على بطنه اوجنبه وتدخل حربة الخازوق في جسمه من جانب وتخرج من الجانب الاخر ٠

معارك المتاولة مع الجزار
كما يرويها مخائيل مشاقة

قلما تجد بين مؤرخي لبنان السالفين مؤرخا كاندكتور مخائيل مشاقة ـ في كتابه مشهد العيان ـ يعلل الحوادث ويرتب الفصول ويوضح الاغراض والنتائج بصورة توهم القراء بصحة ما يرويه وصواب ما يفرضه من احكام ، ولكن نزعته التبشيرية ومبالغته في التحيز وعدم احتياطه للواقع التاريخي فيما يرويه ويقصه قد ورطه في كثير من الاخطاء والمتناقضات وجعلتنا نتحفظ فيما نقرأ من اقواله ونحذر مما يرويه ويرسله ارسال المسلمات ، وحسبنا شاهدا على صحة ما نزعمه ان نتلو عليك بعض ما جاء في كتابه من اقوال ومزاعم وذلك حيث يقول :

« وبعد ان تمكن الجزار من اخضاع البلاد التي كانت تتولاها مشايخ الزيادنة صفد ونواحيها اضرم الفتنة بين الامير يوسف الشهابي وبين مشايخ صعب حكام بلاد بشارة والشقيف ، وقصد من ذلك اضعاف الفريقين ليستولي على بلادهم غنيمة باردة ؟

واصبحت الحرب سجالا بين الفريقين وطال امد اشتعالها حتى اسفرت عن انتصار اللبنانيين ؟ وفشل مشايخ آل صعب وعجزهم عن حفظ استقلالهم ؟؟

★ ★ ★

وحيث يقول « ولما رأى الجزار فشل آل صعب ، انتهز الفرصة لاعمال سيفه في رقابهم ، فخرج عليهم بعسكره المؤلف من الاكراد والاتراك واعمل فيهم السيف واستباح اعراضهم ونهب اموالهم بعد ان قتل عميدهم ناصيف الضاهر؟؟ وبدد رجاله وتضعضعت بقية المشايخ وفروا من امامه لا يلوون على شيء ٠(١)

ثم حيث يقول « ولما اصبحت بلاد بشارة والشقيف تابعة لولاية الجزار

١ ـ لاحظ ٣٨ ـ ٣٩ من كتابه مشهد العيان ٠

مقيدة باوامره وارادته استحضر اليه ابراهيم مشاقة جد جامع حوادث هذا الكتاب ، ووكل اليه ادارة الحكم على تلك المقاطعة مع معاون له من المسلمين ؟ وكان ابراهيم على جانب عظيم من الذكاء » ·

فتوجه مشاقة الى ولايته وجعل مركزه قلعة مارون ، وقد احسن الادارة وعامل الرعية بالقسط والعدل ونال ثقة الاهالي فضلا عن ثقة الجزار ؟ (١) ·

* * *

ثم حيث يقول « ولما كانت المتاولة اهالي بلاد بشارة والشقيف خاضعة للجزار خضوع المغلوب لبثت تترقب الفرص لارجاع استقلالها واعادة الحكم لرجالها فتفرد منهم عصابة وقر رأيهم على الغدر بالجزار وقتله وقتل ابراهيم مشاقة وطرد جنود الجزار من بلادهم » ·

وفي ثاني الايام دخلوا على ابراهيم مشاقـــة (متسلم الجزار) وطلبوا مواجهته وبينما كان يخاطبهم بلطفه المعهود وثب عليه احدهم مشهرا بيده خنجرا يريد زرعه في صدره ولو لم يرم رجل – من رجاله – بنفسه امام سيده ويتلقى الطعنة بصدره لكان قضي على ابراهيم مشاقة ·

وعند ذلك هجمت رجال مشاقة على العصابة وبددت قواهم وفتكت ببعضهم وكان ابراهيم شجاعا فأبلى بهم بلاء حسنا ·

واقعة شحور كما يصورها مشاقة

وبعد هذه الحادثة بلغ مسامع ابراهيم مشاقة عن ثقة ان المنهزمين سوف يعيدون عليه الكرة بعدد اوفر ، ولما لم يكن لديه حامية كافية طلب مجانبتهم فجمع حاميته وقام بها الى عكا حيث قص على الجزار ما حدث له وكيف ان جماعة لا يقل عددها عن الالف (هاجمتهم) ولما لم يظفروا بوطرهم نهبوا ما وجدوه في بيته ، وطلب من الجزار ان يعفيه من الوظيفة ؟

ولما لم يكن ما سمعه الجزار من ابراهيم مشاقة بالامر السهل عليه فقام وقعد له وبالحال امر بتجهيز عسكر لاخضاع العصابـــات ولم يقبل طلب مشاقة من حيث اعفاؤه من الوظيفة بل طلب منه ان يعود الى تلك البلاد مع الحملة ·

وقامت الجنود ومعها قام ابراهيم مشاقة الى ولايته ليفتك بالعصابات ويرغمهم الى المسالمة وقد التقت الجنود بالعصابات على حدود البلاد الهائجة

١ – لاحظ ص ٣٩ من مشهد الاعيان ، طبع مصر سنة ١٩٠٨ وانشاء عبدو والشخاشيري ·

ودارت رحى الحرب بينهم ، وبعد قتال شديد انجلت المعركة عن ثلثمائة قتيل من المتاولة ؟ وعدد وافر من الاسرى وانهزامهم ، اما الاسرى فسيقوا الى عكا حيث جرى اعدامهم على الخازوق في حال وصولهم ، وظلت الجنود تطاردهم وتتوغل في النهب والسلب الى ان اخلد المتاولة الى السكينة ودفع غرامة الحرب ، ثم نشر الجزار امره بينهم ، وهو ان كل من اشتبه به او سطا على ابناء السبيل واخل براحة البلاد وسكانها قصاصه الخازوق · (١)

ما يلاحظه الباحثون

١ – كل من يقرأ تاريخ لبنان بين سنة ١١٨٣هـ و ١١٨٦هـ يدرك ان الفتن والحروب التي وقعت بين مشايخ المتاولة والامير يوسف شهاب كان وقوعها قبل ان يصبح الجزار واليا على عكا وصيدا وقبل ان يقتل الشيخ ظاهر العمر وتخضع بلاد الزيادنة لحكم الجزار فكيف يسوغ ان ننسب اليه الفتن بين المتاولة وبين الامير يوسف في هذه الفترة ؟؟

٢ – ثم ان الحروب التي وضعت بين المتاولة وبين اللبنانيين في عهد الامير يوسف شهاب لم يفشل فيها مشايخ المتاولة ولا آل صعب منهم ، وانما فشل فيها اللبنانيون واميرهم الشهابي ومن كان وراءه من بشوات الدولة العثمانية كما يتضح للقارىء من مطالعة اخبار واقعة كفر رمان والنبطية سنة ١١٨٥هـ وواقعة صيدا والحارة سنة ١١٨٦هـ · (٢)

٣ – ثم ان آل صعب لم يكونوا حكاما لبلاد بشارة وانما كانوا طيلة عهدهم في الحكم الاقطاعي حكاما لبلاد الشقيف ومقاطعتها ، ولعل ظـن المؤلف بأنهم ينتسبون الى اصل كردي مثل اصله ؟ هو الذي حمله على ان يجعلهم حكام بلاد بشارة وجميع المتاولة ؟؟

٤ – ثم ان الجزار في بداية حكمه كان مسالمـــا لمشايخ المتاولة وكـان المشايخ منسجمين معه منذ ان حكم البلاد سنة ١١٩٠هـ الى ان كانت واقعة يارون سنة ١١٩٥هـ كما قد اثبتناه فيما مضى من ابحاث ·

٥ – ثم ان عميد المتاولة يومئذ كان اسمه ناصيف النصار ، لا ناصيف الضاهر ، وهو من آل علي الصغير لا من آل صعب كما توهم المؤلف في عبارته·

٦ – ثم ان الجزار حين شرد مشايخ المتاولة عن مقاطعاتهم قد وضع لكل

١ – لاحظ ص ٤١ – ٤٢ من كتاب مشهد العيان ط مصر سنة ١٩٠٨م ·
٢ – لاحظ ص ٥١٩ – ٥٩١ من كتاب للمبحث عن تاريخنا في لبنان للكاتب تجد تفاصيل الحوادث وملابساتها واسبابها ·

مقاطعة متسلما وكان متسلم بلاد بشارة اسمه ابراهيم اغا الكردي ـ على ما اظن ـ وكان مسلما ولم يكن نصرانيا في عقيدته ولا يونانيا في هويته كابراهيم مشاقة على ما يذهب اليه المؤلف مخائيل مشاقة ص ٥ من كتابه فكيف توفق اذن بين ابراهيم اغا المسلم الكردي وابراهيم مشاقة المسيحي اليوناني اذا صح ان ابراهيم مشاقة كان يونانيا وكان متسلما من قبل الجزار على بلاد بشارة ؟؟

٧ ـ ثم ان متسلم الجزار في بلاد بشارة كان يسكن قلعة تبنين لا قلعة مارون كما يزعم المؤرخ مخائيل مشاقة فكيف نؤلف بين زعمه هذا وبين مزاعم جميع المؤرخين وقطعهم في القول بأن متسلم بلاد بشارة يوم قتله المتاولة كان يسكن قلعة تبنين لا قلعة مارون ؟

٨ ـ ثم كيف يستطيع ان يكون الحاكم والمتسلم في ظل ولاية الجزار عادلا او كيف يحرز ثقة الاهالي وثقة الجزار معا ؟ مع التناقض بين الاجراءات والاحكام التي ترضي الجزار وترضي الاهالي ليكون المتسلم ابراهيم مشاقة عادلا في ظل ولاية الجزار وحكمه وموثوقا به من الاهالي ؟

٩ ـ ثم انه من الشائع لدى جميع مؤرخي هذه الفترة من حكم الجزار ان المتاولة يوم هاجموا متسلم الجزار قد هاجموه في قلعة تبنين ، وقتلوه مع جل رجاله بحيث لم ينج منهم سوى كاتبه من آل الايوب الذي فر بالاوراق الى عند الجزار ٠

ثم ان المعركة التي حصلت بعد هذه الواقعة في قلب البلاد وفي ضواحي قرية شحور لا على حدود البلاد كما يذهب مزيفو تاريخ مشاقة ، ثم انهم قد اطلقوا جميع الاسرى في صيدا ولم يعدموا منهم يومئذ على الخازوق سوى الشيخ حمزة المحمد قائد حملة المتاولة على قلعة تبنين ، وكان اعدامه في صيدا لا في عكا على ما يرويه الفاضل السبيتي ص ٢٣ من العرفان م ٥ ٠

من عنعنات آل الزين

يروى عن احد المعمرين من آل الزين وهو الشيخ خليل بن الحاج يحيى الزين « ان احمد باشا الجزار ارسل لشحور عسكرا مؤلفا من اثني عشر الف مقاتل ، وجمع الشيخ علي الزين اربعة الاف وتصادم الفريقان ، وكانت مقتلة عظيمة من الفريقين انتهت بانهزام الشيخ علي وعسكره ، وهذه الموقعة حصلت بين شحور وصريفا ولم تزل الى الان تسمى تلك الارض (سدر القتلى او صدر القتلى) وكرت بقايا عسكر الجزار على شحور فنهبتها واحرقتها واختفى الشيخ علي الى ان جمع عامل الجزار في تبنين اموال البلاد وهيأها بالصناديق فانقض عليه الشيخ علي ومن معه فقتلوه واخذوا المال » ؟

وفيما يروى عن بعض المعمرين ان الاموال التي اخذت من عامل الجزار في تبنين حملت على ثلاثة بغال ، وان الجزار افنى الرجال من عائلة الصغير ، فجمع الشيخ علي النساء والاطفال ووضعهم في قرية مشغرة مع ما يلزمهم ووضع عليهم مؤتمنا من ثقاته ليقوم باودهم وسلمه مئة وخمسين الف غرش » ٠

لاحظ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ من العرفان ج ٢ م ٤١ ، ثم لاحظ مدى اضطراب هذه الرواية التي اوحت بها العنعنات العائلية بدون اي حساب لمنطق الحوادث، ذلك بأن المتاولة بعد مقتل الشيخ ناصيف وانخذالهم وتشتت شملهم لم يبق باستطاعة اي زعيم منهم ان يجمع لدى الازمات اكثر من الف مقاتل ، ثم من المعلوم لدى جميع المؤرخين انه لم يقع في شحور وضواحيها يومئذ معركتان بل معركة واحدة ، وان معركة تبنين وقتل متسلم الجزار فيها كانت السبب المباشر لمعركة شحور واذن فقتل المتسلم في واقعة تبنين كان قبل معركة شحور لا بعدها، ثم ان المتاولة في كلا المعركتين كانوا بقيادة الشيخ حمزة المحمد لا الشيخ علي الزين « ثم ان الشيخ علي قد فر بعد معركة شحور مع اولاد الشيخ ناصيف النصار الى الشام ثم الى العراق على ما يرويه الفاضل السبيتي او كما يروي عن الكتاب الذي تصفحه العلامة سيد عبدالحسين شرف الدين (١) ثم ان رجال آل الصغير لم يفنوا جميعا في عهد الجزار ، وان الذين سكنوا منهم في مشغرة قد سكنوا مع رجالهم فيها الى ان غدر بهم الامير يوسف شهاب سنة ١١٩٩هـ وقبض على رجالهم وارسلهم بأمر الجزار الى عكا حيث شنقوا هناك ٠ (٢)

١ ـ لاحظ ص ٢٤٦ من العرفان م٤١ ج٢ ٠

٢ ـ لاحظ ص ٨٤٨ ج٢ من نزهة الزمان طبع مصر ، ثم ص ١٤١ ج١ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين حيث يقول الامير حيدر « ولما اراد الجزار الخروج الى الحاج ارسل الى الامير يوسف ان يقبض على المشايخ المتاولة الذين كانوا نازلين في قرية مشغرة فارسل قبض على سبعة عشر منهم وارسلم الى عكا الى سليم باشا فامر بشنقهم ولامت الناس الامير يوسف على ذلك لانهم كانوا قد نزلوا في بلاده واستأمنوا به ، فلم يحفظ الجوار ويرعى الزمام ٠

اخبار وملاحظات متفرقة
عن عهد لجزار

من حوادث سنة ١١٨٩هـ

يقول الامير حيدر احمد شهاب « وفي سنة ١١٨٩هـ ارسل حسن باشا غازي الى محمد باشا العظم وزير القدس (والشام) ان يحضر بعساكره برا وارسل من قبله وزيرا الى صيدا » · (١)

★ ★ ★

ويقول حيدر رضا الركيني « وفيها (١١٨٩هـ) سافر الشيخ قبلان في ٨ من شهر جماد ثاني الى الشام لمواجهة محمد باشا العظم باشا الشام ووصل الى جسر بنات يعقوب ووقع الجك (الحرب) وقواس المدافع من البحر على من في عكا » ·

ثم يقول « وفي ٢٥ من شهر رجب توفي الشيخ علي فارس بن احمد فارس الى رحمة الله ، وانه توفي في قلعة تبنين المحروسة لانه كان في مواجهة محمد باشا العظم في بلاد صفد باشة الشام المحروسة وباشة صيدا المحروسة لانها كانت خطرة معكوسة ومنحوسة » · (٢)

فاذا لاحظنا من هذه الروايات الثلاث ان حسن باشا غازي عندما زحف بالاسطول العثماني على عكا ارسل الى محمد باشا العظم هذا ان يحضر بعساكره برا اي لمحاصرة عكا من جهة البر ، الا نشعر من هذا ومن مسير كل من الشيخ قبلان الحسن والشيخ علي الفارس لمواجهة الباشا في مثل هذا الظرف الا نشعر من هذا كله ان مشايخ المتاولة جلهم او كلهم كانوا في جملة من استنفرهم الباشا للاشتراك في حرب عكا وحصارها ؟؟

---

١ ـ لاحظ ص ٨٢٥ ج٢ نزهة الزمان في تاريخ لبنان طبعة مصر سنة ١٩٠٠
٢ ـ لاحظ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ من العرفان م٢٨

ثم اذا لاحظنا ان رواية الركيني ـ وهو من المعاصرين للحوادث ـ تنص على ان الشيخ علي الفارس قد توفي في هذه السنة (١١٨٩هـ) فكيف نفسر رواية من يقول من مؤرخينا عن حوادث ١٢٢٠هـ « ورأى الوالي سليمان باشا ، وكان سلس القياد لين العريكة ، ما اصاب جنده من الفشل ، وما الم بالبلاد من بؤس وشقاء ، فايقن انها سائرة الى الخراب التام حتما فمال الى اللين ، واستدعى الى عكا الشيخ علي الفارس عميد آل صعب فاقامه حاكما عاما في قلعة (تبنين) ولم يكن يجسر احد على قبول ذلك المنصب بعد ذبح الحاكم السابق كما اشرنا ، ولم يقبل الشيخ علي الفارس وكان شجاعا محنكا ذلك المنصب الا بعد اتفاقه مع زعماء الثوار على ان يسعى باجلاء جيش الاتراك والارناؤوط عن البلاد وارجاع الحكم الى اهلها » ٠ (١)

* * *

ويقول الامير حيدر « وفيها (١١٨٩هـ) بعد ان قضى حسن باشا على حكم آل الشيخ ظاهر العمر واستولى على اموالهم ، وعلى صيدا وصور ، واطاعته البلاد ، وضع واليا على ايالة صيدا من اصحابه يقال له محمد باشا ملك ٠

وفيما كان حسن باشا في بيروت قدم احمد باشا الجزار الى مدينة صيدا واليا عليها من قبل الدولة العلية وعزل عنها محمد باشا الذي وضعه فيها حسن باشا » ٠ (٢)

ثم يقول الامير حيدر نفسه « وفي سنة ١١٩١هـ حضر احمد باشا الجزار واليا على ايالة صيدا من قبل الدولة ، وعزل محمد باشا الذي كان واليا فيها من قبل حسن باشا غازي فعظم على حسن باشا تولي الجزار واضمر له الاذى اذا فرغ من تنظيم عربستان » ٠ (٣)

ويقول الشيخ علي سبيتي « وفي سنة واحد وتسعين حكم الجزار في عكا وصارت باشوية ، ففتح دير حنا « فهرب منه علي الظاهر ، فاخذ اخوة علي وحبسهم في عكا فرجع حسن باشا واخذهم الى القسطنطينية » ٠

ثم يقول « وفيها ركب الجزار باشا على صيدا وكبس مزارع اقليم الخروب حتى وصل روم ، وجون ، ونهب دير المخلص ، وصار جراد عظيم وغلت الاسعار » (٤) ٠

---

١ ـ لاحظ ص ١٤٠ من تاريخ جبل عامل للاستاذ جابر ثم لاحظ مدى التناقض بين القولين ؟

٢ ـ لبنان في عهد الامراء الشهابيين ص ١١٣ ـ ١١٥ ٠

٣ ـ لاحظ ص ٨٢٧ من نزهة الزمان ج٢ طبع مصر ٠

٤ ـ لاحظ العرفان م٥ ص ٢٢ ٠

من حوادث سنة ١١٩١هـ

ويقول الركيني « وفي يوم الجمعة يوم ثالث عشر شوال توفي اسعد بن محمد نصار رحمه الله ، وفي شهر ذي القعدة جاء الامير عثمان بن الامير سليمان الشهابي الى مارون (قلعة مارون) عزى بأسعد » ٠

« وفي شهر ذي القعدة نهب الجزار باشا صيدا من قرايا الدروز (جملة قرى) واخذ النساء وقتل منهم قدر ماية رجل » ٠

« وفي الشهر المذكور ركبت خيل الشيخ حيدر فارس على مرجعيون واخذ بقر خمسة عشر رجلا » ٠

« وفي اليوم الثالث عشر من ذي الحجة توفي الحاج علي سليمان منكر خفف الله عنه حساب نكير ومنكر » ٠ (١)

من حوادث سنة ١١٩٢هـ

يقول الركيني « وهل شهر المحرم من سنة ١١٩٢هـ ليلة الجمعة يوم الثامن عشر من شهر كانون الاصم ، وفي يوم الثلاثاء في شهر ربيع الاول تاسع عشر من اذار سافر الزوار السيد محمد شرف الدين والحاج ابراهيم خليل واخوه الحاج زين خليل وغيرهم من القرايا » ٠ (٢)

ثم يقول الركيني نفسه عن حوادث سنة ١١٩٤هـ « وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع اخر ، توفي الحاج زين خليل رحمه الله » ٠ (٣)

* * *

٠٠٠ ويلاحظ من مجموع الروايات المتداولة ، ان الحاج زين خليل هذا هو والد الشيخ علي الزين صاحب شحور ، ومدبر ناصيف النصار على ما يقال ، وعليه فاذا لاحظنا ان الشيخ علي الزين هذا لم يخلف اولادا ذكورا سوى الحاج سليمان الزين (٤) وان الحاج سليمان الزين هذا قد تخلف بأربعة اولاد هم الشيخ محمد سليمان (٥) والد الشيخ محمد رضا الزين (٦) ثم الشيخ

---

١ ـ لاحظ ص ٣٥١ من العرفان م٢٨ ٠

٢ ـ العرفان م٢٨ ص ٤٥٣ ٠

٣ ـ العرفان م٢٨ ص ٧٢٧ ٠

٤ ـ لاحظ ترجمته ص ٣٥٧ ج٣٥ من اعيان الشيعة ٠

٥ ـ لاحظ ترجمته ص ٩ ـ ١٧ ج٤٥ من اعيان الشيعة ٠

٦ ـ لاحظ ترجمته ص ١٢٣ ج٤٥ من اعيان الشيعة ٠

حسين (ابو خليل) (١) والد الشيخ عبدالكريم الزين (٢) ثم الحاج علي (٣) والد الشيخ احمد عارف الزين صاحب العرفان (٤) ثم الحاج اسماعيل (٥) والد النائب يوسف الزين (٦) اذا لاحظنا ذلك بدقة ٠

بدا لنا من خلال هذه الملاحظات ان زينية كفر رمان وزينية جبشيت ، وجل زينية شحور وصيدا هم جميعا فرع من فروع آل الخليل ، كما يبدو لنا ويتضح ان آل الزين الاول ومن تفرع عنهم من آل الخليل ثم من تفرع عن هذين الاسرتين من الاسر المختلفة الاسماء والالقاب هم جميعا من ذرية الحاج زين او الشيخ زين الاول حاكم بلاد بشارة لسنة ١٠٩٥هـ وقائد المتاولة في واقعة وادي الحبيس « ١٠٩٥ » ، وذلك بناء على ما جاء ص ٢٣ من تاريخ قلعة الشقيف ثم ص ١٩٧ من خطط جبل عامل ثم ص ٢٨٣ من العرفان م ٨ ثم على ما اوضحناه ص ٣٢٠ ـ ٣٢٤ من كتاب : للبحث عن تاريخنا في لبنان ٠

فبملاحظة النسبة الى الحاج زين الاول يكون قسم كبير من آل الزين غير متفرعين عن آل الخليل ، كما تفرعت ذرية الحاج زين خليل وذرية ابنائه ، بل يكون آل الخليل فرع من ذرية الحاج زين الاول ٠٠ ويؤيد هذا الزعم ما كتبه عمنا الحاج علي الزين والد صاحب العرفان على ظهر كتاب (رسائل الخوارزمي) بخط يده عما عرفه من سلسلة اجداده وبالنص التالي :

« تملكه العبد العاجز الجاني علي بن المبرور المقدس الحاج سليمان بن المرحوم الشيخ علي بن الحاج زين بن الحاج خليل ، بن الحاج موسى ، بن الحاج يوسف الزين الانصاري الخزرجي العاملي الصيداوي عفى عنه في ١٢٩٦هـ ٠

ومن حوادث سنة ١١٩٢هـ

٠٠ ويقول الركيني « وفي ثامن عشر شعبان توفي الشيخ علي جنبلاط ، وفي يوم الاثنين يوم الثاني والعشرين من شعبان ركبت خيل المتاولة على عرب الطيار » ٠

....

١ ـ لاحظ ترجمته ص ١٢٩ ج٢٦ من اعيان الشيعة ٠
٢ ـ لاحظ ترجمته ص ٧١ ج٣٨ من اعيان الشيعة ثم ص ٦٥ من العرفان م٣١ ثم ص ٢٩ ، وص ٦١٠ من العرفان م٤٣ ٠
٣ ـ لاحظ ترجمته ص ٢٧١ ج٤١ من اعيان الشيعة ثم لاحظ العرفان مجلد ٢٠ ٠
٤ ـ لاحظ ما صدر من العرفان بعد وفاته سنة ١٩٦٠ ٠
٥ ـ لاحظ ترجمته في المجلد الاول من العرفان ٠
٦ ـ لاحظ ترجمته وسيرته ص ٢٠ من كتاب مشاهد الرجال للاستاذ يوسف غانم وص ١١٧ ـ ١٣٦ من ذكريات رضا التامر ، وص ٩ ـ ٢٦ من كتاب حول ذكريات رضا التامر ، ثم فيما كتب عنه في حياته وبعد موته ٠

« وفي اول ذي القعدة ركب عقيل ابن ناصيف النصار الى عند اولاد الشيخ علي جنبلاط » ٠

« وفي يوم الثلاثا يوم السادس عشر من ذي الحجة توفي الشيخ محمد العلي ابن علي منصور منكر في جبع » ٠ (١)

ويقول الامير حيدر احمد شهاب « وفي السنة (١١٩٢هـ) لما عاد الامير يوسف شهاب للحكم بعدما تولى مكانه اخواه الامير سيد احمد ، والامير فندي، ارسل الى المشايخ النكدية يطلب منهم المابة الف غرش التي رشى بها الجزار ليعيد له الحكم في الشوف ، اذ كانوا هم سبب عزله عن الحكم فرحلوا بعيالهم الى بلاد المتاولة ونزلوا عند الشيخ ناصيف النصار فقبلهم بكل اكرام » ٠ (٢)

من حوادث سنة ١١٩٢هـ

ثم يقول الامير حيدر « وفيها (١١٩٣هـ) ارسل الشيخ كليب نكد الى سعد الخوري مدبر الامير يوسف بأن يستجلب له العفو والرضا من الامير يوسف ، فأجابه بما طلب واصدر له كتابا من الامير بأن يطيب نفسا ويرجع آمنا فحينئذ رجع وتوطن في المناصف » (٣) ٠

ويقول الركيني :

« وفي ربيع ثاني من هذه السنة نهب ناصيف النصار بقر الزركشية التركمان » ٠

« وفي يوم الثلاثين من جماد اول توفي الحاج نصرالله بن الحاج حرب من الصعبية » ٠

« وفي يوم الاثنين يوم الثاني عشر من رجب توفي السيد مرتضى قشاقش ، وثاني يوم مات ابن اخيه » ٠

من مظاهر الحمية والنجدة

يقول الركيني « وفي ليلة الاثنين اعني ليلة العيد على ما شهدوا به انه اول شوال ، قوصوا المدافع في مدينة صور في وقت العشا بعد الغروب بساعتين ثلاثة فظنت الناس من القرايا انها كبست صور ، فركبت الخيل والزلم ، فظهر

....

١ ـ لاحظ ص ٤٥٣ من العرفان م٢٨
٢ ـ لاحظ ص ٨٥٣ من نزهة الزمان ج٢ ٠
٣ ـ لاحظ ص ٨٣٦ ج٢ من نزهة الزمان وص ١٢٦ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين ج١

سبب ذلك انها ما تحققت الشهادة الا بعد العشاء ، فقوسوا المدافع في غير وقت رؤية الهلال ، ولهذا ظنت الناس انها « كبسة » اي غارة مفاجئة » ٠

« وفي اول رمضان من هذه السنة (١١٩٣هـ) جاء الامير محمد الحرفوش وسكن في شحور » ٠

« وفي هذه السنة في نصف ذي القعدة جاء كليب ابن ابي نكد وسكن في دردغيا » ٠ (١)

من حوادث سنة ١١٩٤هـ

« وهل شهر المحرم من هذه السنة في ٢٧ من كانون اول ، وفي ليلة الاحد يوم السادس عشر من المحرم انتقل السيد ابو الحسن (قشاقش) الى رحمة الله تعالى قدس الله روحه ونور ضريحه وقلت له نظما في تاريخه :

وقلت تاريخا سقى كوثـرا   من يد ازكى زكي الانام »

« وفي اليوم الثامن في صفر توفي صليبة بن الشيخ حيدر فارس وفي يوم الثلاثاء يوم التاسع والعشرين من ربيع اول ختن ولدنا علي رضا واولاده الشيخ حمزة ، فاعور ، وسعدون » ٠

يقول الركيني :

« وفي يوم الاحد تاسع عشر ربيع اخر ، توفي السيد عباس هاشم » ولم يذكر انه دفن في قرية جبشيت ، وانه مؤلف كتاب نزهة الجليس ٠

« وفي هذا الشهر شهر جماد اول كبس حيدر الفارس عرب القرية (او العزبة) وقتل منهم رجلا » ٠

ومن حوادث سنة ١١٩٤هـ

يقول الركيني « وفي يوم الخميس يوم خامس وعشرين مـــن شهر رجب ركبت خيل الشيخ ناصيف الى عند الجزار الى عكا لمحاربة محمد باشا العظم باشة الشام ، وفي شهر رجب اخذ محمد باشا العظم قلعة الصلت ، وقتل واليها صالح العدوان شيخ عرب هتيم » ٠

« وفي هذه السنة (١١٩٤هـ) في شهر شوال قتلت الدروز رجلا من عنابة جبع ، ورجلين من بلاد الشقيف » ٠

....

١ ـ لاحظ ص ٤٥٤ من العرفان م٢٨ ٠

« وفي شهر ذي القعدة جاء دروز وادي التيم الى دردغيا » ٠

ضريبة السخرة

ومن حوادث سنة ١١٩٤هـ « نقل الشيخ ابو صليبة الحمادة الـــى مدينة صور ، وسخروا له دواب القرايا والذي ما يرسل دابته يأخذوا منه كراها والبلد التي ما ترسل دوابها يأخذوا من اهلها قرشين ويستكروا على نايبهم لكي تتخلص ذمتهم » ٠ (١)

من حوادث سنة ١١٩٥هـ

« وهل شهر المحرم سنة الف وماية وخمسة وتسعين ليلة الاربعاء السادس عشر من كانون الاول ، وفي هذه السنة في محرم صارت الجمعية بين الشيخ ناصيف والامير محمد الحرفوش في الطيبة ، وركبت خيل الشيخ ناصيف مـع الامير محمد الحرفوش الى بعلبك » ٠

« وفيها (١١٩٥هـ) مر الامير يوسف شهاب بصور في ٢٨ محرم واجتمع بناصيف ثم ذهب الى عكا وبقي الشيخ كليب النكدي في صور ومعه قدر ستين بوارديا مسلحا » ٠

« وفي هذه السنة (١١٩٥هـ) في يوم السبت كبس الشيخ حيـدر فارس (عرب) اللزازات في صور ونهب طرشها يوم الثاني في صفر » ٠

« وفي هذه السنة (١١٩٥هـ) توفي الشيخ عباس العلي ليلة الاربعاء يوم الحادي عشر من ربيع الاول » (٢) ٠

من حوادث سنة ١١٩٧هـ

يقول الركيني الابن « وفي هذه السنة جاءنا خبر وفاة محمد باشا (العظم) في مدينة الشام المحروسة ، ثم في هذه السنة في شهر شعبان توفي باشا الشام المحروسة محمد باشا بن عثمان باشا الذي غرق عسكره في بحرة الحولة » ٠

« وفي هذه السنة (١١٩٧هـ) دار الشيخ علي خاتون على القرايا حتى يسد بلصة الجزار ، وكل ما بذلت قرية من شيء من دراهم او غلة يقول لاهلها

....

١ ـ لاحظ ص ٧٢٧ ـ ٧٢٨ من العرفان م٢٨ ، ثم لا ندري هــل القرشـان اجرة للدابة الواحدة ام هي اجرة لجميع دواب البلدة ؟؟

٢ ـ لاحظ ص ٨٣٠ ـ ٨٣٢ من العرفان هـ ٢٨ ثم لاحظ انه لم يذكر مكان وفاته ودفنه في قلعة ميس ام الزريرية ام غيرها من القرى التي كان يحكمها آل منكر ؟؟

احسبوه من الزكاة ويرقمه في دفتره ويعطيه للدولة وتحول الدولة عـلى اهالي القرايا حتى طلعت الزكاة من نصيب الدولة وارباب الزكاة من الفقراء المؤمنين انحرموا منها » ۰ (۱)

ويقول الامير حيدر شهاب)

« وفيها (۱۱۹۷هـ) تسلم الامير يوسف شهاب اقليـم جزيـن ، وجبل الريحان من المشايخ الجنبلاطية وجعل تصرفهم فيها عن يده » ۰ (۲)

من حوادث سنة ۱۱۹۸هـ

يقول الركيني الابن « وهل شهر المحرم من سنة ۱۱۹۸هـ ليلة الاربعاء يوم الرابع عشر في تشرين الثاني » ۰

« وفيها دخل عيد الصليب يوم السبت العاشر في شهر ذي القعدة وانتقل (والدي الشيخ حيدر) الى جوار الله قدس الله روحه يوم السبت نهار الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة وقلت تاريخا :

قلـت تـاريخـا روى   من الكوثر يوم الزحام (۳)

من حوادث سنة ۱۱۹۹هـ

يقول الركيني الابن « هل شهر المحرم من سنة ۱۱۹۹هـ ليلة الاحـد الثالث في شهر تشرين الاخر ، وفي هذه السنة كان الشيخ قبلان واخوانـه والشيخ عقيل في دمشق فاستقبلهم دروش باشا باشة الحـج وطيب خـواطرهم وخلع عليهـم » ۰

« وفي هذه السنة ايضا ذكروا انه توفي الشيخ قبلان واخوه الشيخ ابراهيم في بغداد » ۰ (۱)

ويقول الامير حيدر شهاب بعد ان ارخ مقتل ناصيف النصار بسنة ۱۱۹۷هـ وفيها (۱۱۹۹هـ) رجع احمد باشا الجزار واليا على ايالة دمشق وتوفي مملوكه سليم باشا الذي حضر معه من مصر ، فارسل الجزار يطلب رتبـا لمملوكيه سليمان وسليم الصغير فاقام (مملوكه) سليم باشا عـلى ايالـة صيدا ،

۱ ـ لاحظ ص ۹۵۲ من العرفان م۲۸ ۰
۲ ـ لاحظ نزهة الزمان ج۲ ص ۸٤۲ ۰
۳ ـ لاحظ ص ۷۳ ـ ۷٦ من العرفان مجلد ۲۹ ۰
٤ ـ لاحظ ص ۱۸۷ من العرفان م۲۹ ۰

و (مملوكه) سليمان باشا على ايالة طرابلس » ۰ ولعله في هذه الفترة بدأت الصلات وبدأ التعاون والتفاهم بين سليمان باشا وبين امراء لبنـان وقناصل فرنسا على مصير الحكم ۰

« وفيها (۱۱۹۹هـ) لما اراد الجزار الخروج الى الحاج ارسل الى الامير يوسف ان يقبض على المشايخ المتاولة الذين كانوا نازلين في قريـة مشغرة ، فارسل قبض على سبعة عشر منهم وارسلهم الى عكا الى سليم باشا فأمر بشنقهم ولامت الناس الامير يوسف على ذلك لانهم كانوا قد نـزلوا في بـلاده بأذنه واستأمنوه » (۱) ۰

من حوادث سنة ۱۲۰۰هـ

يقول الركيني الابن « وفي هذه السنة دخل الحاج الى الشام يوم الحادي عشر في شهر صفر ، وكانت حجي رياضة مع احمد باشا الجزار على ما ذكر من الرخص والمليح الذي ساقه معهم » ۰

★ ★ ★

« وفي هذه السنة (۱۲۰۰هـ) في اول ليلة من شهر صفر سرق الحرامية عنزات اهل معروب وبينما هم طالعين في خلة الجن فوق نبع وادي الحجير ، فاقوا عليهم عرب هناك ودبوا الصوت على اهل القنطرة فلحقوهم ، وفوتوهم المعزى وطردوهم على وادي الحجير نازل ، ولاجل التحاكيم الربانية كان اهل تولين رايحين يغسلوا على الجسر ، لاقوهـم الحرامية وقشطوهم وجرحـوا النسوان ومن جملة النسوان ام حسين اشمر ، ويطرح الصوت على اهل تولين النصارة والمتاولة ويربطوا عليهم الطرق ويقتلوا من الحرامية زلتين » (۲)

من حوادث سنة ۱۲۰۱هـ

يقول الركيني الابن « وفي هذه السنة بدأ ولدي محمد في القراي اول شهر ربيع اول وكان عمره ست سنين » ۰

« وفي هذه السنة حكم البلاد احمد آغا بن حيمور ، وجميع المعلمين تعدوا عن رقبه » ۰۰ ولعله يقصد بالمعلمين هنا المقاطعجية من وجـوه الاهالي ، او الذقها الذين كانوا يكلفون من قبل الجزار بتحصيل الاموال المطلوبة للدولة ۰

۱ ـ لاحظ ص ۸٤۸ ج۲ من نزهة الزمان ۰
۲ ـ لاحظ ص ۱۸۸ من العرفان م۲۹ ثم لاحظ ان هذا القول ما يدل على ان اهالي تولين كانوا يومئذ خليطا من النصارة والمتاولة ۰

من حوادث سنة ١٢٠٢هـ

ويقول الركيني « وهل شهر المحرم من هذه السنة اول تشرين اول ، وفي جماد آخر لفا ابو عز المغربي والحاج حسين صبرة ، وجملة معلمين – ولعله يقصد بهم هنا الكتاب – الى تبنين وحاسبوا اهل البلاد ، وفي ذي الحجة توفي الشيخ محمد حسن الغول في قرية ميس » ٠ (١)

من حوادث سنة ١٢٠٣هـ

يقول الركيني الابن « وفي اواخر شهر محرم من هذه السنة توفي الشيخ محمد حسن الخاتون في قرية جوية ، والشيخ محمد قاسم في قرية شحور قدس الله روحيهما ، وفي هذه السنة كان قدومنا من مكة ، وكان ماضي من العمر اربعة وثلاثين سنة » اي من عمر ابن صاحب هذه المذكرات اليومية الذي يشعرك من كلامه انه هو الذي اصبح يدونها بعد والده الشيخ حيدر رضا ٠

....

١ – لاحظ ص ٣٠٣ من العرفان م٢٩ ٠

ثورة المماليك أو المؤامرة الكبرى على الجزار

ثم يقول الركيني « وفيها (١٢٠٣هـ) في شهر رجب ركب عسكر الجزار على مرجعيون ووصل الى ارض حاصبيا ورد رجع الى ارض صيـــدا وعاب (انقلب) على الجزار ، وحاصر صور ونهبها وسبا ، وحاصر عكا وطلع اليه الجزار وكسروا وراح على الشام وكان اسمه (اسم القائد) سليم باشا » ٠(١)

وتوضيحا لهذه الحوادث المتتابعة المجملة في رواية الركيني لاحظ ما يقوله الامير حيدر احمد شهاب في النسخة اليسوعية من تاريخه « وفيها (١٢١٣هـ) كانت الحادثة الكبرى والفتنة العظمى بين الامير يوسف والجزار ، وسبب ذلك انه كان باقيا للجزار عند الامير يوسف ماية وخمسون الف قرش من الالف الف التي تعهد بها عند نزوله الى عكا في حادثة الامير اسماعيل كمـــا مر ، وكان الجزار يطالبه بتلك البقية مرارا كثيرا وهو يتمنع عن دفعها ويعتذر بما لا يقبله الجزار ٠ وعزم (الامير) في نفسه على ان لا يدفعها ابدا ؟ وكان يقول مدبره الشيخ غندور « ان هذه الماية وخمسون الفا نقدر على ان نحارب بهـــا الجزار ثلاث سنوات فكيف ندفعها له ؟ » ولما علم الجزار ما عزم عليه (الامير) جمع العساكر ووجهها الى قتاله صحبه مملوكه سليم باشا المذكور ، وكان حضر الى الجزار قبل ذلك الامير علي ابن الامير اسماعيل المقدم ذكره ٠٠ فولاه حاصبيا ووجهه امام عسكره ، فسار الامير علي بتلك العساكر الى حاصبيا فاستولى عليها وارجع عسكر الجزار الذي معه الى خان حاصبيا ، وجعل (سليم باشا) يعتد للقيام لقتال الامير يوسف ، واستمال الى محالفة الجزار الامير محمد امير راشيا لانه كان عنده ضغينة على الامير يوسف ٠

وفي تلك المدة ثارت على الجزار مماليكه الذين عنـــده وارادوا هلاكه ،

....

١ – لاحظ ص ٣٠٤ من العرفان م٢٩ ٠

وسبب ذلك ان الجزار كان قد رأى فاحشة بين مماليكه وجواريه (١) فعزم على هلاكهم جميعا لارتكابهم المعصية بالفاحشة فتربص الى ان حصل خلوة بين بعض المماليك والجواري فدهمهم بغتة وسل سيفه وجعل يضرب باعناقهم (٢) وفي نفسه انه بعد ان يهلك الذين رآهم في الخلوة من الغلمان والجواري يهلك كلمن عنده من المماليك ذكورا واناثا ، فبلغ ذلك لباقي المماليك من بعض الجوريات فدخلهم الريبة وتفطنوا لما في نفسه فنهضوا نهضة رجل واحد ، وكانوا نيفا على اربعين ، وهجموا عليه الى المحل الذي هو فيه واطلقوا عليه البارود (٣) ففـر من امامهم ثم تجمعوا وركبوا خيولهم وخرجوا من عكا · وساروا الى سليـم باشا وهو يومئذ في خان حاصبيا وصحبته جميع عساكر الجـــزار (٤) فلما وصلوا اليه اخبروه الخبر وكيف صدر ، وكان في نفس سليم باشا ريبـة من الجزار ؟ فلما بلغه ما حصل ازدادت الريبة وعلم ان الجزار لا بد من ان يهلك المماليك ويهلكه معهم · فعزم على ان يستميل تلك العساكر التـــي معه اليه ، وينهض بهم على الجزار ويزيحه من عكا ويقوم مقامه ؟ وكان سليم باشا محبوبا تميل اليه العساكر (؟) فاستمالهم ونهض من خان حاصبيا الى صيدا ، وفيها سليمان باشا مملوك الجزار عاملا من قبله ، فهيجه سليم باشا معـه وانهضه لقتال الجزار (؟) ولما اتفقا على ذلك ارسلا اصحابهما الى المعاملات والولايات بالكتب والرسائل ونادوا بالولاية لهما (؟) ووجها الـى جميع العمال الخلع والانعامات فمال اليهما جميع تلك الديار لتوحشهم مـــن الجزار ، وحضروا لمعونتهما ·

وكان سليم باشا حينما عزم على قيامه لقتال الجزار ، وهـــو في خان حاصبيا استدعى الامير محمد امير راشيا واطلعه على ذلك ووجهه الى الامير يوسف يبث له ما عزم عليه ويعقد معه العهود والمواثيق على التناصر (٥) ·

....

١ ـ وفي نسخة الجامعة الاميركية وطبعـة مصر يقول المؤلف « ان الجـزار بلغه ان بين المماليك وسراريخنا » بدل قوله هنا » قد رأى الجزار فاحشة بين مماليكه وجواريه » ·

٢ ـ وفي طبعة مصر ونسخة الجامعة الاميركية يقول المؤلف فهجم عليهم يريد قتلهم فاطلقوا عليه الرصاص وخرجوا الى دار سليم باشا « وفي رواية اخرى » اطلقوا عليه اربـع وجرح جرحا سيلما » لاحظ ص ٨٥٤ ج٢ من نزهة الزمان ، وص ١١ ـ ١٢ من تاريخ سليمان باشا لابراهيم العورة ·

٣ ـ وفي كل الروايات انه لم يصطدم بالمماليك الا مرة واحـدة في رواية هــذه النسخة اليسوعيـــة ·

٤ ـ وفي طبعة مصر يقول المؤلف « وصحبته جميع عساكر الجزار وسائر اغواب العسكر ورجالهم من الهوارة والمغاربة والارناؤوط » ·

٥ ـ لا ندري كيف يقول ـ فيما سبق من القول ـ ان الامير علي أمير حاصبيا استمال الامير امير راشيا لمحالفة الجزار ضد الامير يوسف لانـه كـــان عنده ضغينة على الامير يوسف ؟ وهنا يقول « ان سليم باشا » وجه الامير محمد امير راشـيا للامير يوسف ليعقد معه العهود على التناصر في الحرب ضد الجزار ؟؟

فسار الامير محمد الى الامير يوسف واجلا له تلك المقالة فداخله السرور وامل بزوال الجزار ، واعتد في نفسه لمعونة المماليك اليه ولما حل سليم باشا في صيدا وانضم اليه سليمان باشا وجها اليه ابراهيم ابو قالوش وكتبا له لتثبيت العهود والمواثيق على المناصرة والتحالف ، ثم نهضا الى صور بمـــن اجتمع عليهما من العساكر (١) ومنها الى عكا فخيما في صحرائها واقاما الحصار عليها ، فجمع الجزار من عنده من العسكر وضم اليه بعض اهـل البلدة وفعلة البناء ولازم القتال ، وقد دخله الخوف لقلة جيشه لانه لم يبق عنده من الجنود الا قليل ، فعزم على ان يتربص الى الليل ويخرج من عنده من تلـــك الرجال يدهمون تلك العساكر في جنح الظلام ويطلق عليهم المدافـــع بغتة لعلم ينذهلون ومن رجفة البغتة ينفضون فيبتعدهم الى ان يستجمع عسكرا يقاتلهم به ، واضمر في نفسه انه اذا لم ينجح ذلك التدبير يركب بعض السفن ويفر في البحر الى غير ديار ، ولما جن الظلام اخرج الرجال دهموا ذلك العسكر واطلقوا عليهـم البارود من المدافع والبنادق فجفلت خيولهم وتضعضعت نصولهم واستولت عليهم البغتة فماجوا ووثب البعض على البعض وهاجوا فتلاحموا وتلاطموا فاهلكوا رجالهم برجالهم واختلط اخرهم بأولهم ثم ولوا مدبرين وفر سليم باشا الـى الشام » (٢) ·

ثم يقول المؤلف عن حوادث سنة ١٢٠٣هـ « وكان الامير يوسف من حينما شاعت الفتنة بينه وبين الجزار ، وجه ابن عمه الامير بشير بـــن الاميـر قاسم بعسكر البلاد واصحبه بالشيخ قاسم جنبلاط الى قرية جزين حماية للثغور ؟ وكان للجزار عسكر في قرية جباع ، فحصل بين الفريقين مواقع كان النصر في جميعها لعسكر الجزار » (٣) ·

ويؤيد هذا القول من المؤلف قول الركيني « وفي شهـــر شوال من هذه السنة (١٢٠٣هـ) نهبوا دولة الجزار (اي عسكـــر الجزار) جبـع وكسروا الدروز » (٤) ·

....

١ ـ وفي نسخة الجامعة الاميركية وطبعة مصر ، يقول المؤلف « ومن ثم سار الى صـــور واستولوا عليها وضبطوا جميع ايالات الجزار ، وحضر اليهما رؤساء عشائر المتاولة والصفدية وسلموهم امر بلادهم » · لاحظ ص ٨٥٤ ج٢ من نزهة الزمان ·

٢ ـ لاحظ ص ١٤٢ ـ ١٤٤ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين : نسخة اليسوعية ·

٣ ـ لاحظ ص ١٤٦ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين ج١ ·

٤ ـ لاحظ ص ٣٠٤ من العرفان م٢٩ ·

الهوامش والتعليقات

ان افتعال هذه الوقائع المخططة على الحدود بين جزين وجباع يشعر وينبه الى ان الامير يوسف كان يتوقع ثورة المماليك على الجزار قبل حدوثها وانه كان يمهد لها ويدعمها بهذه المحاولات وهذه الحوادث التي تدعو الجزار لان يرسل عساكره لمحاربة عساكر الامير يوسف ، وتضطره لان يترك عكا خالية من القوى العسكرية التي تستطيع ان تحميها لدى الطوارىء وتقضي على ما كان يعد ويهيأ من دسائس ومؤامرات وثورات دامية ، والا فمتى كان الامير يوسف يجرأ على ان يفكر في الامتناع عن دفع ما عليه للجزار من اموال ، او في العصيان واعلان الحرب على باشة عكا ؟ اذا لم يكن مستندا الى قوى امنع من قوى الجزار واشد فتكا ٠٠ وهو يعلم ان تمنعه وعصيانه على حاكم عكا يهدد بقاءه في حكم الجبل ان لم يهدد حياته ٠

ثم ان اختلاف لهجة المؤلف – في نسخة اليسوعية – وتحيزه الى جانب الثوار وقائدهم سليم باشا مع ملاحظة تحريض قنصل فرنسا في بيروت الشيخ غندور الخوري ، يزيدنا شعورا بأنه كان للفرنسيين ضلع ضليع في تخطيط هذه المؤامرة واحتضان هذه الثورة ٠

ثم لو صح خبر الفحش والخنا ، والارتياب فان ذلك لا يستدعي ثورة المماليك جميعا على الجزار ، وخصوصا ثورة القادة منهم الذين رفعهم الجزار الى رتبة الولاة والبشوات كمملوكية سليم باشا ، وسليمان باشا ، وكذلك لا يستدعي مثل الامير يوسف ان ينضم اليهم في ثورة كل اسبابها واهدافها الانتصار لارباب الفحش والخنا من خدم الجزار ٠

ثم ان رواية الامير حيدر والمعلم ابراهيم العورة التي تشير الى ان سبب الثورة هو ريبة الجزار بسراريه ومماليكه هي موضع للشك والريب ٠٠ ذلك بأن دار الجزار لم تكن سوقا عمومية للفحش والخنا ليشيع الفحش بين جل سكانها من الجواري والمماليك ، واذا جاز ان يقع شيء من ذلك فانما يكون واقعا بين بعض الافراد المستهترين لا بين جل السراري والمماليك ومثل هذه القلة الحقيرة من الخدم لا تقتضي الجزار – في ابان عظمته وجبروته – ان يترقبها ويتصدى لها بنفسه بل كان بوسعه – لو صح الخبر – ان يأمر باعتقال افرادها او يأمر باعدامهم في حال سماعه لخبرهم المريب كما كان يفعل في كثير من الاحيان ويقتل على الظن والتهمة لاقل ما يخيفه او يريبه ؟

ثم ان من شأن الذين يتسللون لبيوت الحريم اختلاسا للذات ان يتسللوا فرادى متحفظين من اعين الناس حتى عيون الاصدقاء فكيف اذن تسلل المماليك جملة الى دار الجزار حسب رواية المعلم ابراهيم العورة ؟ ثم كيف اطلقوا عليه النار مع ان من يتسللون لاختلاس اللذات – وخصوصا في البيوتات المحاطة

بالهيبة والجبروت والارهاب – لا يحملون عادة السلاح معهم ، ولا يجرأون ان يقفوا في وجه اي انسان يعترض سبيلهم خوفا من ان يفتضح امرهم ، فكيف اذا كان الجزار باشا هو المعترض والمترصد لحركاتهم ؟ على ما في الروايات المختلفة ؟

ثم ان مثل هؤلاء المتهتكين المحتقرين من الخدم من شأن اي مجتمع اسلامي ان ينبذهم ولا يتعرف عليهم مهما يكن شأنهم ، فكيف يعقل ان يثور المماليك وقادتهم الكبار الذين اصطفاهم الجزار واعلى رتبهم الى درجة الوزارة ، كيف يعقل ان يثوروا جميعا على الجزار انتصارا لبعض المجرمين الذين هتكوا حرمته وحاولوا قتله ؟؟

★ ★ ★

ثم ان توجه سليم باشا بعساكر الجزار لمحاربة الامير يوسف كان قبل ان تحدث حادثة المماليك بدار الجزار ، فكيف توجه بالعساكر – يوم ذلك – من عكا الى مرجعيون ثم الى حاصبيا ، مع ان المصلحة كانت توجب عليه ان يبادر اولا الى دير القمر وجبل الشوف حيث يتحصن الامير يوسف ، لا الى حاصبيا مهما يكن الداعي ؟؟

واذن فلا بد ان يكون في الامر سر خفي وان يكون هناك مؤامرة كبرى على الجزار ودولته وان يكون وراء هذه المؤامرة ما وراءها من تخطيط سياسي ابعد غاية وقصدا من الانتصار لارباب الفحش والخنا ؟؟ فاطلاق النار جهرا على الجزار ، وهرب المطلقين – حين اخفقوا في قصدهم – الى قادة المماليك ، وثورة هؤلاء جميعا على الجزار ، لا يعقل ان تكون من قبل الصدف ولا من قبل قادة لا يعتمدون على قوى خارجية تشجعهم على ما اقدموا عليه من مغامرات وتسندهم بالمال والسلاح وتهيئة الاجواء والظروف ، وخصوصا اذا لاحظنا ان قناصل الدول – اثناء حكم الجزار – قد ضاقوا ذرعا بسياسته وتصلبه ، وان فرنسا لجأت في النهاية الى ان تطلب رسميا من الدولة العثمانية عزل الجزار من ولاية عكا ٠

★ ★ ★

٠٠ ثم لاحظنا بعد ان تمنع الامير يوسف عن دفع ما عليه للجزار من اموال ، وقول مدبره الشيخ غندور وهو يومئذ قنصل لفرنسا في بيروت « ان هذا المبلغ نقدر ان نحارب به الجزار ثلاث سنوات فكيف ندفعه له » ، ثم لاحظنا تشجيع الامير يوسف لمماليك الجزار وتشديده لعزمهم على الثورة واقدامه على مجابهة الجزار وهو في اوج عظمته وجبروته ٠

ثم لاحظنا عزم سليم باشا كما يقول الامير حيدر « على ان يستميل تلك العساكر التي معه وينهض بهم على الجزار ، ويزيحه من عكا ويقوم مقامه فيها؟ ثم اتفاقه مع سليمان باشا على التناصر في الحرب ضد الجزار ، ثم انهما كما يقول المؤلف « لما اتفقا على ذلك ارسلا اصحابهما الى المعاملات والولايات بالكتب والرسائل ونادوا بالولاية لهما » .

كل هذا وامثاله من الامور يدعو الى الشك وينبه الى ان الامير يوسف كان على علم بما يدبر في الخفاء للثورة على الجزار حين ارسل عسكره الى جزين والى ان الذين اطلقوا النار على الجزار من المماليك لم يطلقوا نارهم الا بحافز وتحريض من الذين خططوا للقضاء على الجزار وعلى دولته ، والى ان قادة عساكر الجزار لم يثوروا عليه انتصارا للذين اطلقوا النار على الجزار ولجأوا اليهم ، ولا ارتيابا في امر الجزار وخوفا من سوء نيته ، وانما ثاروا ، وغامروا طمعا بما زين لهم من الاماني والنتائج المغرية ، او اطمئنانا الى القوى التي كانت تحفزهم وتسندهم بالمال والسلاح والتدخلات الدبلماسية الفعالة .

اذ لو صح انه كان في نية الجزار ان يهلك المماليك جميعا لما عفا عن علي باشا الخزندار ، وعن سليمان باشا واعادهما الى ما كانا يتمتعان به من رتب عالية بعد ان اشتركا مع المماليك في محاربة الجزار وفي حصار عكا ، وبعد ان فشلت حملة المماليك على عكار وفرار علي باشا الخزندار الى اللاذقية ، وفرار سليمان باشا الى دير القمر حيث اشترك بعد ذلك في الحرب مع الامير يوسف ضد الجزار في معركة (وادي ابو عباد) ومعركة (البقاع الغربي) ومعركة (قب الياس) ، واذن فلم يثر المماليك وقادتهم ولم يغامروا فيما غامروا الا طمعا بما زين لهم من مغانم ونتائج مغرية والا اطمئنانا الى من كانوا يحفزونهم ويمنونهم بالمساعدات السياسية والعسكرية وبالمال والسلاح والاحتلال مكان الجزار في عكا .

من حوادث سنة ١٢٠٣هـ

يقول الركيني الابن « وفيها في اليوم الثامن من ذي الحجة توفي الشيخ حسن سليمان في (مزرعة) القصير وفي السادس عشر منه توفي الشيخ يحيى الحر في جبع ، ثم في هذه السنة توفي الشيخ احمد قبيسي من قرية زبدين » .(١)

....

١ ـ لاحظ ص ٣٠٤ من العرفان م٢٩ .

من حوادث سنة ١٢٠٤هـ

ويقول الركيني « وهل شهر المحرم من سنة ١٢٠٤هـ ليلة الاثنين يوم التاسع من ايلول ، وفي أول محرم تسلم عسكر الجزار دير القمر ، وهرب الامير يوسف في البلدان » .

ويوم الثلاثاء يوم الثامن والعشرين من شهر رجب توفي الشيخ علي رضا في معركة .

ولعل الشيخ علي هذا هو ابن الشيخ حيدر رضا صاحب هذه المذكرات ثم لعله كان خليفة والده في تسجيل الحوادث اليومية التي عاصرها ، اما الثالث الذي حاول ان يسلك طريقهما فلا يزال مجهول الهوية لدينا ، مع ملاحظة الفارق في اسلوب كل منهم ، فالاول كان يروي ببساطة وسذاجة وصدق ، والثاني كان يغالي في سرد الحوادث التافهة وفي الميل الى الاساطير والخرافات، والثالث يبدو من اقلاله وابتعاده عن الروايات الاسطورية ، ومن اقتضابه واختصاره للحوادث وترتيبها حسب السنين ، ومن تكراره للفظة المتاولي كما يلفظها بعض المؤرخين اللبنانيين .. يبدو من ذلك انه قد تطور في اسلوبه واخذ ينقل الحوادث التي تتعلق ببلاد المتاولة او يلخصها من التواريخ اللبنانية بألفاظ لبنانية محضة لا تلتئم مع اللهجات العاملية المتداولة .

من حوادث سنة ١٢٠٥هـ

يقول الركيني الابن « وفي هذه السنة تولى الجزار ولاية الشام ، وفي شهر ربيع اول توفي الشيخ ابراهيم الحر في جبع .

وفي رجب واول اذار اخذ الجزار (غير مقروء) والسيد محمد امين الى عكا ، وفي هذه السنة في شوال سافر الجزار على الحاج واخذ السيد محمد امين معه على الحاج » .

* * *

وفي شهر شوال هذا كان يعمرو يوشع عليه السلام وكانوا ماخذين مية عين قدس الى قريه وكانوا يقطعوها عن اهل البلدة وكانت تنفخت العين بأذن الله وبركت يوشع .

وفي شهر شوال هذا شنق الجزار الامير يوسف حاكم دير القمر ، وشنق علي درويش في هونين ٠

★ ★ ★

لاحظ ص ٦٨٧ من العرفان م ٢٩ ثم لاحظ ان ذكر علي درويش قد جاء في جملة مصادر ونصوص ، فهناك من يقول « واما ابراهيم الصباغ (مدير ظاهر العمر) فقبض عليه الشيخ علي الدرويش الذي كان نزيله وارسله الـى حسن باشا وبعد ان وضعه الباشا تحت العذاب شنقه في صاري المركب » ٠ (١)

★ ★ ★

وهناك من يقول « واما ابراهيم الصباغ فقبض عليه الشيخ علي الدرويش الذي كان نزيله وارسله الى حسن باشا فعذبه حتى اقر بكل ما يعلم من ذخائره وذخائر مولاه ثم امر بشنقه في المراكب فعلقوه ، وكان عبرة لكل بخيل » ٠ (٢)

★ ★ ★

وهناك من يقول « ان ابراهيم الصباغ نزل لعكا بحماية الشيخ قبلان وبيده صك من باشة الشام » ٠ (٣)

وفي الدر المرصوف للقس حنانيا المنير « ان ابراهيم الصباغ اختبأ عند الشيخ علي درويش من مشايخ المتاولة وهو الذي سلمه بعد ذلك للقبطان وهكذا ذكر الامير حيدر في تاريخه الكبير » ٠

١ ـ لاحظ ص ٧١ من تاريخ الجزار طبع بيروت ١٩٥٤ ٠

٢ ـ لاحظ ص ٨٢٦ من نزهة الزمان ج٢ طبع مصر سنة ١٩٠٠ ٠

٣ ـ لاحظ ص ٢٣ من مجلة الاثار ج١ مجلد ٥ ثم لاحظ ص ١٧٤ من تاريخ الشيخ ظاهـر العمر للمعلم مخائيل نقولا الصباغ حفيد ابراهيم الصباغ نقلا عن رسالة الاب جبرائيل دباس لاخيه في روميه ما نصه : « ان ابراهيم (الصباغ) نزل بحماية الشيخ قبلان (شيخ المتاولة) ومعه بيوردي من باشا الشام الذي كان حضر الى عكا حتى ينظـم الامور ، فلما سمع قبطان باشا بحضوره ارسل حالا واتى به لعنده وعززه وضربـه كم عصاية حتى يقر على ماله ومال ظاهر فالتزم المذكور ان يقر عن كل شيء ويسلمهم الذي كان مودوعا في عكا عند الافرنج والذي كـــان مودوعا عند الافرنج في صيدا وحضر هو برأسه في غلياظة الى صيدا حتى سلموها له ، وفكشوا يديه بعذابهم له واخذوه الى استنبول وما تعلم كيف يصبر فيه الله بحسن خلاصة» ٠

لاحظ ص ٢٢ من مجلة الآثار عدد اول م ٥ ، ثم لاحظ ان هذه الاقوال تدل دلالة اكيدة على ان علي درويش كان من مشايخ المتاولة ، ولا يدري فيما اذا كان من آل الصغير ام من غيرهم ؟ ثم اكان حاكما مستقلا ام كان مدبـــرا وكاخية للشيخ قبلان الحسن ، حاكم مقاطعة هونين في ذلك العهد ؟؟ على ان شنقه في قرية هونين يشعرنا بأنه كان من سكان هونين اللامعين في عصره وبلاده ٠

وفي هذه السنة (١٢٠٥هـ) قبض الجزار على احمد آغا جيمور حاكم بلاد بشارة وابراهيم عزام وقتلهما ٠ (١)

من حوادث سنة ١٢٠٨هـ

يقول الركيني الابن « وفي هذه السنة في نصف محرم توفي الشيخ علي خاتون في جويا وهو في يسر الجزار ؟ ومسكوا عياله واولاده من بعـده ، وفي شوال توفي الحاج ابراهيم خليل في بيريش » ٠ (٢)

★ ★ ★

ويقول الشيخ علي سبيتي « وفي سنة الف ومايتين وثمان فتـــك الجزار باهالي بلاد بشارة وقتل منهم جماعة خنقا في الحبس ، ومنهم سلمان البـري ولعله (البزي) وكفل البلاد لاهلها » ٠

★ ★ ★

لاحظ ص ٢٣ من العرفان م ٥ ، ثم لاحظ انه ليس في المؤرخين من يشير الى اسباب هذا الجور والتعسف من الجزار اهو مرض في نفســه ام لعوامل خارجية دعته الى ذلك ؟؟

من حوادث سنة ١٢١٠هـ

ويقول الركيني « وفي هذه السنة ذهب القرمش وكان له سبع سنين في هذه البلاد وفي هذه السنة فر السيد محمد امين واولاده من الجزار ومات حسين الحمد في بلاد عكا » ٠

١ ـ لاحظ ص ١٠٨ من تاريخ الجزار طبع بيروت ١٩٥٤ ٠

٢ ـ لاحظ ص ٦٧٩ من العرفان م٢٩ ٠

لاحظ ص ٦٧٩ من العرفان م ٢٩ ، ثم لاحظ واسأل عن اسباب هذا الفرار ودواعيه وقد كان السيد واولاده موضع تكريم واحترام مـــن الجزار ؟ ومما يزيدنا شكا في اسباب هذا الفرار ودواعيه ، ان الجزار لم يتعقب السيد واولاده بعد هذا الفرار المزعوم ، ولم يقتص منهم كما كان يقتص ممن يتحدون ارادته ويصبحوا عرضة لشكه وارتيابه ونقمته ؟؟ اللهم الا ان يكـــون انتقال السيد باولاده من عكا الى شقرا خوفا على اولاده من فساد بيئة المماليك قـد سماه المؤلف فرارا ؟؟

من حوادث سنة ١٢١٣هـ

يقول الركيني « وفي هذه السنة لفا الشيخ حسن قبيسي ، والسيد حسن نور الدين من العراق الى بلاد الشقيف » (١) .

مشايخ المتاولة مع نابليون في حصار عكا

١ ـ يقول الركيني « وفي هذه السنـــة (١٢١٣هـ) لفا سلطات الفرنسا والافرنج على الاسكندرية واخذها واخذ مصر وشتت السنجاق (اي الحكام) في البلاد ومشى في شهر رمضان على العريش على غزة ، على يافا ، ونهار عيد رمضان تسلم يافا بعد قتال عسكر الجزار وكره ومشى على عكي (عكا) ويوم ثاني عشر شوال حط على عكي وحاصرها حصار عظيم .. وواتا غلاء شديد حتى بيع الرغيف بخمسة فضة والمد التين باثنا عشر غرش ، وكان اكثر طلبهم الى العراق حتى انثفارة التين (اي نفاوته التي لا تصلح للاكل) صنعها النصارة عرق وقطع المد عشرين قرشا ، ويوم سادس عشر ذي الحجة شال عن عكه بعدما قتل من عسكره خلق كثير وانفشل عن عكه وتوجه الى مصر ، والمشايخ رجعوا الى مشغرة » .

* * *

لاحظ ص ٦٧٩ ـ ٦٨٠ من العرفان م ٢٩ ، ولعله يقصد هنـــا بالمشايخ مشايخ بلاد بشارة وفي هذا ما يدل على انهم كانوا مع عساكـــر نابليون وان عائلاتهم كانت الى ذلك الحين باقية في مشغرة او انهم لجاوا لمشغرة مجددا بعد

....

١ ـ لاحظ ص ٥٧٩ ـ ٦٨٠ من العرفان م٢٩ .

رحيل عساكر نابليون من عكا . الا ان كلمة رجعوا تدل على انهم كانوا قبـلا في مشغرة .

٢ ـ ويقول الامير حيدر احمد « وفي سنة ١٢١٣هـ و ١٧٩٨م في ٤ مارس، حضرت العساكر الفرنساوية الى عكا واقاموا عليها الحصار وكانوا في الطريق حاصروا يافا ثلاثة ايام وملكوها بالسيف ، وكان فيها عسكر من المسلمين ينوف على اثني عشر الفا فما سلم منه الا القليل ، وقتل كثير من النساء والاولاد حتى جرى الدم في اسواق يافا .

ولما وصلوا الى عكا حضرت اليهم مشايخ المتاولة ، فاعطوهم الحكم الذي كان بايديهم في بلاد بشارة وحضر الشيخ صالح بن الشيخ ظاهر العمر فاعطوه حكم بلاد صفد » . (١)

٣ ـ ثم يقول المؤلف نفسه في نسخة ثانية « ولما وصـــل امير الجيوش (نابليون) الى اتجاه عكا كتب الى ساير مشايخ البلاد والحكام ان يحضروا الى مقابلته ويحصلوا على امانه ورحمته ، وبدت تاتي اليه اهل تلـــك البلاد ويأخذوا منه الامان ، فحضر اليه الشيخ عباس ابن ظاهر العمر واعرض لديه احواله فترحب به واعطاه السلاح والكسوة وعشرة اكياس ، وكتب له ان يكون متوليا بلاد ابيه .

وحضر ايضا مشايخ بني متوال فاعطاهم حكم بلادهم ، وساروا من عند امير الجيوش الى مدينة صور وقدموا له الزخاير من البلاد وتسلموا القلع الذي كان لابايهم » .

* * *

لاحظ لبنان في عهد الامراء الشهابيين ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ ج ٢ طبع بيروت ١٩٣٣ : « الامير بشير يناصر نابليون سرا بكل جهده » .

* * *

٤ ـ ثم لاحظ ما يصرح به مؤلفو السياسة الدولية في الشرق العربي من قولهم :

....

٢ ـ تاريخ نزهة الزمان ص ٨٨٧ ج٢ .

« ولم تثن نابليون الصعاب التي كان يصطدم بها عن الاتصال بالزعماء الذين كانوا يشكون من ثقل يد الجزار ، فكتب اليهم طالبا النجدة ضد العدو المشترك وارسل الى الامير بشير سيفا وعربون التقدير والصداقة مرفقا بكتاب تضمن جملة تصريحات ،

منها قوله « وقد اسرعت الى اطلاعك على ما تقدم لعلمي بما فيه لك من دواعي السرور والارتياح » ،

ومنها قوله للامير « وفي استطاعتك ان تعلن على جميع قرى الامة الدرزية ان كل من يريد ان يحمل الى جيشي المؤن وخصوصا النبيذ والعرق سندفع له اثمان بضائعه بكل دقة » ،

ومنها قوله للامير بشير ايضا « واني ارغب في ان تحضر شخصيا في اقرب وقت ممكن او ان ترسل من ينوب عنك للاجتماع بي هنا ووضع التدابير اللازمة لانقاذك من عدونا المشترك ٠

لاحظ ص ١٣٢ من السياسة الدولية في البلاد العربية ج ١ ، ثم لاحظ ان المقصود بقوله (الامة الدرزية) جميع اللبنانيين وخصوصا الموارنة ، لان الدروز كانوا بعواطفهم مع الدولة العثمانية كرها بسياسة الامير بشير ، كما يتضح من قول الامير حيدر احمد شهاب ٠

وفرحت اهالي الجبل بقدومهم لسبب ظلم الجزار ، واتت اليهم الناس بالخمر والبضائع واخذت منهم اموالا جزيلة ، وخافت منهم دروز الجبل فعزم اكثرهم على الرحيل الى الجبل الاعلى وحوران ، فما طاوعتهم اصحاب الادراك على ذلك ، واجتهد الشيخ بشير جنبلاط والمشايخ في ترحيل اهل الغرب والساحل فما طاوعهم الشيخ عبد الله القاضي لاجل خاطر الامير بشير لانه كان غير راض بذلك » ٠ (١)

* * *

وكما يبدو مثل هذا من قول مؤلف اخبار الاعيان « وسنة ١٧٩٨م غضب الجزار على الامير بشير وولى عوضه الامراء اولاد الامير يوسف لانه اتهمه بالاتحاد مع الفرنسوية ٠

وسنة ١٧٩٩ قدمت مراكب الانكليز الى عكا لحمايتها من جيوش الفرنسوية القادمين اليها ثم قدم اليها بونابرتي بجيوشه برا واقام عليها الحصار فسر النصارى بقدوم الفرنسوية ، ووقع الرعب في قلوب الدروز ، فاجتمعوا في اعبيه ليروا ماذا يفعلون وتحالفوا في مقام الامير السيد ، على مقاومة

١ ـ لاحظ ص ٨٨٧ من نزهة الزمان ج٢ ٠

الفرنسوية والامير (بشير) فاعترضهم الشيخ عبد الله القاضي البيصوري ، فسر الامير (بشير) بذلك واطلق له التصرف بعقاراته وطيب خاطره ٠

فكتب الجزار الى الامير بشير يطلب منه ان ينجده بعسكر فارسل يعتذر اليه بعدم طاعة اهل البلاد له اذ بلغهم تولية الامراء اولاد الامير يوسف (مكانه) فغضب من ذلك الجواب » ٠

* * *

لاحظ ص ٩٨ من اخبار الاعيان ج ٢ ثم لاحظ ان الامير بشير مع هذه الظروف المحرجة التي احاطت به ، من غضب الجزار عليه ، وتحذره من دسائسه ومؤامراته ، واعداد اولاد الامير يوسف لحكم جبل لبنان مكانه ، ومن تظاهر الانكليز مع الدولة العثمانية ، وتحالف الدروز فيما بينهم على ان يقاوموا الفرنسوية مع الدولة ايضا ٠

انه مع كل ذلك لم يمتنع عن ان يرسل للشاعر نقولا الترك بأن يقوم مقامه في الاتصال بقادة الجيش الافرنسي بمصر ، ثم يخبره بكل ما يجري هناك ، اذ كان نقولا الترك كما يقول الدكتور افرام البستاني :

« على معرفة تامة بشؤون ذلك القطر (المصري) وعلى بصيرة في قدر امكانياته الحربية والاقتصادية ، وهو ما دفع الامير بشير الى ان يعهد اليه في مراقبة الحالة العامة في اثناء الاحتلال الفرنسوي » ٠

« فكان على المعلم ان يحسن المراقبة من مقره في القاهرة اولا ثم من دمياط، وان يدون كل ما يتصل به من اخبار الجيوش وحركاتها وعددها ، وعددها ، وان يرسل بخلاصة ذلك الى اميره » ٠

« ومما يزيد في قيمة ما كتبه (الترك) انه كان على اتصال بكبار القوم وطنيين ، واجانب ، حكاما ، وولاة ، وموظفين ، وتجار ، يقف على احوالهم ويسجل اهم احداثهم ، فاذا دخل الجنرال بونابرت القاهرة فاتحا هناه بقصيد حماسية ، وارخ ذلك الحدث سنة ١٢١٣هـ ، واذا قتل الجنرال كليبر رثاه بقصيدة عاطفية ملخصا فيها اعماله المجيدة في المعارك وانتصاراته العديدة » ٠

« ومعنى هذا ان نقولا الترك كان جاسوسا للامير بشير وللافرنسيين معا على اخصامهم » ٠

* * *

لاحظ ص (أ) و (ب) و (ج) من مقدمة ديوان نقولا الترك ، ثم ص ٥٧٢ من لبنان في التاريخ ، حيث يقول « وكان نقولا الترك قد ارسل الى مصر ليشاهد عن كثب وليرسل تقريرا عن تلك الحرب » ٠

وفاة الجزار واستلام سليمان باشا مكانه بطرق مشبوهة

الحوادث حسب رواية الشيخ محمد مغنية

يقول الشيخ محمد مهدي مغنية نقلا عن العقد المنضد في شرح قصيدة علي بك الاسعد للشيخ علي سبيتي :

« وبعد مقتل ناصيف النصار انتكبت البلاد وتشتت اهلها وحكم بها الاكراد فاظهروا على اهاليها الحقد ومنعوهم ان يملكوا من امرهم شيئا حتى كانوا مع الحكام عبيدا صرفا ٠

وقدر الله ان جاءت فرنساوية تحت راية ابونبارتوا ، فحاصر عكا سنة ١٢١٣هـ واخذ بمخناقها وضربها بالمدافع والحرقات حتى هدم سوريا واظهر العدل في الرعية ، فكانت الرعية تبيع على العسكر الحطب واللبن والدجاج فيأخذوه بأغلى قيمة مضاعفة من باب الجزء عشرة فصاعدا ، ولشدة وطأة الجزار في صفد وعاملة وشدة تتبعه لكبرائهم بالقتل والنهب والاسر ، سلموا الامر الى ابونبارتوا وهو على حصار عكا ٠

فلما شاء الله قيامه عنها لهم وقع في بلاده ولاخذ البحر عليه من عكا ، والدولة العثمانية ، والانكليز ، وكان قد اخذ بمخنق الجزار ، وكاد عسكره ان يقبض على الجزار اسيرا ؟ فما كان تلك الليلة حتى وافاه الخبر بالحادث الفادح في بلاده ، فقام ليلا وترك النيران والمضارب على حالها ٠

فلما اصبح الصباح ورأى العسكر الافرنجي قد رحل اطمأن واستقر له الحكم واخذ البلاد بالعسف والجور اشد من الاول ٠

وكان شدة بطشه وجوره لاهل عاملة والساحل من صفد ، فكان كلما سمع بشخص له اسم في الجملة اخذه واستصفى امواله وهو في العذاب والاسر ٠ وكان المتولي لعذاب الناس عنده رجل يزيدي يسمى الشيخ طاها ، كردي،

واعوانه نسطورية فكان يضرب بالجنازير ، ويحمي الطشوت للرجال ويستعمل المكاوي لهم ، ويسلط عليهم الكلاب في الحبوس ينهشونهم ، والنساء يضع في سراويلهن السنانير ويضغطها حتى يعضعضن افخاذهن وسوقهن ، واشتد البلاء على الناس اشتدادا عظيما وطال الامر حتى هلك العالم وخربت القرى واستصفيت الاموال ، ونهب جميع ما في عاملة من كتب وآثار وعقار ، واعظم الناس بلاء كان الشيخ الخاتوني حبس مرتين واستصفيت امواله ولم يقبل منه فداء حتى كان يدور في البلاد يسئل الناس من الاحسان واصحاب الحوالات معه ؟ » ٠ (١)

* * *

ويقول الشيخ السبيتي نفسه : « ولما راى الجزار اهالي البلاد من بلاد عكا وجبل عاملة يحضرون الحطب والدجاج والبيض وسائر الامتعة للافرنج كفر بهم ، وبعد ذهاب العسكر اهلكهم قتلا وحبسا مع الاعمال الشاقة من حفر وبناء حتى اهلك الحرث والنسل ، ومع ذلك كان يعذبهم في الحبوس بتسليط الكلاب والقطاط والمكاوي وضرب مقارع الحديد ٠

وكان له معذبون اكراد وعليهم رئيس يسمى الشيخ طه يزيدي يقول بروح الشر ، وان المعظم هو الشيطان يسوء لمن سمعوه سب الشيطان لا سيما وهو كلمة خفيفة على السنة العامة ، وكان من يأمر الجزار بقتله لا يقتل بدون عذاب حتى تزهق نفسه وبقي الحال في شدته الى سنة تسعة عشر ، فهلك الجزار ، وخلفه سليم باشا احد اهل مماليكه ؟؟ فالتاث عليه الجند وقتلوه ؟ ونصبوا سليمان باشا بعد تشريده من سليم باشا ؟؟ (٢)

● الهوامش والتعليقات

يلاحظ ان الذي خلف الجزار اولا : هو اسماعيل باشا ، وذلك بتدبير من الشيخ طه وقادة عساكر عكا ، الذين اخبروا الدولة بوفاة الجزار والتمسوا منها ان تقر تدبيرهم بتعيين اسماعيل باشا مكانه ٠

ولكن الدولة عندما عرفت بموت الجزار عينت او قيل انها عينت ابراهيم باشا والي حلب مكانه ، ثم ارسلت قائد الاسطول الهمايوني راغب افندي ليضبط مخلفات الجزار ٠

١ ـ لاحظ ص ٦٠١ ـ ٦٠٢ من مخطوطة جواهر الحكم ٠

٢ ـ لاحظ ص ٢٣ ـ ٢٤ من العرفان م٥ ، نقلا عن مخطوطة الحاج محمد سهيل وناصيف باشا الاسعد ٠

وبعد استلام عكا من لهم غرض ورأي سعى راغب افندي (لامر ما) بتعيين سليمان باشا ، فنجحت مساعي راغب افندي وفر اسماعيل باشا وعاد ابراهيم باشا من حيث اتى معزولا ٠

أما سليم باشا الذي ذكره الشيخ السبيتي ، فانه بعد ان فشل في ثورته على الجزار سنة ١٢٠٣ هـ ، فر الى القسطنطينية ولم يرجع منها بل حارب ضد الروس مع الجيش العثماني الى ان قتل ٠

على ان اسرار تعيين سليمان باشا مكان الجزار بعد ان رشح اسماعيل باشا ثم عين ابراهيم ، ثم رجع سليمان باشا عن طريق الحج لمنافستهما، كل ذلك لا يزال غامضا يدعو الى التساؤل والبحث عن الاسباب والخلفيات الغامضة والمريبة ؟

تناقض الروايات عن عهد الجزار في بلادنا

كما يلاحظ ان مشايخ المتاولة بعد مقتل ناصيف النصار واقصائهم عن حكم مقاطعاتهم قد اصبحوا معارضين لكل فكرة ولكل حركة يقوم بها الموالون لسياسة الدولة العثمانية كما قد اصبحوا وظلوا مؤيدين لكل ثورة ولكل انقلاب ولكل هجوم على حكم الجزار ٠٠ لقاء عودتهم الى حكم مقاطعاتهم في جبل عامل ٠

فهم قد ثاروا لثورة الدروز وثورة الامير يوسف على الجزار سنة ١١٩٧هـ او سنة ١١٩٩ هـ وقتلوا المتسلم في قلعة تبنين ٠

وهم قد آزروا انقلاب المماليك وثورتهم على سيدهم الجزار سنة ١٢٠٣ هـ بقيادة سليم باشا ٠

وهم قد رحبوا باحتلال نابليون بونابرت وسليمان باشا لضواحي عكا وصور واستسلموا لحكمه سنة ١٢١٣ هـ ٠

ومع توالي الاخفاق والفشل في جميع مغامراتهم لم نر ـ في كل ما وصل الينا من اخبارهم ـ انهم قد سعوا في يوم من ايام فشلهم للاتفاق مع الجزار بواسطة مستشاريهم وكواخيهم ، او بواسطة رجال الدين من طائفتهم ، او بتقديم العرض حالات والهدايا الكريمة او الاغراء بزيادة الاموال والضرائب، كما كان يفعل امراء لبنان وحكام وادي التيم كلما نقم عليهم الجزار او نكل بواحد منهم فعزله او قتله او حبسه او شرده عن مقر حكمه ٠

فالامير يوسف شهاب قد عاد الى الحكم اكثر من مرة بعدما عزله الجزار وشرده وبعد ان حاربه والب عليه مشايخ البلاد ، والامير بشير قد عاد مرارا

الى حكم الشوف بعد ان عزل ، وبعد ان حورب ، وبعد ان شرد ، ثم بعد ان حبسه الجزار وقيده وحجز حريمه في مدينة صيدا مدة من الزمن ، وقس على هذين الحاكمين بقية الحكام والامراء .

وعليه فما السر في تمنع مشايخ المتاولة بعد مقتل ناصيف عن محاولة استرضاء الجزار والاتفاق معه على نحو ما كان يستعمله غيرهم من الطرق والوسائل الناجعة ؟؟

ايكون السر في ذلك انه لم يكن لدى مشايخ المتاولة مساعدات اجنبية تساعدهم سياسيا واقتصاديا ودوليا على تلطيف الامور بينهم وبين ولاة الدولة؟؟ أم يكون السر في ذلك الحادث الذي يرويه الركيني حيث يقول ضمن اخباره عن فواجع سنة ١١٩٧ هـ :

« وآل امر بيت علي الصغير بعد قتل ناصيف الى ان هربوا ورحلوا الى ديرة الشام والى بعلبك والهرمل ، ثم ان باشة صيدا الذي اسمه احمد باشا الجزار ، ارسل يرده (أي يرد الحكم) طيبان خاطر الى رجل منهم اسمه حمد العباس فرجع هو وعياله واخوته الى بلادهم فمسكهم الجزار في مدينة عكا وحبسهم الى ان ماتوا في السجن ، الشيخ احمد واخوه حسين ، واولاد عباس العلي ، ثم آل امر حريمهم وبقية عيالهم واولادهم الى ان داروا في البلاد يشحذون ويطلبون من الناس » (١) .

غير انه اذا اخذنا بمحتوى قول الركيني – وهو من المعاصرين للحوادث – وآمنا بأن هذا الحادث الفظيع كان سببا لياس مشايخ المتاولة من أمان الجزار ووفائه .. فبماذا نفسر قول من قال في خطط جبل عامل .

« ولما قتل الامير ناصيف بن نصار امير جبل عامل في وقعته مع عسكر الجزار قرب يارون وعاث عسكر الجزار في جبل عامل تدميرا واحراقا ونهبا ، وقتل الجزار كثيرا من العلماء والوجوه وحبسهم وهرب من لم تنله يد الجزار من العلماء والاعيان وتفرقوا في البلدان في دمشق وبعلبك والعراق وايران وبلاد الهند ، وكان السيد محمد الامين قد هرب باهله فيمن هرب الى بعلبك .

فلما رأى الجزار خراب البلاد أشير عليه بأن يؤمن السيد محمد الامين ، وهو يسعى في عمران البلاد وعودة امرائها واهلها اليها فامنه واحضره عنده للنظر في ذلك ، فاستقر الامر على ان يتكفل السيد للجزار امراء البلاد من العيث فيها ، واعطاهم الامان لهم ولاهل البلاد ليعودوا الى اوطانهم ، ووضع ولده

١ – لاحظ العرفان ص ٩٥٢ م٢٨ .

جدنا الادنى السيد علي رهينة عند الجزار على ذلك ، وتم الامر على هذا وعمرت البلاد شيئا ما » (١) .

* * *

ثم انظر فيما اذا كان أعيان البلاد وعلماؤها اجمع قد هربوا وتخفوا جزعا من نقمة الجزار أو من غدره بهم ... فمن هو الذي تسنى له ان يشير على الجزار منهم بأن يؤمن السيد محمد الامين وهو يسعى في عمران البلاد وعودة امرائها ؟؟

ثم كيف يذعن القارىء ويطمئن الى انه قد تم الامر على هذا وعمرت البلاد، مع انه لم يتحقق شيء لامراء البلاد من أمان الجزار الذي حمله السيد اليهم ، وانما سيق الذين اطمانوا لأمان الجزار الى سجون عكا حيث ماتوا فيها قهرا كما يتضح ويتأكد من محتوى قول الركيني .

ثم هل كان السيد محمد الامين اوسع نفوذا في البلاد واكثر رجالا، واشد بطشا من الأمراء الفارين يومئذ من حكم الجزار ليتكفل للجزار بأن يمنعهم من العبث في البلاد ؟؟

وعلى تقدير أن يكون قد تكفل للجزار بمنعهم من العبث والفساد في البلاد، فهل استطاع أن يمنع الذين رفضوا أمان الجزار من ان يعيثوا في البلاد طيلة حكم الجزار ؟ أم ظلوا كما يقول المعلم ابراهيم العورة في تاريخ ولاية سليمان باشا :

« ان مشايخ المتاولة المذكورين بسبب ما جرى على والدهم وبلادهم واملاكهم هربوا واختفوا ، بعضهم في بلاد بعلبك وبعضهم في جبل عكار، واستقاموا مدة طويلة بحالة الاختفاء ، ثم تجمعوا وحضروا الى ديرتهم واستعملوا الطياحة وصار اسمهم (طياح) اي قطاع الطرقات ، فدخلوا بلادهم واختباوا وصاروا يطلبون من البلاد مال ميري وذخائر ، والقرى التي تقدم لهم مطلوبهم بالسهولة والكتمان بدون ان يعرف احد بذلك تسلم من شرهم ، والتي تتردد عن اجابة مطلوبهم او يعرف احدهم عن محل وجودهم ومكمنهم، ففي تلك الليلة يحضروا اليها وينهبوها ويقتلوا مشايخها ويتوجهوا الى محل كمينهم ، ولبثوا هكذا كل مدة حكومة الجزار الذي عين عساكر كثيرة كان يسميها

١ – لاحظ ص ١٣ – ١٤ من خطط جبل عامل وص ٢٢٠ – ٢٢١ من اعيان الشيعة ج٤٣ .

السردلة (١) ، وارسلهم ضدهم الى بلاد المتاولة ، ثم عين عساكر من المتاولة انفسهم وما صار منهم نفع ·

وبقيت هكذا بلاد المتاولة كل مدة حكومة الجزار أي كانوا يدفعون مال ميري وذخائر للجزار ، وتكاليف للمتسلحين والعساكر السردلة (٧) الذين يدعون انهم يحافظون عليهم ، ويدفعون مال ميرى وذخائر للمشايخ المذكورين ومن يتبعهم الذين يدعون ان البلاد بلادهم واهاليها عبيد لهم » (٢)·

وعليه فبأي الروايات يأخذ الباحث وعلى أيها يعتمد في التاليف بين المتناقضات أو في تقرير الحقيقة والواقع التاريخي ؟؟ وخصوصا اذا لاحظنا ان مشايخ المتاولة لم يقبلوا بتعهد بكر آغا أو غيره من رجال الدولة في عهد سليمان باشا ، الا بعد ان تكفل لهم الامير بشير الشهابي بوفاء سليمان باشا لهم بكل ما يتم الاتفاق عليه كما تكفلهم عند سليمان باشا · ولكن كيف اطمانوا للامير بشير وتعهده بعدما غدر بهم قبل ذلك ابن عمه الامير يوسف ؟ امتثالا لاوامر الجزار ، ثم بعدما غدر الامير بشير بابن عمه الامير يوسف ووشى به الى الجزار حتى خلع ؟؟

ولعل الحديث المعقول الذي ينسجم مع مختلف هذه الروايات ويصلح بمحتواه لان يكون لفت نظر الجزار نحو السيد محمد الامين ودعاه الى ان يسكنه عنده في عكا ، والى ان يأخذه معه الى الحج ، ثم الى ان يمنحه لقب (مفتي بلاد بشارة) والى ان يعطيه مزرعة الصوانة مع مشد اربعة فدادين في قرية شقرا معاشا له ولعائلته ، هو ما يرويه بعض المعمرين وقد سمعته في صغري يتحدث الى المرحوم والدي ويقول له :

« انه لما بلغت نقمة الجزار على (الطواح) من مشايخ المتاولة حدها الاقصى عمد الى رجال الدين والفقهاء من العامليين وفوض اليهم حكم البلاد وادارتها على موجب الشرع الشريف ، ثم وكل اليهم جمع الاموال الاميرية المفروضة على القرى والمقاطعات من قبل الدولة » ·

وتقديرا من الفقهاء لهذا الاجراء العادل بالنسبة للظروف السياسية والاوضاع الادارية التي كانت ترهقهم بشدتها وشراهتها يومئذ ، وقعوا عريضة وارسلوها للصدر الاعظم تأييدا لسياسة الجزار هذه واطراء لحكمه ، ولكن الناقمين على حكم الجزار من الطواح ومشايخ المتاولة عندما علموا بذلك جاءوا

١ ـ السردلة على وزن الغربلة وبمعناها مع فارق بسيط عرفا والغربلة نسبة الى الغربال وهي تنظيف الحنطة من التراب الناعم والحصى الصغيرة بواسطة الغربال ، ويقصد بها تنظيف الحبوب من الحصى الكبيرة والتراب الخشن · ٧ والمعنى بعسكر السردلة هنا تنظيف البلاد من العصاة والمتمردين ·

٢ ـ لاحظ ص ٣٤ ـ ٣٥ من تاريخ ولاية سليمان باشا طبع سنة ١٩٢٦ ·

والزموا رجال الدين والفقهاء انفسهم بتوقيع عريضة مضادة لنص العريضة الاولى ما عدا الشيخ حسن نعمة والسيد محمد امين قشاقش ، فانهما تمنعا عن توقيع العريضة ، وحذرا الذين وقعوها بعد ان وقعوا العريضة الاولى، وحذروا من مغبة هذا العمل ·

ولما وصلت هذه العرائض المتناقضة الى الصدر الاعظم في الاستانة ـ وكان صديقا للجزار ـ بعث بها اليه ، فتفاقم غضبه وعظمت نقمته على المتاولة جميعا وشك بكونهم من المسلمين ؟ واستحل كل وسيلة واسلوب للتنكيل بهم وبفقهائهم ، ولم يستثن منهم احدا سوى الشيخ حسن نعمة والسيد محمد امين قشاقش ، وتقديرا لموقفهما المتزن فقط حفظ لهما مكانتهما واكرمهما ومنح السيد محمد امين لقب (مفتي بلاد بشارة) واقطعه مزرعة الصوانة مع مشد اربعة فدادين في شقراء معاشا له وتقديرا لاستقامته على الولاء لدولة الباشا (١) ·

اجل لعل هذا القول الذي كان شائعا على لسان المعمرين من نابهي ذلك العصر هو بمحتواه أقرب الى الواقع في تعليل دواعي الحظوة التي خص بها السيد محمد امين قشاقش من دولة احمد باشا الجزار ، ثم اصبح منطقا في بيان الاسباب التي استغنى بها السيد محمد امين بعد ان كان في سنة ١١٩٤ هـ بحاجة الى من يعمر له قبر والده ، والى ان يقبل ذلك حتى من زعماء عاملة (٢)، وهم في أحرج الظروف السياسية والاقتصادية لما اضطروا اليه في الحروب المتواصلة من نفقات باهظة وخصوصا بعد مقتل ابي حمد النصار مع مائة فارس من فرسان المتاولة في واقعة الجولان سنة ١١٩٣ هـ ·

ثم هو اوضح صورة لتحديد المناسبات والظروف التي حملت الجزار على ان يمنح السيد محمد امين لقب (مفتي بلاد بشارة) مع ان الافتاء كان كالقضاء في عهد الدولة العثمانية مقصورا على علماء المذهب الحنفي ، فلا يعطى لغيرهم من الشافعية والحنابلة والمالكية ، فكيف يعطى للجعفريين ؟ وهم لم ينعم عليهم من الدولة حتى بمجرد الاعتراف الرسمي بمذهبهم ؟

١ ـ لاحظ ص ١٣٧ من تاريخ جبل عامل للاستاذ محمد جابر حيث يروي المؤلف ما يقوى صحة هذا الزعم ويقربه من الاذهان بقوله :

« وشكا علماء جبل عامل الجزار الى الاستانة ولكن حكومة الباب العالي ارسلت اليه الشكوى عينا ، فانتقم من موقعيها واسرف رجاله في ذلك الشعب قتلا وذبحا وقبض على فريق من الوجهاء فاماتهم خنقا في سجون عكا » ·

٢ ـ لاحظ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ من اعيان الشيعة ج٤٣ الطبعة الثانية وص ١٣ من خطط جبل عامل ·

الفصل الثاني

من حوادث سنة ١٢١٤ هـ.

وفي هذه السنة (١٢١٤ هـ) لفا الوزيـــر الاعظم الى الشـــام مع جمـلة باشوات على قتال النصارة (أي الفرنساوية) .

وفي هذه السنة توفي الشيخ محمد قبيسي في قرية انصار « لرحمة العزيز الجبار » .

من حوادث سنة ١٢١٦ هـ.

وفي هذه السنة توفي الشيخ حسين الغـــول في كونين يوم خمسة جماد آخر ،

وفي شهر ذي الحجة رجع الوزير الاعظم الى الشام بعدما عزل الافرنج من مصر ورجع الى اسطنبول وولى في مصر آغا من قبله .

وفي شهر ذي الحجة ، الوهابي كبس مشهد الحسين (في كربلاء) ونهب وقتل قدر خمسماية نفس (١) .

من حوادث سنة ١٢١٨ هـ.

يقول الركيني « وهل شهر المحرم سنة ١٢١٨ هـ ليـــلة السبت ، وفي هذه السنة رحلنا الى الشام » .

---

١ ـ العرفان م٢٩ ص ٦٨٠ .

اضطراب الأخبار بعد وفاة الجزار

يقول الامير حيدر احمد شهاب « وفي ابتداء هذه السنة (سنة ١٢١٩هـ) في شهر محرم الحرام الموافق الى تسعة وعشرين من شهر نيسان ، كانت وفاة احمد باشا الجزار في مدينة عكا ليلة الثلاثة وحين اراح الله البشر من ظلم الجزار ونقله الى العذاب ارسل الشيخ طه الذي ذكرنا انه كان في مقام كاخية عند الجزار ، اخرج اسماعيل باشا من الحبس ، وكان قصده بذلك ليعينه على ضبط الدايرة والاموال خوفا من العساكر لانه خاف لتقوم عليه دولة الجزار ويقتلوه ، ثم عرفه بموت الجزار ، واخذوه خفية الى السرايا والبسوه ثياب الجزار ونادوا باسمه ، وان الجزار قد كتب واوصى له في التسليم من بعده ، ثم امر باخراج حاييم اليهودي من السجن ورجعوه الى الخزنة كما كان ، وتسلم اسماعيل باشا تركة الجزار وكانت اموال وذخائر ودايرة لا تقاس ولا تحد ولا (تحصاها) الاقلام ولا ذوي الافهام ، وفي الحال فرق اسماعيل باشا المنضا المكسورة الى العساكر ، وكانت تبلغ سبعة الاف كيس ، وارسل اعلام الى جميع المقاطعات والمتسلمين طيبان خاطر وان كل منهم يكون متعاطي اشغاله ، فكان سرور عظيم عند العالم في زوال الجزار ، ورجعوا الهاربين من المدن ومن الشام الى مواطنهم » (١) .

الحوادث المموهة

.. ويقول الامير حيدر احمد « وفي هذه الايام لما تحقق عند المشايخ المتاولة موت الجزار حضروا من بلاد عكار الى عند الامير بشير وطلبوا منه الاسعاف لكي يتملكوا بلادهم واستنجدوا في الشيخ بشير جنبلاط ودفعوا له نصف حكم اقليم الشومر الذي في جباع الحلاوة فمشى معهم اهل الشوف ورجال

---

١ ـ لاحظ ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين .

بيت ابو نكد ، وكتب الامير بشير الى امارة حاصبيا وراشيا ان يتوجهوا معهم برجالهم فتوجهوا الامارة باهالي وادي التيم مع المتاولة واجتمعوا الجميع في مرج عيون ولما بلغ عسكر الدولة الذي في بلاد المتاولة قدومهم هربوا الى صور فنقلوا الامارة والمتاولة من مرج عيون (يعني الى قلعة هونين) فارسل لهم الامير بشير علم بأن يرجعوا وقبل وصول العلم كبسهم محمد علي ابن الوند الذي كان متسلم في حوران ، ثم بعد موت الجزار حضر الى عكا وكان دالي باشا بنحو مايتين خيال ومعه خمسماية نفر أرناؤوط ، ولما وصلت الدولة انكسروا المتاولة والدروز وخرجوا من القلعة (قلعة هونين) وراح منهم ما ينوف عن الثلاثماية قتيل واكثرهم عند خروجهم من بوابة القلعة داست الخيل الزلم ومنهم ماتوا على الطريق وقبضت الدولة على اربعا وستين نفر . ومن الجملة امير من وادي التيم يقال له الامير حسن ، وكان اكثر القتلى من اهل وادي التيم وغنم عسكر الدولة في المكسب والسلاح . ثم من بعد ذلك جدد الشيخ بشير جنبلاط الصوت وتوجه الى جباع الحلاوة، فحضر كتابات من الشيخ طه الى الامير بشير عن يد شريف اغا ان الذي توقع من الكاينات ليس هو بعلم اسماعيل باشا . وانه يوجه التقادم ليوجه له الخلع والتزام البلاد ويطلق له الامير سليم والامير قاسم » (١) .

● ما يلاحظه الباحثون

مما لا شك فيه ان الشيخ طه هذا اصبح بعد وفاة الجزار اضعف من ان يحرك ساكنا بدون علم قادة العساكر في عكا وموافقتهم ، واذن فكيف تجرأ على ان يتفرد بتعيين خلف للجزار كاسماعيل باشا وهو موضع الشك من قبل رؤساء العساكر واغواتهم ؟؟

وما يدرينا بأن تكون نسبة تعيين اسماعيل باشا في مكان الجزار الى الشيخ طه اليزيدي ثم اتهامه وتجريحه بانه كان خائنا ومحبوسا مع حاييم اليهودي كل ذلك كان لتنفير الناس من اسماعيل باشا وتقريبهم من سليمان باشا ورهطه من المتآمرين ؟

ولو ان الشيخ طه هو الذي عين اسماعيل باشا ـ بدون علم قادة العساكر ـ لما قتل بعد ذلك بأمر من اسماعيل باشا على ما يرويه الشهابي ص ٤١٥ من لبنان في عهد الامراء .

١ ـ لاحظ ص ٤١٢ ـ ٤١٣ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين .

ثم اذا لاحظنا ان جميع الناس ـ على قول المؤرخ ـ قد فرحوا وترقبوا الفرج بموت الجزار فكيف نصدق ان مشايخ المتاولة الذين لاقوا الامرين من عنف الجزار ـ لم يفرحوا ولم يترقبوا الفرج بعد موته ؟؟ ليثوروا على الدولة بعد وفاة الجزار قبل ان تستقر الامور ويعرفوا موقف رجل الدولة الجديد منهم ؟؟

ثم ان مشايخ المتاولة لم يكونوا في بلاد عكار يوم علموا بوفاة الجزار وانما كانوا داخل بلادهم قسمان ، قسم مع الطواح وقسم موالي للدولة كمرعي الصعبي مثلا .

ثم لماذا لم يسم المؤرخ مشايخ المتاولة الذين استنجدوا بالامير بشير والشيخ بشير جنبلاط باسمائهم ، كما قد سمى امير حاصبيا الشهابي باسمه ؟؟ ام ان الامير بشير والضالع في المؤامرة مع سليمان باشا لم يجرؤ على ان يعلن الثورة على اسماعيل باشا باسمه خوفا على ابنائه المرهونين في عكا ـ فموه الثورة باسم المتاولة استخفافا بشعورهم وبمصالحهم السياسية او اعتقادا بأنه ليس فيهم من يجرأ على مخالفة رغائبه ولو كانت جائرة مهينة .

ثم اذا كان مشايخ المتاولة هم سبب المعركة وابطالها فلماذا اعتذر الشيخ طه للامير بشير عن هذه المعركة وانها كانت بغير علم اسماعيل باشا ؟ بل كان على الامير ان يعتذر لدولة اسماعيل باشا .

ثم ان مشايخ المتاولة يومئذ لم يكن بيدهم شيء من اقليم الشومر او غيره من اقاليم بلادهم الثمانية قبل ان يتعين سليمان باشا بمنصب الجزار ، ويصطلح مع المشايخ ويعطيهم اقليم الشومر معاشات موزعا على كل فرد منهم ، فكيف يصح القول بأنهم اعطوا نصف حكم اقليم الشومر الذي في جباع للشيخ بشير جنبلاط مع انهم كانوا لا يملكون ولا يحكمون ؟ ثم ان اقليم الشومر لا علاقة له بجباع الحلاوة ولا جباع الحلاوة لها علاقة باقليم الشومر جغرافيا واداريا ؟؟

كل هذا مما يدل على جهل ملفقي هذه الرواية وعلى حماقتهم في اصطناع الحوادث ، وذلك مما يدعو للشك بكل ما نسب لمشايخ المتاولة بهذه الرواية وبهذه المعركة .

المساعي المشبوهة

من المتفق عليه لدى جل المؤرخين ، انه لما توفي الجزار سنة ١٢١٩هـ اجتمع مجلس شورى ولاية عكا المؤلف من قادة العساكر واختاروا اسماعيل

باشا القدسي لتولي منصب الجزار وكتبوا للباب العالي في اسطنبول يخبرونه بوفاة الجزار ويلتمسون منه تعيين اسماعيل باشا مكان الجزار ، وكل ما قيل لتزييف هذه الحقائق لا يثبت للنقد الصحيح ٠

ولكن الدولة العثمانية ـ لامر ما ـ عندما علمت بوفاة الجزار ، او عندما علمت بمرضه الشديد على ما يذهب اليه الامير حيدر ، عينت ابراهيم باشا والي حلب مكانه ثم ارسلت راغب افندي امين الخزنة مع (الدونما الهمايوني) لضبط مخالفات الجزار (١) ٠

ماذا صنع راغب افندي

يقول الامير حيدر : « وحضر راغب افندي قبجي الذي مـن قبل الدولة العلية لضبط مال الجزار حضر من حلب الى الشام الى دير القمر وقام الامير بشير بكرامته وخدمته (اي بتقديم الرشوة الكبيرة له) لانه في الرتبة اكبر من ابراهيم باشا بما انه وكيل الدولة العلية ثم توجه من دير القمر الى مدينة بيروت وسافر في البحر (٢) ٠

ويقول المعلم ابراهيم العورة وهو مـن كتبـة سليمان باشـا المعاصرين للحوادث : « ونزل راغب افندي من الدونما (الاسطول) فـي حيفـا الى عند ابراهيم باشا وسليمان باشا فقابلهما ورجع الى الدونما ، وبعد يوميـن حضر ليلا بالسر عند سليمان باشا واختلى معـه وصار الاتفـاق بينهـم ان يقدموا معروضات الاستدعا للباب العالـي بطلب المنصب لسليمان باشا وقبل الالتماس وصدرت الاوامر السلطانية بتوجيه الايالة الى سليمان باشا وعـزل ابراهيم باشا (٣) ٠

* * *

ويقول الامير حيدر احمد : « واما راغب افندي الذي حضر لاجـل ضبط مال الجزار » حين تحقق ان قبطان باشا مع اسماعيل باشا وانـه ارسل يعرض الى الباب العالي في امره ويطلب له المنصب وتحقق ان عكـا عسرة التسليم فرجع الى اسطنبول في ثلاث مراكب باليوم الذي وسقوا ما تسلمه القبطـان من اموال الجزار (٤) ٠

ثم يقول الامير حيدر : « وفي هذه السنة رجع راغب افندي من (اسطنبول) الى صيدا وعن يده امر شريف بأن تكون ايالـة صيدا علـى سلميان باشـا وايضا اوامر شريفة الى الامير بشير من الصدر الاعظم ! » (٥) ٠

● ما يلاحظه الباحثون

(١) لاحظ ص ٤١٢ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين : حيث يقول الامير حيدر « وحضر مصطفى اغا الحلبي وعن يده مراسيم تطمين خاطر من ابراهيم باشا والي حلب وتعريف الى الامير بشير واولاد الامير يوسـف ، ان الدولة العلية قبل وفاة الجزار بسنة وثلاثين يوما قد انعمت عليـه فـي التملك على ايالات الجزار ، الشام ، وصيدا ، وعكا ، وطرابلس ٠

وكان السبب (في هذا) انه حين اعتذر الجزار الى الدولة العلية عـن التوجه الى الحج الشريف وارسل عوضه سليمان باشا متسلم صيدا ، فحضر اناس من قبل الدولة سرا ليحققوا هل هو اعتذار الجزار حقيقي ام لا ؟؟ فرجعـوا واخبروا بالحقيقة ان الجزار في مرض ثقيل ، فانعمت الدولة على ابراهيم باشا في منصبية الشام وطرابلس وصيدا واوامر انه متى توفي الجزار يكـون حالا ضابط الاموال والايالات فصادف توفي الجزار قبل خروجه من حلب » ٠

لاحظ هذا النص ثم ابحث عما كان يمنع الدولة من ان تعزل الجزار وهو في تمام الصحة او ان تعزله اثناء المرض ؟ ثم ما الداعي لان تبحث سرا عـن مرضه ؟ وان تعين مكانه في المنصب سرا ؟ وان يبقى خبر هذا التعيين مكتوما الى ان رشح مجلس شورى ولاية عكا اسماعيل باشا والتمسوا من الدولة ان تقره في منصب الولاية جريا مع التقاليد المتبعة في احترام الدولة لارادة مجالس الشورى في كل الولايات ٠

او ابحث عما اذا كان جميع النخبة الصالحين قد ماتوا يوم مات الجزار لتولي الدولة ابراهيم باشا والي حلب على جميع الايالات كأن لم يكن غيره يطمح او يصلح لحكم اي ولاية من هذه الولايات بمفرده ؟؟

اليس في هذا كله ما يدعو الى الشك بأن هناك دسائس ومؤامرات متصلة الحلقات من عكا الى اسطنبول الى حلب والشام وطرابلس وصيدا ؟

(٢) لاحظ ص ٤٢١ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، ثـم لاحظ ان راغب افندي جاء ليضبط اموال الجزار في عكا فما الداعي لان يذهب الى دير القمر قبل عكا ؟؟

(٣) لاحظ ص ٩ ـ ١٠ من تاريخ ولاية سليمان باشا ، ثم لاحظ كيف عزلت

الدولة ابراهيم باشا الذي حضر بأمر الدولة والسلطان ليكون واليا على الشام وصيدا وعكا وطرابلس ويكون سليمان باشا بمعيته في مأمورية عكا ؟؟

فاذا صح ان الدولة قد ارتابت من تعيين اسماعيل باشا ومن عينوه وايدوه فما علاقة ابراهيم باشا بذلك لتعزله وتعين سليمان باشا مكانه ؟

ام ان خبر تعيين ابراهيم باشا والمراسيم السلطانية التي نصت عليه واليا لعكا ، كان خبرا مفتعلا وعنصرا من عناصر المؤامرة ؟ والا فان من واجب الوالي الذي عينته الدولة سرا قبل وفاة الجزار ليحضر حالا عند وفاة الجزار ويضبط مخلفاته وامواله ، فان من واجب هذا الوالي ان يكون في عكا عند وفاة الجزار ، لا ان يبقى عدة اشهر حتى يصل الى عكا ؟ لو صح خبر تعيينه في مكان الجزار وصدق الراوي ؟؟

(٤) لاحظ ص ٤٢٤ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، كما ينبغي ان نلاحظ ان القبطان باشي هذا لم يجتمع بالامير بشير قبل ان يذهب الى عكا كما اجتمع به راغب افندي في دير القمر وتلقى منه الاكرام (الرشوة) قبل ان يصل الى عكا وحيفا ، ولا اجتمع القبطان سرا مع سليمان باشا وقرر ما قرره معه ضد رغبة الدولة وضد رغبة مجلس شورى ولاية عكا الذي جرت عادة الدولة ان تاخذ برأيه وملاحظاته في مثل هذه الحالات ؟

ولعل القبطان قد شعر بخيوط المؤامرة التي كانت تحاك لاغراض مشبوهة واقتنع بملاحظات مجلس شورى عكا وقادة عساكرها ، فرجع الى اسطنبول ليتدارك الامور حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة العامة ، لا ليتعصب لاسماعيل باشا وغيره ؟؟

(٥) لاحظ ص ٤٢٤ من لبنان في عهد الامراء ، ثم لاحظ انه بعد تنصيب سليمان باشا واليا في عكا ، اصبحنا نرى كل امر سلطاني يأتي للباشا من اسطنبول ياتي معه امر اخر للامير بشير ، وكل مشكل هام في البلاد يندر حله من قبل الدولة الا بواسطة الامير بشير حتى اصبح للامير يد كبرى في عزل الحكام والمتسلمين او نقلهم وتعيينهم ، وحتى اصبح الامير في عهد سليمان باشا يعامل ويستقبل كما يستقبل الصدور العظام من وزراء الدولة .

وفي النصين التاليين ـ اذا صدق الرواة ـ ما يؤكد هذا الزعم : يقول المؤرخ الشهابي : « وفي شهر ربيع الثاني من هذه السنة (سنة ١٢٣٠هـ) توفي علي باشا الخزندار نائب سليمان باشا والي صيدا وكان له مقام عنده بمنزلة اب له ، فارسل الامير بشير يستأذنه بالسير اليه ليفتقد خاطره ويعزيه ، فاذن

له ، وركب الامير بشير من دير القمر في ثالث جمادى الاول ، وكان سليمان باشا لما علم بقدوم الامير بشير اليه كتب الى جميع المتسلمين والولاة المجاورين للطريق ان يلاقوه ويقدموا له الذخائر والاكرام .

فلما وصل الى جسر صيدا التقاه القاضي والمفتي وسائر اكابر المدينة ودخلوا قدامه الى صيدا باحتفال عظيم وقدموا له كل ما امكنهم من الاكرام ، وبات تلك الليلة عندهم وعند الصباح خرجوا معه يشيعونه الى عين القنطرة ، وترجلوا معه هناك ثم ودعوه ورجعوا .

وسار الامير طالبا عكا حتى وصل الى جسر القاسمية ، فالتقاه ابراهيم اغا متسلم قلعة هونين ، وبلاد المتاولة ، ومعه مشايخ تلك البلاد ، وقدموا له الذخاير وضربوا له الخيام ، وتقدموا الى ملاقاته مشاة الى ما وراء الجسر ، ومشوا قدامه الى الخيام ، وقدم له ابراهيم اغا فرسين من جياد الخيل ، وسار معه الى اطراف تلك البلاد ثم ودعه ورجع .

واخذ الامير بشير في سيره حتى اقبل على مدينة صور فالتقاه المتسلم واكابر البلاد ودخلوا قدامه باحتفال عظيم وقدموا له كل اكرام وبات تلك الليلة عندهم ، وعند الصباح خرج المتسلم معه الى خارج المدينة وقدم له جوادا وودعه وقفل راجعا . وسار الامير فالتقى به اولاد الشيخ ناصيف النصار ودعوه الى منازلهم وقدموا له الذخائر وبالغوا في اكرامه وقدموا له جوادين . وبات تلك الليلة في الناقورة .

* * *

ويقول المؤرخ ابراهيم العورة وبعد ان ارسل سليمان باشا الاذن للامير بالمجيء الى عكا « امر باتقان عمل باب السراي وحدده من جديد بحديد متين وزين السراي بوضع المدافع والجنازير ، وامر بتغيير فرش ديوان اقامته وانعمل له طاقم جديد ، ثم امر باخراج الصيوان الكبير المفتخر الذي هو من مخلفات الجزار الذي كان نادر الوجود عند غير وزراء ونصبه في خان الكمرك قبال القصر المعمر هناك فوق البحر ، وكان معدودا لاجل النزهة ، وامر بفرش القصر المذكور بطواقم مفتخرة مع الاوض التابعة له ، لاجل اقامة الامير واتباعه . ونقلت اليها طواقم المنام النظيفة ، والحاصل تحضر لاقامته كل ما يلزم .

وبحضور الامير ووصوله لقبال عكا ، قابله سليمان باشا على عزمه بالتقرب للحب والاركانية بأن امر عبدالله باشا ان يخرج بذاته لمقابلته بساير دايرته بكل دبدبه ، وخرج عبدالله باشا بكل دابرة الوزير ودايرته والماية قواص المرتبة في بابه مع الجاويشية والخيول المزينة بالكسمايات المفضضة يعلوها دروعة مفضضة ومن خلفهم النوبة السلطانية جميعها واغوات الدايرة امروا ان

يتزينوا بملبوساتهم وبالاسلحة التامة ، وهكذا خـرج وصحبته ايضـا ديوان افنديسي سليمان باشا ولاقوه الى ارض المزرعة

* * *

لاحظ النص الاول ص ٩٢٧ من نزهة الزمان في تاريـخ لبنان ج ٢ ، ثم لاحظ النص الثاني ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ من تاريخ ولاية سليمان باشا ، وابحث بعد ذلك بدقة واسأل عن بواعث هذا الاحتفاء والتقدير من سليمان باشا للامير بشير؟

الأن الامير كان اخلص الحكام للدولة العثمانية مع ان حياته السياسية كانت كلها دسائس ومؤامرات ضد الدولة ، فقد تآمر عليها مع عملاء فرنسا يوم غزا نابليون مصر وعكا ٠ كما تامر عليها معهم ومع حكام مصر يوم غزا ابراهيم باشا سوريا ولبنان ٠

ام لان الامير كان اكثر الحكام حرصا على مصالح الشعب اللبناني وامنه ؟ مع ان التاريخ يشهد بأن الامير قد ارهق اللبنانيين ظلما وعدوانا بالحروب الاهلية التي شنها ضد معارضيه بالحكم وبما اوقعه في ابناء عمومته وغيرهم من قتل واغتيال وسمل للعيون ، كما ارهقهم وافقرهم بالضرائب والمصادرات الانتقامية وبالمزايدات الجنونية على غيره من الحكام في ضمان المقاطعات اللبنانية والتزامها حتى بلغ ضمان مقاطعات لبنان في عهده اضعافا مضاعفة عما كان عليه قبل مجيئه للحكم ؟!

ام لان الامير كان ضالعا مع الباشا في الاستجابة لوحي الذين عزلوا اسماعيل باشا ، ثم ازاحوا ابراهيم باشا ايضا ، وحكموا سليمان باشا نفسه رغما عن قرارات اسطنبول وعن اصرار قادة عكا على تحكيم اسماعيل باشا بعد الجزار ؟

ام ان هذا التقدير البالغ من الباشا للامير ٠٠ لان هناك وراء الاكمة ما وراءها من اهداف ومخططات مشبوهة كانت بانتظار التحقيق والممارسة ؟؟

تمثيلية الصلح بين الباشا ومشايخ المتاولة

تامين مشايخ المتاولة

ويقول المعلم ابراهيم العورة :

« وفي هذه السنة اخذ يتعاطى باستجلاب مشايخ المتاولة وتامينهم وهم فارس الناصيف واخوته وسائر مشايخ بيت علي الصغير الذي قتل الجزار

والدهم ناصيف ومشايخ المناكرة والصعبية واخذ منهم حكم البلاد بالسيف وطردهم منها ووضع متسلمين من قبله ٠ فالمشايخ المذكورون بسبب ما جرى على والدهم وبلادهم واملاكهم هربوا واختفوا بعضهم في بلاد بعلبك وبعضهم في جبل عكار واستقاموا مدة طويلة بحالة الاختفاء ٠ ثم تجمعوا وحضروا الى ديرتهم واستعملوا الطياحة وصار اسمهم طياح اي قطاع طرق فدخلوا بلادهم واختبأوا وصاروا يطلبون من البلاد مال ميري وذخائر ٠ والقرية التي تقدم لهم مطلوبهم بالسهولة والكتمان بدون ان يعرف احد بذلك تسلم من شرهم والتي تتردد عن اجابة مطلوبهم او يعرف احدهم عن محل وجودهم ومكمنهم ففي تلك الليلة يحضروا اليها وينهبوها ويقتلوا مشايخها ويتوجهوا لمحل كمينهم ٠ ولبثوا هكذا كل مدة حكومة الجزار الذي عين عساكر كثيرة كان يسميها السردلة وارسلهم ضدهم الى بلاد المتاولة ٠ ثم عين عساكر من المتاولة انفسهم وما صار منهم نفع لان العساكر كانت تحضر للتفتيش عليهم فيكون المشايخ في اخر الوعرة او طرفها والعساكر في اولها فيدخلوا ويخرجوا ولا يعرفوا بهم ويظنون انهم ليسوا فيها فيذهبوا يفتشوا عليهم في غير مكان وما يستفيدوا شيئا ٠

وبقيت هكذا بلاد المتاولة كل مدة حكومة الجزار اي كانوا يدفعون مال ميري وذخائر للجزار وتكاليف للمتسلمين والعساكر السردلة الذين يدعون انهم يحافظون عليهم ٠ ويدفعون مال ميري وذخائر للمشايخ المذكورين ومن يتبعهم الذين يدعون ان البلاد بلادهم وان اهاليها عبيد لهم ٠ »

مظالم الجزار للمتاولة

وعدا ذلك كان الجزار مجردا عليهم سيف الظلم ويأخذ رجالهم الى ورشة عكا بالسخر ويعاملهم مثل معاملة فرعون الظالم لبني اسرائيل بالقساوة الشديدة ٠ وكم من المئات منهم قتلوا في الطريق بالناقورة لما كان يحشرهم السائقين لهم بسرعة الجري ٠ فمن شدة الضرب كان يحشر بعضهم بعضا وبسبب ضيق الطريق هناك كانوا يسقطون في البحر بالخمسين والستين وما يسأل ولا يرحم احد ٠ وبوصولهم الى ورشة عكا كانوا يستعملون معهم شدة القساوة وكم وكم ماتوا من شدة القساوة ٠ ومن ذلك انه في احد الايام كان الوقافة على الورشة بأمر الجزار واضعين فلاحين من بلاد بشارة بمحل بين السوريين يشتغلون فيه بعضهم يحفرون الاساس وهم نحو مئتين وثلاثين نفرا والبقية يسحبون التراب بالحبال والقفف من الاساس ٠ فاتفق ان انقلع القسم الاعلى من الارض وصار الذين فوق يصيحون على الذين في الاساس ليسرعوا بالخروج قبل ان ينطبق عليهم التراب ٠ وكذلك صارت الصيحة من الوقافين

ومن الفلاحين اقاربهم الذين كانوا في عكا · واذ سمع الجزار الصيحة وعرف سبب ذلك اذ كان هناك انتهر الجميع ان يسكتوا قائلا لهم دعوهم اذا كان الله قتلهم ما لكم ولهم ومنعهم ان يخرجوا احدا منهم · وسقط حائط الاساس وانطبق على الجميع وقبرهم كلهم احياء · وما خرج احد منهم · وهكذا كانت معاملته الوحشية لهم ·

فاذ لاحظ سليمان باشا هذه الحال والمظلمة العظيمة الواقعين فيها بالتزامهم ان يدفعوا المال الميري والذخائر مضاعفة للحكومة وللمشايخ ولاحظ ضعف حال البلاد ولاحظ بالخصوص ان المشايخ ليس لهم حيلة او مهنة يعتاشون منها ولا لهم ملك يقوم بمعاشهم يكتفوا به ولا هم مثل بقية الناس وليس لهم صنائع يشتغلوا بها ولا تعودوا على المتاجرة ولا عندهم مال يتاجروا به ولا احد يركن لهم ويسلمهم ماله ولا يمكن ان يتسولوا بل بالحري يهون عليهم الموت بكل سهولة ولا التسول · حيث انهم من آبائهم واجدادهم تعودوا على الحكم والكرامة والجاه ورفاهية المعيشة · فلاجل هذه الاسباب كلها لاحظ حسنا انهم اذا لم يتداركوا امرهم ويعمل لهم طريقة حسنة لا يمكن ان يرجعوا عن هذا ، واذا داوموا على اعمالهم تخرب البلاد ولا يستفيد شيئا مما باشر بعمله لتأمين البلاد والعباد واستجلاب النازحين وعمار الديرة · وشرهم وضررهم لا يقع على بلاد بشارة بل يشمل ايضا بلاد صفد · وبالاختصار كان عندهم قتل الانسان اهون من ان يكسروا رغيف خبز·

فلاجل ذلك ومن كونه لاحظ بالصواب انه اذا حرر لهم اوامر تأمين وتطمين فلا يمكن ان يركنوا له ولا يقبلوا نظرا لمعرفتهم جيدا ان افعالهم لا تقبل العفو بالهين لانهم فعلوا اشياء كثيرة بحق البلاد والعباد · ومن وجه اخر يخشوا من نفس اهالي البلاد ان تغدر بهم وتسلمهم لاجل ما قاسوا منهم فهذه الملاحظات جميعها صيرت سليمان باشا مع ميله القلبي لعمار البلاد وراحة العباد ان يستعمل واسطة حسنة لبلوغ الغاية المطلوبة وهي انه وضع في بلاد بشارة ضابط ارناؤوط من عمدة الضباط الذين كانوا محافظين عكا · فأمره سرا ان يراسلهم ويتعاطى معهم وجوه تأمينهم وان نفسه كان يريد ان يجعل نفسه واسطة لنيل الامان الذي يرغبونه · واذا تعاطى معهم ذلك فهم انهم لا يمكن ان يقبلوا بالاطاعة عن يده وحده لخوفهم من الغدر بحقهم بما انه ضابط عسكر مستخدم بالباب وقابل ان ينقطع خرجه بادنى سبب ويتوجه بحال سبيله · فالمذاكرة معه تم الرأي انه من تلقاء نفسه يحرر للامير بشير الشهابي حاكم جبل لبنان بهذا الخصوص لكي يحرر لهم الامير المومى اليه ويتعاطى معهم وجوه تأمينهم وتطمينهم ·

وقد صودف هذا الرأي بمحله لكون المشايخ المذكورين لما نظروا وسمعوا

عن الامان الذي انتشر في البلاد وان غالب النزاح عمال تحضر الى محلاتها ويقيموا بها ويعمروها وتأكدوا الراحة الحاصلين عليها ونظرا لما قاسوه بهذه المدة من المخاوف والمشقات وتضعضع الاحوال والاحتياج الكلي لكي يعيشوا من سلب اموال العباد والخوف المستديم نهارا وليلا ليس من الحكم فقط بل من كائن من كان سبب لهم الضجر والملل من حال معيشتهم وفي ذلك الوقت صاروا كانهم على اخر نفس وبغاية الشوق لعمل طريقة ينالون بها الامان والراحة بوجه يركنون اليه ويرتاح فكرهم من الخوف الملم بهم لما توجه بكر اغا الضابط المذكور من عكا بهذا الامر من سليمان باشا · فحرر للامير وعرفه انه حرر للمشايخ المذكورين شفقة منه عليهم لاجل راحتهم مما هم فيه وراحة البلاد والعباد من الاضامات والبلايا الحاصلة لهم منهم وانهم ما ركنوا لقوله وظنوا ان تحريره لهم مخادعة لاجل الغدر بهم ولذلك ما قبلوا نصائحه ·

ومن كون غايته الراحة العمومية فقط وبما ان الامير راس سائر العشائر وعلى كل حال المشايخ المذكورين من العشائر التي هو رأسها رأى صوابا ان يحرر له بهذا الخصوص لكي يحرك غيرته لمعاطاة هذه القضية بحسب حكمته · وانه يكون معه يدا واحدة بالتوسط لدى سليمان باشا بمعاطاة الوجوه اللازمة لتأمينهم وراحتهم · وقد اتفق هذا بعد ان حرر بكر اغا للمشايخ وجاوبوه الجواب الناشف لكن ندموا على هذا الجواب الناشف وتأسفوا على تركهم طرف الحبل يفلت من يدهم اذ ما عللوا جوابهم بوجوه يقدروا بها فيما بعد يملكوا غايتهم لكونهم صاروا بحالة تلف من الملل والضجر مما هم فيه من تعب الحياة وبالاكثر من الخوف الذي استولى عليهم من الامان العمومي الذي انتشر في البلاد وملاحظتهم الفرق العظيم ما بين حكومة الجزار وحكومة سليمان باشا والفرح العام بولايته ليس من اهالي ايالة صيدا فقط بل من سائر الاطراف والانحاء سواء كان بولاية الشام او ايالة غزة ويافا والقدس ونابلس وجنين او بايالة طرابلس واللاذقية · فمن جراء ذلك التزموا بل اضطروا لان يعملوا طريقة لحالهم لينالوا بها راحتهم قبل فوات الفرصة وتأسفوا جدا على ضياع الفرصة مع بكر اغا · ولذلك استحسنوا بأن يحرروا الى الامير بشير ويعرفوه بأن بكر اغا حرر لهم كذا وبما انه ضابط عسكر فما اركنوا لقوله ومواعيده · وربما ان تحريره لهم يكون حيلة عليهم لكي يصطادهم وينال الخير الخصوصي له من اجل هذا كما جملة من ضباط الدولة الذين كان يرسلهم الجزار كانوا يتحايلون عليهم بهذه وانهم لا يمكن ان يركنوا لاحد سواه بما انه راس العشائر وله الغيرة التامة على ابناء العشائر · فان رأى حسنا ان يضع يده بهذا الامر ويتعاطى المداخلة والتحرير الى سليمان باشا بخصوصهم فهم يسلموا زمام امرهم له · واوضحوا بتحريرهم هذا انهم يريدوا ان يفهموا هل يريد يتعاطى امورهم حسب مرغوبهم ام لا ·

واتفق وصول هذا الاعراض الى الامير بشير مع وصول تحرير بكر اغا المنوه عنه • فاذا اطلع الامير على التحريرين وجد ذلك فرصة اتخذها مع توفيقات الباري تعالى واستعملها لبلوغ الغاية باستجلاب حب وميل سليمان باشا له • ولاحظ بالصواب ان معاطاة قضية مهمة نظير هذه توجب زيارة الفوز والاعتبار وتمكين حب وميل سليمان باشا له • وانه بأول حكومته سبق وخدمه خدمة هكذا نصوحة بها عمار البلاد وراحة العباد • ثانيا انه ينال بها دوام التقدم على سائر عشائر الديرة وطاعتها الدائمة • ثالثا انه ينال الاشاعة الحسنة ان سائر العشائر بطاعته وبكل وقت يقدر ان يطوعها ويعصيها • والحاصل انه لاحظ بالصواب جملة فوائد حسنة تنتج له بالوقت الحاضر واستقبل من مقارشة هذه المصلحة ومعاطاتها • فلذلك بادر بكل سرعة لارسال الشيخ جريس باز (الذي كان كتخداه) الى عكا جاعلا في نفسه الكلام اللازم اعراضه وتقريره بهذا الخصوص • واصحبه بعرض حال منه بحسب رسومه وعاداته •

(انه متوجه من طرفنا عبدكم الشيخ جريس باز يعرض لمراحمكم ما يقتضي • فنتوسل لعواطف دولتكم انعطاف الخاطر الشريف لسماح وقبول ما يعرضه) •

واذ حضر الشيخ المذكور الى عكا وقبله سليمان باشا بكل كرامة واظهر له كل الميل ثم قرر له ما تحمل لحافظته وبعد مذاكرات كلية انحظ سليمان باشا بالباطن من مداخلة الامير بهذه القضية وبالظاهر استعمل شامة الحكم والرصانة وعدم الخفة • وبنوع ما اظهر الصعوبة بقبول التماسات الامير بشير العديدة بخصوص المشايخ ، وتنازل لان يقبل بعضها • والاثنين استعملوا المحارفة على بعضهم بهذا الخصوص لان الامير بشير التمس مطاليب صعبة معلومة انها لا تقتبل وهو لا يعرفها جيدا هكذا وانما قصد بذلك توسيع المقال فاذا قبلت كلها او قبل بعضها يمنن المشايخ بانهم لاجل التجائهم اليه فعل معهم هذه الخدمة العظيمة التي ما كانوا يأملون ان ينالوا بعضها لولا التجائهم اليه ووضع يده بامورهم وبذلك يجعلهم كأنهم صاروا من رعيته • واذا بعد الجهد ما قبلت فيمنن سليمان باشا بانه لاجل خاطره ارغمهم بقبول اوامره حسبما شاء وانه لولا مداخلته بأمورهم وانقيادهم له لا يمكن ان يقبلوا ولا يقدموا الطاعة • وبذلك ينال زيادة الفوز والشرف • ومن التماساته (١) بخصوصهم ان يعطى لهم الامان التام وان ترجع لهم املاكهم وحكومة البلاد كما كانت اولا اي ان

١ ـ لاحظ هنا ان حكم جبل عامل كان كحكم الشوف مستقلا عن تسلط أي حاكم عليهم سوى والي الايالة •

يتصرفوا بها كما يشاؤون ويدفعوا عنها مال مقطوع فقط وان لا تقبل عليهم شكاية عما مضى ولا في المستقبل وان يكونوا احرارا في بلادهم واعمالهم بدون تسلط عليهم من طرف احد • فهذه الالتماسات ما قبلت من سليمان باشا غير انه ما قطع معه الامل بعدم قبول اعطاء راحتهم •

الخوري رسول السلام والصلح

وبتكرار المراجعة صار استحسان سليمان باشا بارسال الخوري سابا كاتب الذي هو من رهبنة دير المخلص وكان يومئذ بعكا • فنظرا الى اشتهار الخوري المذكور بالعلم والفلسفة والحكمة (وحسن التصرف بلطف حديثه) ارسل من قبل سليمان باشا لعند الامير نظرا لميل الامير للاب المذكور كأنه حضر لعنده لاجل الزيارة (من تلقاء نفسه ويستطيع) ان يستعمل الوجوه (المناسبة) للتكلم معه بهذا الخصوص ونظرا لحب المعلم حييم للاب المذكور (يستطيع ان) يوري الامير انه يمكنه لاجل خاطره يتوسط بتدبير القضية على يد المعلم المذكور • وهكذا توجه الخوري المذكور واستعمل الحكمة وحسن التوسط وغير الامير الآراء الاولى معه وخففوا الالتماسات المطلوبة سابقا ثم حضر الخوري سابا عائدا الى عكا وقرر ما تم بينهم ثم رجع ثانيا الى عند الامير وبعد رجوعه صارت المداولة بينه وبين الامير على القرار الذي استحسنه سليمان باشا واودعه لحافظة الخوري سابا وانه غير ممكن ان يتم سواه بوجه من الوجوه • فان شاء الامير ان يضع يده بهذه المصلحة وان يأخذ للمشايخ الامان التام بموجبه كان به • والا فلا يتداخل بهذه القضية وليتركهم يفعلوا ما يريدوا • بل اذا ارادوا ان يساعدهم ايضا فلا بأس • فكلما يقدر عليه من مساعدتهم فليفعله والمستعان بالله عليهم وعليه •

شروط الصلح

واذا كان الامير يتعهد باستجلاب دخولهم في قيد الطاعة والقياد حسب المرغوب فالامر الذي يريده بالامان والرأي الذي يركن له يعطي لهم حسب مرغوبهم • ويعطي لهم محلات من اقليم الشومر لاجل معاش كل منهم قدر لزوم معاشه بشرط ان يقيموا فيها ويدبروها بالفلاحة والزراعة ويأكلوها معافاة بدون ان يدفعوا عليها لطرف الميري شيئا وتكون لهم ولذريتهم من بعدهم مفروزة القلم ممنوعة القدم (١) من دون معارض ولا منازع • وان يترأس عليهم بصفة

١ ـ لعله لما سمح لهم باقليم الشومر على هذا النحو لان اكثر قراه كانت خراب وخصوصا ما كان منها على طريق الساحل بين صيدا وصور • ولان القرى الجبلية لا تقل الا بالتعب والعناية الشديدة •

شيخ مشايخ الشيخ فارس الناصيف ليتعاطى امورهم ومصالحهم وفصل الدعاوى فيما بينهم · واما اذا بدا من احد منهم او جرى بينهم مادة جسيمة فتعرض له (١) وهو يتوسط فصلها مع الحكم بها · واذا احد بدا منه نقيصة ووجب عليه القصاص الحكمي فيطلب منه اي من الشيخ المذكور · واذا فر هاربا فيطلب جلبه منه ولا يقبل له عذر · ولا يكون للشيخ فارس ولا لغيره منهم ادنى مداخلة في بلاد بشارة اي مقاطعات جبل تبنين وجبل هونين وساحل معركة وساحل قانا ومرجعيون ومقاطعة الشقيف وبعض قرايا مقاطعة الشومر ومقاطعة اقليم التفاح ولا يتداخل بهذه المقاطعات لا بحومة ولا بفلاحة ولا زراعة ولا بأخذ ولا عطاء بوجه من الوجوه · والذي يتداخل منهم بأحد القرايا فلا تسمع له دعوى وتسمع عليه الدعوى ·

لهذه الشروط توجه بها الخوري سابا كاتب وتذاكر مع الامير بشير فيها · وبعد مداولات كثيرة قر الرأي فيما بينهما عليها · والامير اعطى التعهد للخوري سابا بها اذا حرر اعراض على يده إلى سليمان باشا بالتعهد ان يبذل جهده بانفاذ امره · وهكذا حرر الى مشايخ المتاولة وعرفهم عن زيادة الاجتهاد الذي بذله بشأنهم وجعل لهم ان الشروط التي ذكرت هنا قدم الالتماس بها ووهم عليهم انه لولا خاطره ما كان سليمان باشا قبل بذلك · والمذكورين نظرا للحال التي هم فيها مالوا حالا للقبول واجابوه بالمديح والثناء واظهار المنونية التامة واوضحوا له واكدوا انهم تحت امره بكل ما يريده ويرسمه ·

وبحضور هذا الجواب ارسل الامير حالا معتمده الشيخ ابراهيم نعمة والتمس للمشايخ صدور مرسوم الامان والرأي على دمهم ومالهم وعيالهم واولادهم وخدمهم واقاربهم وكل من يتعلق بهم واظهار الرضى التام عليهم وتركينهم من سائر الوجوه · وبالحال سليمان باشا اصدر الامر المطلوب وتوجه به الشيخ ابراهيم نعمة (١) وبوصوله ليد الامير ارسله للشيخ فارس الناصيف واستدعاه لعنده · فحضر هو واخوته والبعض من كبار المشايخ وبعد اقامتهم يومين للراحة طلبوا باقي اقاربهم المشايخ ونزلوا جميعا الى عكا بكفالة الامير بشير · وارسل الامير صحبتهم الشيخ جريس باز كتخداه · وبوصولهم لعكا استقبلهم سليمان باشا بكل بشاشة واكرام ونهض قائما للشيخ فارس الناصيف واجلسه الى جانبه وامر له بالجبق والقهوة ومثله لكامل المشايخ ما عدا الجبق · وهكذا استقاموا ساعة زمان وقاموا حاصلين على غاية المجابرة· وامر لهم سليمان باشا في قناق واسع ضمن عكا · ونصبوا على ظاهره جادر كبير للشيخ فارس وامر لهم بترتيب سفر مأكولات ثلاث مرات في كل يوم لهم ولاتباعهم ومن معهم بزيادة مع عليق خيلهم اليومي ·

....

١ ـ أي للامير فرسية متجرة ·

٢ ـ من آل نعمة الموارنة في دير القمر ·

عقد الصلح

وبعد ثلاثة ايام استحضرهم وصنع معهم ديوان حافل بحضور كتخداه علي اغا والد عبدالله باشا وحضور راغب افندي مأمور الدولة العلية الحاضر لاجل ضبط مخلفات الجزار وبحضور قاضي عكا ومفتيها والمعلم حاييم الصراف والمعلم حنا عورة كاتب العربي وكان الشيخ جريس باز وكيلا عن الامير بشير وحصلت المذاكرة بينهم · والوزير تكلم اللازم واوضح لهم رغبته بعمار البلاد وراحة العباد وقطع دابر الفساد والمفسدين واوضح لهم ايضا شفقته عليهم لما نالهم بالايام السالفة ورغبته القلبية لراحتهم بما انهم رعاياه · وتوضحت الشروطات المقتضى القيام بها من الطرفين وزيد عليها شرط اخر وهو حيث انهم مزمعين ان ينالوا راحتهم التامة ويحصلوا على معاشاتهم فهم ملزومين ايضا بكل وقت متى لزم الامر الى طلبهم برجال العشائر لمحاربة احد المحلات يجب عليهم (١) ان يحضروا بدون تردد ولا عائقة ولا طلب علائف باقي العساكر وذلك نظير الشرط الملتزم به امير جبل لبنان · فالكل ابدوا الدعاء لحضرة السلطان وللوزير واظهروا المنونية وانهم خاضعون طائعون لكل اوامر سعادته ويفدوا انفاذها بدمهم ومالهم ورجالهم قابلين لكل الشروط المدرجة منه وكرما من سعادته بدون استحقاق لها · وهكذا بعد جملة اقوال لطيفة حصلت من الوزير وجماعته ومأمور الدولة لهم ومنهم للمشار اليهم انفك المجلس وتوجهوا لقوناقهم على غاية الابتهاج ·

وثاني يوم استحضر سليمان باشا الشيخ حسن شيت وامره ان يتوجه عن امره لعند الشيخ فارس الناصيف ويفهمه ان يوزع بمعرفته وخبرته قرايا اقليم الشومر على المشايخ كل منهم قدر لزومه بالعدل والانصاف من دون ميل ولا انحراف يوجب الظن والقال والقيل بين العشيرة · بأن الكل يرتضوا بالقسمة والحب ما عدا ثلاث القرى الكبار وهي قرية الصرفند وقرية نصار وقرية ميس يبقوا من المقاطعة المرقومة تابعين الميري · وباقي قرى الشومر تتوزع لهم معاشات · وان يعملوا بذلك دفتر ممضي من جميعهم يعلن فيه ان التوزيع حصل برضى واتفاق الجميع حتى لا يحصل فيما بعد خلل ومقالات ·

فتوجه الشيخ حسن وافهم الشيخ فارس الناصيف مضمون امر الوزير واخذ معه من دفاتر الخزينة اسماء قرى اقليم الشومر المقتضى توزيعها · وحالا الشيخ فارس جمع باقي المشايخ وباسرع وقت حرروا دفتر بعلم توزيع القرى

....

١ ـ هذا الشرط يشعرنا بانهم كانوا ينظر اليهم كما ينظر لامير لبنان ولكن مع الفرق بانهم ليس لهم حكم على بلادهم ولا عندهم في اقليم الشومر ما يفي بالغرض من مال ورجال ؟ بل يعني رفعه ولو على خازوق ؟

المرقومة على الجميع · واولها قرية الزرارية صارت للشيخ فارس وختموا كلهم على الدفتر وقدموه عن يد الشيخ حسن شيت لسعادة الوزير وسعادته اجتمع حالا براغب افندي مأمور الدولة العلية وبعد المذاكرة تم الراي ان يقدم الاثنين الالتماس للعتبة العلية ويلتمسوا امرا ملوكيا مؤكدا لتقرير هذا الترتيب مثبتا له · واوضحوا به زيادة الاتعاب الشاقة الحاصلة على الرعايا وعدم المكنة من استنفاذها من شرور المذكورين بخلاف هذا الوجه · واوضحوا زيادة التعب والعناء الذي احتملوه حتى اتفق معهم هذا الامر الذي به تحصل الراحة العمومية للعباد والبلاد وسيروه حالا صحبة جفت تاتار مخصوصين والتمسوا بسرعة الجواب · وبعد مسيرة صار كل يومين يتوجه الشيخ فارس لعند الوزير ويشاهد منه غاية الميل والمسايرة والانس والملاطفة · ويوما عن يوم يتزايد تلطفه له الى ان زال من قلب الكل كل ما كانوا يخافوه ويتزايلوا منه ويحسبوا حسابه · وبتلك الاثناء حضر الجواب من جانب الباب العالي بقبول الترتيب المذكور واستحسانه والمديح على غيرتهم وسعيهم الحميد باعطاء راحة العباد وعمار البلاد وتأمين ابناء السبيل · فحالا امر الوزير بتحرير البيلوردي العمومي اللازم بافراز الاقليم المذكور من دفتر الميري بالايالة وايضاح توزيعه بالاسماء والقراطيط وان يكون مفروز القلم ممنوع القدم لهم ولذريتهم بعدهم الى ما شاء الله · واخذ منهم سندا مدرجا به الشروط المشروحة قبلا مكفولا عليها من الامير بشير الشهابي ومشهودا فيه من مأمور الدولة العلية وقاضي ومفتي عكا وتسلم لسعادة الوزير · وهم استلموا المرسوم المذكور · وعند ذلك امر الوزير بالباس الشيخ فارس ناصيف خلعة فاخرة من فرو سمور تعلن بانه شيخ مشايخ العشيرة واعطاءه انعام خمسة الاف غرش وعشرة غراير حنطة وعشرين غرارة شعير بمرسوم تحول لمتسلم بلاد بشارة باعطاء ذلك · ثم امر بالباس باقي المشايخ كلا مهنم فروة سمور تعلن الرضى والبس الشيخ جريس باز خلعة فاخرة والبس حسن شيت والسيد امين العالم مفتي بلاد بشارة وعلى هذا المنوال توجهوا فرحين مسرورين حاصلين على غاياتهم ومرغوباتهم مطمئنين على دمهم ومالهم وعيالهم · وبخروجهم من عكا ارسلوا قدامهم المبشرين لسائر البلاد ففرحوا الجميع بذلك فرحا عظيما وحالا حضروا لاستقبالهم وعملت الافراح في منازلهم واستولوا على الاقليم وكل منهم استقام في محل معاشه سالما آمنا · واهالي البلاد فرحوا فرحا عظيما لخلاصهم من تلك البلايا التي كانت مصادفتهم منهم ·

خبر طرد بكر آغا ارناؤوط من الخدمة

الا انه حيث كما قيل ان النفس امارة بالسوء والانسان دائما من دأبه النكث والرداءة · فبعد مدة يسيرة بكر اغا ارناؤوط المنوه عنه بما انه من طبعه

يحب الحركات والمقالات اراد ان يجدد صحبة ومحبة بينه وبين المشايخ فصار يكاتبهم مريا اياهم انه شريك الراي مع سليمان باشا وانه قدير على كل شيء عنده فلاجل جر النفع لنفسه اخذ يتداخل معهم بدسائس ومقالات ويفتح لهم ابواب الفساد لان يطرحوا نفوسهم بها وبهذه الاثناء اتفق قتل جريس باز من الامير بشير ولا بد انه صار من ذلك قلق واضطراب في الجبل · فالجميع اتخذوها نعم الوسيلة فصار بكر اغا يحرر سرا للمشايخ ولعلي اغا كتخداء سليمان باشا توهيمات ليملك بها غايته لينال من المشايخ وفور المنفعة بما ان بكر اغا المذكور كان حاصلا على الميل من طرف علي اغا المومى اليه لانه ساعده بعد حصار عكا وخلصه من اذية اعدائه · وكان علي آغا يظنه عاقلا بنوع ما اكثر من غيره فكان يميل اليه ورتب اقامته في بلاد بشارة مرحمة بحقه وابقى عليه بيارقه اي العساكر التي تحت رايته الخاص ظانا انه يحقق هذه الغاية ويشكر الله عليها · فالمذكور افتكر الخلاف وبدا ينوع الاعراضات · واخيرا بدا يحسن بأن تعطى متسلمية البلاد للمشايخ وبذلك تحصل الراحة للبلاد ويمتنع الخلل الواقع من خوف الناس من شرهم · وحرر للمشايخ وعرفهم بأنه ساعي لهم باتمام هذا الامر · وحركهم لان يتعصبوا له ويطلبوه ويلحوا بطلبه وبتحريره ومراجعاته يحصلوا عليه · والمشايخ استمالوا لاقواله وحالا استحضروا خليل ايوب من قرية قانا وارسلوه لعكا بهذه المصلحة وبوصوله تكلم اللازم وتجاوب بالكفاية ان هذا غير ممكن وانما اعطي الجواب ليس قاسيا لان امر تأمينهم كان من عهد قريب لئلا تحصل عندهم المزاولة من قساوة الجواب فخليل ايوب ما لاحظ هذه الملاحظة·بل افتكر بأنه من هذا الجواب الاول ربما اذا حصلت المراجعة يتم المراد · فغاب كم يوم ورجع وبيده اعراض من بكر اغا واعراض من المشايخ · وبوصوله اذ قدمهم انقلب ظنه لانه حالا سمع الكلام القاسي وامره بأن يرجع على عقبه ويقول لهم انهم اذا لم يكونوا شاكرين الله على النعمة التي حصلوا عليها فيتركوا ويقوموا يرجعوا لمحلاتهم · وبما انهم هم الذين نكثوا فالله سينكث بهم · وان معهم الامان لحين يقوموا بعيالهم واولادهم وكل من يتبعهم ويرجعوا الى الوعور محل مكامنهم بشرط ان لا يقارشوا ولا يأخذوا شيئا من الاقليم ومتى كمنوا كعوائدهم يفعلوا كما يريدوا وحينئذ يعرفوا ذواتهم ان كانوا خاسرين او كاسبين · ثم حرروا الجواب من علي اغا الى بكر اغا يتضمن الملام الكلي على مداخلته بمثل هكذا قضايا واقسم له يمينا مغلظة اذا خربت بلاد بشارة حجر على حجر وما بقي فيها احد فلا يمكن ان يتم هذا الامر بوجه من الوجوه الى ما شاء الله · وبعد الان ان راجع بهكذا خصومات فلا يلوم الا نفسه · وهكذا تحرر للامير بشير بتخبير ما امتدوا اليه من كونه كفيلا لهم ورجع خليل ايوب بغاية الغم وبعد ايام صدر الامر بقطع خرج بكر اغا المذكور عزله وتصريفه من الايالة لاجل قطع دابر وتحذر من ابداء ادنى حركة فاخذ علائفه وتوجه لحال سبيله وهكذا انتهى امر المشايخ المذكورين وسكنوا في محلاتهم من

بعد ذلك وارسلوا معروضات التواقيع بالعفو عما بدا منهم وبرروا انفسهم بان اصل هذه الحركة ما كانت منهم بل من بكر آغا وانه تعهد باتمامها .

● **ما يلاحظه الباحث**

يلاحظ من سياق كلام المؤرخ ابراهيم العورة : ان مشايخ المتاولة لم يبتدأوا سليمان ويتقدموا اليه بطلب الامان كيفما اتفق لهم ، وانما الباشا نفسه هو الذي حرص اولا على استجلاب المشايخ وتأمينهم بأي وسيلة يقتنعون بها ويرضون عنها ليرتاح العباد من شرهم وضررهم وتعمر البلاد باتفاق الدولة معهم (١) .

ومن تكن هذه غايته من استجلاب المشايخ وتأمينهم يستبعد منه ان يفكر بابعادهم عن حكم بلادهم او بأن يبادرهم بمثل هذه الشروط المجحفة التي افترضها المفرضون من رسل الامير بشير ، ثم لفق لها المؤرخون خلفياتها وعللها بحيث تصبح بنظر القارىء العادي ضرورية وطبيعية ؟!

ولو ان مشايخ المتاولة ركنوا اولا لاقتراحات الضابط بكر اغا لما وصلوا لمثل هذه الحالة المذلة والنتائج الخاسرة التي فرضت عليهم واستغلها الامير بشير للقضاء على نفوذهم وتطويقهم سياسيا واقتصاديا وعسكريا باثقل القيود والشروط المحرجة : كما استغلها للتقرب من الباشا وكسب رضاه وتقديره او لزيادة الاعتبار والشهرة والامتياز ، اذ بها - على قول ابراهيم العورة - ينال التقدم على سائر عشائر الديرة ويحظى بطاعتها الدائمة له بحيث يتمكن بأي وقت ان يعصيها على الدولة وان يطوعها » .

وعليه فهل تظن ان التماسات الامير بشأن مشايخ المتاولة كانت خالصة من المكر والخداع ؟ وان غضب الباشا منه كان غضبا حقيقيا ؟ ام انه في الواقع نوع من التصنع والتمثيل على اعين المنكوبين من مشايخ المتاولة ؟

ولو كان اولئك المشايخ على ما يجب ان يكونوا عليه من الوعي والحزم وبعد النظر لتصلبوا في مطالبهم الاصيلة ولم يستجيبوا لشرط من الشروط او يشتركوا في حرب من الحروب مع الباشا والامير ، الا بعد ان تستجاب مطالبهم الاصيلة بكامل شروطها او يضمنوا لهم تحقيقها .

ولكانت حجتهم - بانهم لا يستطيعون فرض ارادتهم على المتاولة ما دامت بلادهم محكومة لغيرهم وليس لهم سلطة رسمية على اهاليها ولا عندهم ايرادات يرادات امير لبنان تساعدهم على القيام بنفقات بعض الشروط المفترضة كالالتزام بنفقات الفي راجل وفارس سنويا تكون مهيأة عندهم للحرب مع الدولة

١ - لاحظ ص ٣٤ - ٣٥ من تاريخ ولاية سليمان باشا طبعة اولى سنة ١٩٣٦ .

متى دعوا - لكانت حجتهم بذلك حجة واضحة بالغة الاثر ، تدحض كل ما لفقه الوسطاء من عبائر التهويل والتخويف فيما يراد تركه من المطالب والشروط ، وكل ما اصطنعوه من جمل الترغيب والتحبيذ فيما يراد قبوله من الشروط والقيود المحرجة المرهقة ، كالارتهان بكفالة من الامير لهم كأنهم كانوا قاصرين او مديونين بمال ؟ وكالرجوع للامير في الاحكام الجنائية الغليظة وما قاربها من المشاكل ؟؟

مظاهر الاصطناع والتمثيل

ولتدرك مظاهر التصنع والتمثيل في قضية الصلح هذه لاحظ ما يرويه المؤرخ ابراهيم العورة عن سليمان باشا عندما سمع من جريس باز بحكاية اقتناع مشايخ المتاولة بالصلح عن طريق الامير بشير ، اذ يقول : « وبعد مذاكرة جريس باز مع الباشا انحظ سليمان باشا بالباطن من مداخلة الامير بهذه القضية . وبالظاهر استعمل شامة الحكم والرصانة وعدم الخفة وبنوع ما اظهر الصعوبة بقبول التماسات الامير العديدة بخصوص المشايخ ، وتنازل لان يقبل بعضها ، والاثنين (الامير والباشا) استعملوا المحارفة مع بعضهم بهذا الخصوص ؟؟

* * *

ومما يدل على تآمر الامير بشير مع الباشا على مشايخ المتاولة ، عزل الضابط بكر اغا الارناؤوط ، بعد ذلك ، لانه حين عرض على مشايخ المتاولة فكرة العفو والامان من قبل الباشا لم يكن يفكر بشيء من هذه الشروط المحرجة التي افترضت فيما بعد على المشايخ . وانما كان يفكر بما كان يفكر به الباشا من استجلاب المشايخ وتطمينهم بأي وسيلة يطمئنون لها ويرضون عنها ، ولم تكن فكرة كف يد المشايخ عن حكم بلادهم واردة لا في ذهن الباشا ولا في ذهن الضابط قبل ان يتدخل الامير وحاشيته المختارة لتخطيط المؤامرة والتلبيس على المشايخ .

ولعل الفكرة الطبيعية التي كانت تشغل بال (الضابط والباشا) هي اعادة المشايخ الى حكم بلادهم مضافا الى ذلك كل ما تقتضيه راحة العباد وعمار البلاد وراحة العباد ، ولا مع مصالح الدولة وسياستها المتبعة ، وانما يتنافى بأن اعادة مشايخ المتاولة الى حكم بلادهم لا تتنافى مع ما يشترط عليهم من عمار البلاد وراحة الغباد ، ولا مع مصالح الدولة وسياستها المتبعة ، وانما يتنافى مع اغراض الامير واطماعه وسياسة مدبريه المشبوهة الخطط والاهداف .

وإذا لاحظنا القول « بأن سليمان باشا (انحظ) وانسر لاول مقابلة قابله بها رسول الامير بشير وقدم له مطاليب الامير والتماساته الاولى بشأن مشايخ المتاولة وفي ضمنها اعادتهم الى حكم بلادهم كما كانوا فيما مضى : وانه كان بالامكان العمل بمقتضاها لو استقامت الطريق وجرت الامور بمجراها الطبيعي ولم ينقد الامير بسوء نيته نحو المشايخ الى الاشتراك في هذه التمثيلية التي تمثلت على اعين مشايخ المتاولة وقد غمرتهم اوهام الجهل والتلبيس وانحطاط الهمم · فاطمأنوا للمكر والخداع وقبلوا بكل ما فرض عليهم من شروط وقيود مرهقة مذلة تجعلهم آلة بيد الامير بشير ·

ادوار الممثلين

ذلك بأن الباشا هو الذي ابتدأ يستجلب المشايخ ويعمل على تأمينهم بأي طريقة لانه على قول ابراهيم العورة – لاحظ ان شر المشايخ وضررهم لا يقع على بلاد بشارة (وحدها) بل يشمل ايضا بلاد صفد ، ثم لاحظ انهم اذا داموا على اعمالهم تخرب البلاد ولا يستفيد شيئا مما باشر بعمله لراحة العباد وتأمين البلاد واستجلاب النازحين وعمار الديرة ·

دور بشير وباز

ولكن الامير – بتداوله مع جريس باز – عقد الامور وحول معالم الاصلاح الى مؤامرة على مشايخ المتاولة كما يبدو من قول المؤرخ ابراهيم العورة : واذ حضر الشيخ جريس باز الى عكا (من قبل الامير وقابل سليمان باشا بكل كرامة واظهر له كل الميل ثم قرر (اي قرر الباشا) ما تحمل لمحافظته (من الامير) وبعد مذاكرات كلية انحظ (انسر) سليمان باشا بالباطن من مداخلة الامير بهذه القضية ، وبالظاهر استعمل شامة الحكم والرصانة وعدم الخفة وبنوع ما اظهر الصعوبة بقبول التماسات الامير بشير العديدة بخصوص مشايخ المتاولة ، وتنازل لان يقبل بعضها ، والاثنين استعملوا المحارفة على بعضهم بهذا الخصوص ؟ لان الامير التمس مطالب صعبة معلومة انها لاتقبل وهو يعرفها جيدا هكذا ؟ وانما قصد بذلك توسيع المقال فاذا قبلت كلها او قبل بعضها يعلن المشايخ بانهم لاجل التجائهم اليه فعل معهم هذه الخدمة العظيمة التي ما كانوا يأملون بعضها لولا التجائهم اليه ووضع يده باموره وبذلك يجعلهم كأنهم صاروا من رعيته · واذا بعد الجهد قبلت (من المشايخ) فيعلن سليمان باشا

بأنه لاجل خاطره ارغمهم بقبول اوامره حسبما شاء وانه لولا مداخلته بامورهم وانقيادهم له لا يمكن ان يقبلوا ولا يقدموا الطاعة ، وبذلك ينال الفوز والتفوق؟؟

دور الخوري سابا (١)

ويقول المؤرخ « ثم توجه الخوري سابا (من قبل الباشا) واستعمل حسن التوسط (مع الامير) وغير الامير بشير الآراء الاولى معه وخففوا الالتماسات المطلوبة سابقا ثم رجع الخوري سابا (من دير القمر) الى عكا وقرر (الباشا) ما قد تم بينهم (في الدير) ثم رجع الخوري ثانيا الى عند الامير بشير ، وبعد مداولات كثيرة قر الرأي فيما بينهما على الشروط (الاخيرة) والامير اعطى التعهد للخوري سابا وللباشا ، قبل ان يعرضها على مشايخ المتاولة ؟

ثم عرفهم (بعد) ان هذه الشروط قدم الالتماس بها ووهم عليهم انه لولا خاطره ما كان سليمان باشا قبل بذلك ؟ فقبل المشايخ بها ، ثم تسلسلت الحوادث والادوار السياسية على ما اقتضته هذه الشروط حتى سنة ١٢٢٠هـ » ·

الدور الاخير في اللعبة

كان سليمان باشا احد مماليك الجزار الثلاثة الذين اهداهم له ابراهيم بك حاكم مصر ، وقد نال حظوة كبيرة من الجزار فجعله حاكما في صيدا وسعى له بلقب باشا ثم وزير · ومهد له الاتصال بحكام لبنان وقناصل فرنسا وعملائها وارسالياتها التجارية والدينية ، ولكنه مع هذا كله تآمر على الجزار وثار عليه مع المماليك سنة ١٢٠٣هـ وحاصر عكا ليقضي عليه ويحل محله في الحكم (٢) وبعد فشل المؤامرة عاد الى الجزار فعفا عنه – على خلاف طبع الجزار وعادته – وارجعه الى متسلمية صيدا بضغط الظروف او الضغط السياسي والاغراء المالي من قبل الذين حفزوه للانقلاب على الجزار ·· ومع ذلك ظل مع المتآمرين يترقب الفرص المؤاتية الى ان مات الجزار سنة ١٢١٩هـ فعادت المؤامرات سرا وجهرا تعمل عملها الى ان عزل اسماعيل باشا الذي اختاره مجلس ولاية عكا وطلبوا من الباب العالي في الاستانة ان يقره بمنصب الجزار ، ولكن الدولة – لامر ما – عينت ابراهيم باشا والي حلب في مكانه ، وبعد اشهر من الدفاع عن

١ – ان الخوري سابا هو من رهبان دير المخلص النابهين المحنكين بسياسة عصرهم وحسبك ان تعلم بانه من دير المخلص لتعرف انه كان يعمل بوحي الامير وبوحي القنصلية الفرنسية يومئذ ·

٢ – لاحظ ص ٩٣٨ – ٩٤٠ من العرفان م(٦٢) ج٨ ·

مركز ولايته ، عزل هو ايضا وتعين في مكانه سليمان باشا الذي كان تابعا له في مأمورية عكا ·

وبعد فهل وقفت المؤامرات عند حد معلوم ام ظلت في الخفاء والعلن تعمل بطرقها المشبوهة الشائكة حتى سنة ١٢٢٤هـ ؟؟ حيث يقول المعلم ابراهيم العورة ما خلاصته ونصه : « وفي هذه السنة (١٢٢٤هـ) هاجم الوهابيون بلاد الشام فاستنجد والي الشام يوسف باشا كنج بوالي عكا سليمان باشا ، فتجهز سليمان باشا للحرب وارسل للامير بشير ان يوافيه باللبنانيين والى الشيخ فارس الناصيف ان يوافيه بالمتاولة ، وتهيأ الجميع للقتال ·

ثم يقول المؤرخ « وكان سليمان باشا قبل ذلك قد ارسل هدايا ثمينة للاستانة وقدم عرائض يطلب فيها مطاليب (يعني يطلب ولاية الشام) فجاءه في الوقت المناسب وعند استنجاد والي الشام به – رسول سري يحمل مرسوم سلطاني باسناد ولاية الشام اليه وعزل يوسف كنج عنها · فكتم الخبر الا عن الامير بشير والخزندار والصراف ، وسار بعساكره وعساكر اللبنانيين وعساكر المتاولة نحو الشام وعندما وصلوا الى المزيريب قرب طبرية كان يوسف باشا قد شعر بمقاصد سليمان باشا واسراره ، فعاد الى الشام وجهز جيشا كبيرا وتوجه به نحو داريا والجديدة (في وادي عجم) وهناك دارت معركة دامية بين عسكر سليمان باشا وعسكر الشام فانكسر يوسف باشا وتراجع الى الشام واخذ ما امكنه وانهزم · فاحتل سليمان باشا مكانه في ولاية الشام ، ثم تلا المرسوم السلطاني بتعيينه على ولاية الشام ·

ولما رجع الامير بشير ومشايخ الدروز ومشايخ المتاولة كل الى مكانه صار مشايخ المتاولة يحررون للامير ويطلبون منه القيام بوعده وتوسطه مع الباشا لان يعيدهم الى حكم بلادهم كما كان آباؤهم ، فحرر الامير بشير – على ما يقوله ابراهيم العورة – الى سليمان باشا يلتمس منه اعادة المشايخ الى حكم بلادهم مكافأة لهم على خدماتهم وخدماته وذلك بجمع الجرود والاشتراك في خوض المعارك التي انتصر فيها سليمان باشا على عساكر الشام فاجاب سليمان باشا بالرفض ، ولما كرر الامير بشير عليه الطلب غضب الباشا – كما يقول المؤرخ – واجاب بما خلاصته ونصه :

« ان الذي نعلمه بموجب سندك المحفوض عليك في حربتنا ، ان اول شرط عليك بحكومة الجبل اللبناني انك في اي وقت كان وفي اي ساعة كانت تحضر بدون تأخير انت وكامل رجال الجبل للحرب والقتال فتجمعها وتبقى فيها الى النهاية بدون ان يتكلف الوالي تقديم شيء مما يلزم لمصاريفها ، لا ماهيات ولا علايف ولا عليق ولا مأكول ولا شيء ، ولاجل ذلك صرت مفوضا بحكومة الجبل وتتناول كل ايراداته ما عدا الجرم الغليظي ، وان يكون لك التزام جبل لبنان

مؤبدا مدة حياتك بدون تعب ولا مشقة ولا تقلب ولا تقديم عبوديات شاقة في كل وقت كما كان يحصل في الايام السالفة التي بلغ مجموعها وقت وفاة سلفنا الجزار ستة عشر الف كيس ، فاذن حضورك بالحروب (العساكر) ليس فضلا منك ولا منة كما ظننت بل فعلت بما يجب عليك » ·

واذا ما افاد معك جميع ما استعملناه نحوك فافعل ما تريد وانت مأذون ان تتفق مع مشايخ المتاولة وتفعل معهم ما تريدون ؟؟ وانا مستعد لكل امر يأتي ومن حنث فانما يحنث على نفسه ؟؟

لاحظ ص ١٢٨ و ١٣٩ و ١٤٢ من تاريخ ولاية سليمان باشا ثم لاحظ هذه الاساليب التي اشترك في تمثيلها كل من الامير والباشا ·· لتعرف ان الذين اشتركوا في وضع شروط الصلح الاولى بين الباشا ومشايخ المتاولة واصطنعوا ما اصطنعوه من اساليب المكر والخداع ·· لا يمكن ان يصدقوا القول معهم في المرة الثانية او يعجزوا عن تمثيل ما قد مثلوه معهم اولا من اساليب حين احتاجوا اليهم في الحرب وحين انقضت حاجتهم اليهم فيما بعد

وثائق تنص على اختلاف مشايخ المتاولة

يقول الشيخ عبد المحسن الظاهر : « بعد مقتل الشيخ ناصيف النصار ومهاجرة العشائر واسترضاء الدولة عليهم بواسطة الوزير سليمان باشا تنازع الرئاسة ولداه الشيخ محمد ناصيف وهو الاكبر واخوه الشيخ فارس وهو الاصغر غير ان مؤهلات الشيخ فارس كانت اوثق واكثر لذلك نرى معظم العشاير قد انضمت اليه وسترى بيان ذلك في الصك المعطى له ·

بعد ان استرضى سليمان باشا الدولة على العشائر آل الصغير وآل صعب وآل منكد ارسل اليهم ليحضروا عنده كي يعوض عليهم بدلا عن املاكهم وقلاعهم فارسل الشيخ فارس يبلغ العشائر مضمون رسالة سليمان باشا ويطلب اجتماعهم ليقرروا يوما يتوجهوا فيه لعكا حيث مقر الوزير فالشيخ محمد الناصيف نظرا لسوء التفاهم بينه وبين اخيه لم يتربص حتى تجتمع العشائر ويسيروا جميعا بل توجه فورا ومعه اخاه نصار وابن اخيه اسعد وابن عمه هادي لمقابلة سليمان باشا ولدى الاجتماع به ادعى الشيخ محمد الناصيف انه اكبر اخوته الست وله حق بالرئاسة دونهم وقص على الباشا منازعة اخيه له فطيب الباشا خاطره ووعده بكل خير وان كان يعلم ان الشيخ فارس اجدر

بالرئاسة واكثر العشائر تميل اليه غير انه رأى بالشيخ محمد الناصيف رجلا صادقا وذكاء نادرا مما حببه اليه وقربه منه ·

فكتب له الوثيقة التي اثبتها سابقا العلامة الشيخ سليمان ظاهر وهذه هي (١) :

* * *

الوثيقة الاولى

وهي موقعة بما هذا لفظه « الحاج سليمان والي صيدا ومتصرف لواء غزة ويافا » ومؤرخة في ٢٩ رمضان سنة ١٢٢٠ هـ وهذا نصها .

« قدوة الاماثل والاقران متسلمنا في تبنين وهونين الحاج ابراهيم زيد قدره ،

بعد السلام التام المنهي اليك حضر لهذا الطرف افتخار المشايخ المكرمين الشيخ محمد الناصيف وحصل على صفو الخاطر الكامل من جهتنا والان قد سمحنا للمذكور في قرية الطيبة يتصرف بموسمها هذا العام وفي العام القابل يمشيها مطلقا في كيسه ويستغلها من غير ميري فلا تقارشوه بالقيمة المذكورة، وقد امرنا للمذكور بانعامه في كل شهر خمسمائة غرش تدفعوها له من طرفكم وابتداء ذلك من الشهر الداخل الى ان يكون طلع الموسم القادم تنقطع الشهرية المذكورة ·

وكذلك امرنا له بعشر غراير حنطة وعشر غراير شعير تدفعوهم له من طرفكم وكذلك سمحنا الى اخيه الشيخ نصار الناصيف والى اسعد الخليل والى هادي المقبل في قرية « طير فلسيه » مطلقا يتصرفوا بها هذا العام ويمشوها على كيسهم في المقبل وأمرنا للمذكورين بانعام شهرية الى المذكورين تسعين غرش في كل شهر ابتداها غرة الشهر الداخل وحين طلوع الخير تنقطع الشهرية المذكورة فهذا المنوال مشوا المشايخ المذكورين عليه ولا يصير منكم تصور في مساعدتهم ومراجعاتهم وتركين احوالهم على ذلك والسلام » ·

وعلى هامش الوثيقة ما يلي « ومزرعة عدشيت تابعة للطيبة في تصريف الشيخ محمد المذكور اعلموا ذلك » ·

اما خط الوثيقة فمن نوع خطوط « الفرامانات » (٢) التي كانت متبعة في السلطنة العثمانية ·

---

١ ـ لاحظ ص ٥١١ من العرفان ٣٩ ·
٢ ـ لاحظ ص ٣٧٧ م(٣٧) من العرفان ·

ثم يقول الشيخ عبد المحسن :

« وبعد ايام قليلة من رجوع الشيخ محمد الناصيف توجه اخوه الشيخ فارس الناصيف ومعه اماثل العشائر الثلاث لعند سليمان باشا بعكا فاستقبلهم باحسن ما يكون واخبرهم ان الدولة العلية قد رضيت عنهم وتريد التعويض عليهم بدل املاكهم التي سلبها الجزار ظلما وعدوانا وقد جرى قيد قسم منها على اسم الدولة (رأس العين والمطاحن والقلاع وقسم جرى قيده على اسمه واسم اتباعه لذلك قررت وزارتنا برخصة من الباب العالي اعطاءكم اقليم الشومر على ان تكونوا محافظين على حقوق الدولة ممتثلين اوامرها راضين باحكامها مساعدين حكامها في كل ما يقتضيه الحال فرضيت جميع العشائر بذلك وشكروا مساعي الوزير على هذا الانعام وكتب لهم الصك الذي نحن بصدده (وهذا هو نصه بالحرف) (نسخة طبق الاصل) ·

« بيان بالمحلات التي انعمنا بها على ولدنا الشيخ فارس الناصيف) وباقي حمولة آل الصغير وعلى مشايخ حمولة الصعبية باجمعهم وعلى مشايخ حمولة المناكرة باجمهم مع حسين ابن جواد منصور لاجل معاشهم ما عدا الذي مسلمين قبل تاريخه لولدنا الشيخ محمد الناصيف واخوه نصار والشيخ شبل ابراهيم والشيخ مرعي الصعبي والشيخ دندش ونصرالله وعلي الحمزة وبندر الحمزة فهؤلاء معاشهم معين من طرفنا وحررنا لهم بذلك دفترا بتاريخ ٢١ جا سنة ١٢٢٠هـ ·

سليمان

المطرية ، مطحنة المغيرية ، الواسطة ، الوسامية التحتا ، الخرائب وتوابعها ، جمجيم ، ارزية ، مغراقة القاسمية ، سينيه ، دير تقلا ، القاقعية ، الزرارية ، المروانية ، عدلون ، الوسامية الفوقا ، البيسارية ، خربة الدوير ، خرطوم ، عين ابو عبد الله ، شتوية العربان ، البابلية ، الداوودية ، براك الزور، اعداد ماعز الغربية ، مزرعة القرية ، الحارثية ، مزرعة النبي ساري ، زيتون بكليك المروانية ، تفاحتا ، الغسانية ، مغارة محيدلة، سمتية العربان، السكسكية، الياهودية ، الجديدة ، زيتون بكليك الزارية ، اللوبية ، الكوثرية ، كفريدة، زيتون بكليك القاقعية ، زيتون بكليك المشعراني ، زيتون بكليك البابلية ·

هذه القرايا التي انعمنا بها على ولدنا المومى اليه وباقي مشايخ الحمائل المذكورين اعلاه وجواد بن حسين منصور ·

٢١ جا سنة ١٢٢٠ هـ

الامضاء : سليمان

وعلى هامش هذا الصك مكتوب بخط ممتاز :

طلب منا المشايخ المذكورين اعلاه بأن نجدد لهم الـدفتر الذي بيدهم من المرحوم سليمان باشا طاب ثراه الذي تاريخه ٢١ جا سنة ١٢٢٠ هـ وقد جددناه لهم بتاريخه واجرينا لهم ذلك في ١٥ د سنة ١٢٣٧ هـ ٠

الامضاء :

امين الحاج محمد يوسف
والي الشام وصيدا وطرابلس
الحلوسية عبد المحسن الظاهر (١)

● ما يلاحظه الباحثون

يلاحظ من القرائن التاريخية ان الشيخ محمد الناصيف ومن جرى مجراه في الذهاب فورا الى عكا – كانوا او كان جلهم من الموالين لدولة الجزار كما يبدو من تاريخ الامير حيدر شهاب حين يقول عن مرعي الصعبي انه كان فيجيش الجزار (٢) ٠

وعلى هذا فلا يكون مرعي وزملاءه من الطواح والمتمردين الذين حرص سليمان باشا على تامينهم ومصالحتهم ، وبهذا الاعتبار ينبغي ان يكون ذهابهم الى عكا متأخرا عن ذهاب الطواح مع فارس الناصيف اليها ، اذ لا خلاف بينهم وبين الدولة يوجب السرعة اللهم الا ان يكون ذهابهم لمجرد المزايدة على معارضيهم ومنافسيهم ٠

ولعلهم اعطوا معاشاتهم في قرى الطيبة ، وعدشيت القصير، وطرفلسيه لانهم لم يعطوا شيئا من قرى الشومر ، ولئلا يكونوا مغبونين بموالاتهم للدولة ومحالفتهم للمتمردين عليها من أهالي البلاد ، او لانهم بخلاف غيرهم من المشايخ أحرار غير مقيدين بالسكنى ضمن قرى الشومر ؟

ولعل هذا الخلاف بين مشايخ المتاولة هو الذي مكن الامير بشير ومدبريه من ان يلعبوا لعبتهم في السعي لكف ايدي المشايخ عن حكم بلادهم وتقييدهم بتلك الشروط المحرجة ثم حصرهم ضمن قرى الشومر كما يتضح من شروط الصلح وملحقاته ٠

ثم ينبغي ان يؤخذ بعين الاعتبار والواقع انه لم يكن يومئذ للمشايخ

١ – لاحظ ص ٥١١ – ٥١٤ من العرفان م٣٩ ٠
٢ – لاحظ ص ٤٢٢ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين ٠

الاقطاعيين (كل الاقطاعيين) من املاك سوى العقارات المبنية من دور وخانات ومخازن ومطاحن ، واما البساتين والكروم فقد كانت قليلة نادرة عندهم لانهم قلما كانوا يميلون لغرس الاشجار بل كان جل اعتمادهم على زرع الحبوب، اذ لم يكن للاستقرار والامان ما يضمنه في عهودهم ، ذلك بأن قطع الاشجار كان وسيلة للتنكيل ببعضهم عند الخصومة والحرب ٠

أما القرى والاراضي السليخ فقد كانت ملكا للدولة تعطيها للمقاطعجية بالضمان والالتزام او تأخذها منهم حين تولي غيرهم عليها أو حين يتخلون عنها اذ لم تكن ممسوحة باسمهم ولم تكن مساحة يومئذ تلزمهم بها وتخولهم التصرف بها ، وما أعطي لهم من قرى الشومر اعطيت معاشات لهم لكي يعمروها بالحرث او الفلح ويكفوا أيديهم عن حكم بلاد بشارة والشقيف والتفاح ويحصروهم في نطاق ضيق من قرى الساحل التي كانت جلها مهجورة بائرة والقرى الجبلية التي لا تغل ولا تعطي ثمارها الا بالتعب الشديد والعمل الدائم لان ارضها فرسية ٠

ما يقوله المحدثون من مؤرخي المتاولة

يقول مؤلف تاريخ جبل عامل الاستاذ محمد جابر « ورأى الوالي سليمان باشا وكان – سلس القياد لين العريكة – ما أصاب جنده من الفشل وما الم بالبلاد من بؤس وشقاء فأيقن انها سائرة الى الخراب التام حتما ، فمال الى اللين ، واستدعى الى عكا الشيخ علي الفارس عميد آل صعب فاقامه حاكما عاما في قلعة تبنين ، ولم يكن يجسر أحد على قبول ذلك المنصب بعد ذبح الحاكم السابق كما أشرنا ، ولم يقبل الشيخ علي الفارس – وكان شيخا محنكا – ذلك المنصب الا بعد اتفاقه مع زعماء الثوار (الطواح) على ان يسعى باجلاء جيش الاتراك والارناؤوط عن البلاد وارجاع الحكم الى اهلها » ٠

* * *

لاحظ ص ١٤٠ من تاريخ جبل عامل ، ثم لاحظ ما يقوله الركيني وهو من المعاصرين للحوادث – من ان الشيخ علي الفارس هذا كان قد توفي سنة ١١٨٩هـ ودفن في قرية تبنين ، قبل حكم سليمان باشا بثلاثين سنة ، راجع ص ٢٥٥ – ٢٥٦ من العرفان م (٢٨) ٠

* * *

ويروي مؤلف كتاب جبل عامل في التاريخ ويقول ما نصه : « وفي سنة ١٢١٩ هـ في محرم توفي الجزار في عكا وتولى بعده غيره وبعد برهة يسيرة

تولى مكانه سليمان باشا وارسلت الدولة راغب أفندي ناظر الخارجية بالدونما الهمايوني (الاسطول) ليشترك مع الوالي في اصـــلاح ما أفسده الجزار • فاستدعيا فارس الناصيف ابن الشيخ ناصيف النصار ، وابن عمه محمد البيك ابن الشيخ محمود النصار المعروف بأبي حمد ، وأظهروا لهما الاكرام والعناية والرعاية فأطمئنا لهما وطلبا منهما اعادة البلاد الى المشايخ كما كانت في عهدها الاول لانهم توارثوها سالفا عن سالف ، ومدنوها وأوجدوا فيها المشاريع الحيوية المتعارفة في ذلك الزمن ، كالقلاع والحصون والمرابط ؟؟ والقنـــاطر والمعابد ، والبنايات ، والاسواق والابار ، والمطاحن ، والاغراس ، ومنها جفتلك رأس العين وقسم كبير من بساتين صيدا ؟؟

فأجابهم بعدم امكان ذلك بعد ادخاله في واردات الخزينة منذ خمسة عشر عاما ثم تم الاتفاق على اعطائهم مقاطعة اقليم الشومر برمته ، عوضا عن املاكهم المغصوبة المتفرقة في سائر البلاد ، وأجريا (ترقين) أي اخراج قيد (أو قيود) هذه المقاطعة من ذخائر الخزينة ووزعت الضريبة الموضوعـــة عليها من اموال وذخائر على باقي المقاطعات واعطيا بها المراسيم العالية التي من جملتها ، انها مرفوعة القدم ممنوعة القلم ، يعني ليس عليها شيء من الضرائب بالكلية ، ولا تطأها أقدام الجباة ولا يجري في حسابها قلم المحصلية ثم عينـــا لبيت الرياسة مائتي كيس سنويا ؟؟ تدفع للرئيس من خزانة عكا ، وتدفع له ذخائر مرجعيون في كل سنة ايضا •

ثم ان سليمان باشا سال عن المحل المناسب للرئيس فأجيب بعد الفحص ان قرية الزريرية هي انسب الاماكن موقعا واحسنها هواء فأعطيت للرئيس بزمتها، ثم أمر البنائين فشيدوا البنايات المناسبة للعيال والاضياف والحكم وبنيت على نفقة الدولة ؟ ثم انتقل فارس الناصيف ومحمد البيك اليهـــا ، وجمعـــا آل علي الصغير ، وآل ابي صعب ، وآل منكر • وقسمت قرى اقليم الشومـــر ، ومزارعه بينهم كل بحسبه • وأصاب بيت الرياسة منها سهم وافر ، والرياسة كانت بيـــد الكبير من البيت الذي يتولى الرياسة من آل علي الصغير ، وانمـــا يتولاها من قبل الوالي ، وكان الكبير فارس الناصيف (١) •

● ما يلاحظه الباحثون

(١) لاحظ ص ١٧٢ من جبل عامل في التاريخ ، ثم لاحظ ان المؤلف في كل ما ذكره من حوادث وأمور مجهولة لدى القراء لا يرجعنـــا فيمـــا رواه عنها الى مصدر تاريخي معروف او نص واضح ، ثم لاحظ بعد ما كتبه مؤرخ ولاية سليمان باشا ـ وهو من المعاصرين للحوادث ـ عن صلح مشايخ المتـــاولة مع سليمان باشا ـ وقارن بين الروايتين •

ثم لاحظ ص ١١ ـ ٥١٤ من مجلة العرفان م (٣٩) الوثيقـــة التي نشرها الشيخ عبد المحسن الظاهر عن صلح المشايخ مع سليمـــان باشا لتعرف مـــدى التباعد بين ما يقوله العلامة الفقيه في كتاب جبل عامل في التاريخ وبين ما تنص عليه الوثائق والنصوص التاريخية ، ثم يتضح لك الفرق بين الحقيقة والخيال اذا لاحظت ما يقوله الركيني عن تاريخ بناء بيت فـــارس النـــاصيف في قرية الزريرية سنة ١٢٢٨ هـ أي بعد توزيع قرى الشومر على المشايخ بثمانية أعوام•

نصوص من مخطوطة الركيني ومذكراته

يقول الركيني الابن « وفي هذه السنة ١٢١٩ هـ في محرم مات الجزار في عكا وتولى الامور اسماعيل باشا وبعد شهرين اجى ابراهيم باشا فولى الامر الى سليمان باشا ، ومسك اسماعيل باشا وارسله الى اسلام بول (١) » •

من حوادث سنة ١٢٢٠ هـ

وفي سنة ١٢٢٠ هـ توفي شبيب ابن ناصيف في شحور ؟ وفي هذه السنة توفي الشيخ حسين نعمه في جبع (٢) •

من حوادث سنة ١٢٢٥ هـ

ويقول الركيني « وفي ١٠ه السنة توفي السيد محمد امين في ربيع اول في شقره لرحمة رب العالمين •

وفي هذه السنة اجت عرب الوهاب الى بـــلاد حـــوران وسبوا واحرقوا وقتلوا وطلع لهم يوسف باشا وانهزموا ، وفي آخر الشهـــر اجى سليمان باشا الى الشام ومعه الدروز والمتاولة ، وصار بينه وبين يوسف باشا وقعة كان الوجه

١ ـ لاحظ ص ٦٨٠ من العرفان م(٢٩) •

٢ ـ ويقول المؤرخ الشهابي « وفي هـــذه السنة ١٢٢٠هـ ارســـل سليمان باشا عسكراً الى بلاد المتاولة ولضبط القلع وفـــرت مشايخ المتاولـــة وخـــربت البلاد •• لاحظ ٤٣٢ من لبنان في عهد الامـــراء الشهابيين ، ثم لاحظ واسأل هـــل كـــان مشايـــخ المتاولة هم المحاصرون في هذه القلع ؟ ام انهم كانوا فارين مـــن وجـــه الدولة ، وكانت القلع بيد عسكر الدولة لنطمأن الى صحة هذه الرواية ؟؟

الى سليمان باشا ، وقتل احمد بن عباس المحمد من المتاولـــة ومعه اثنين اخوة اولاد متيرك ، وانهزم يوسف باشا وعاد سليمان باشا الى الشام » ٠

من حوادث سنة ١٢٢٥ هـ

يقول مؤلف تاريخ صيدا ومؤسس مجلة العرفان نقلا عن المعمرين من ال الزين : « وفي هذه الفترة من الزمن رجع جدنا الشيخ علي الزين من الهند الى وطنه الاصلي شحور بعد ان عانى ما عاناه في الحرب ضد الاحتلال الانكليزي هناك ، فعاش بقية عمره في شحور عزيزا مكرما وزاره بها سليمان باشا والي عكا، وولد له بعد رجوعه من الهند جدنا الحاج سليمان الزين سنة ١٢٢٩ هـ (١) » ٠

من حوادث سنة ١٢٢٨ هـ

وفي هذه السنة طلع والي الشام على الحج ، وحج ورجع سالما لانه كان له الحاج سبع سنين ما حج من الوهاب ، وكان كبير مصر محمــد علي وولده مواقفين الوهاب (محاربينه) وكاسرينو وطلبوا وراه الى بلاده ٠

وفي هذه السنة حج السيد حسن نور الدين والشيخ حسن قبيسي والشيخ محمد مغنية راحوا في البحر واجو في البر ٠

من حوادث سنة ١٢٢٨ هـ

يقول الركيني ٠ « وفي هذه السنة فارس النــاصيف جاب بيتو وعياله الى الزريرية وعمر دار » ، يعني بعد سبع سنوات من تولي فارس الناصيف لحـكم اقليم الشومر لا عند توليه سنة ١٢٢٠ هـ كما يقول العــلامة الفقيه : وفي هذا ـ على اقتضاب الروايات وعدم تقصي المؤلف واطلاعه على الحقيقة ـ بخلفياتها وعللها ـ دلالة على صدق الراوي وصحة أخباره لانه معاصر للحوادث وعفوي فيما يقوله ويدونه ٠

١ ـ لاحظ ص ١٥٦ من تاريخ صيدا وص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ من العرفان م(٤١) ٠

من حوادث سنة ١٢٢٩ هـ

وفي هذه السنة ١٢٢٩ هـ توفي السيد الأجل السيد نور الـــدين في قرية النبطية ، وتوفي الشيخ نصار بن المرحـــوم ناصيف في قرية الطيبـــة اول شهر رجب ٠

من حوادث سنة ١٢٣٠ هـ

يقول المؤرخ ابراهيم العورة « وفي هذه السنـة (١٢٣٠ هـ) حضر الشيخ فارس الناصيف الى عكا لتعزية سليمان باشا بوفاة نائبه علي باشا الخزندار ، حضر وصحبته تقادم (هدايا) فقبلها سليمان باشا وأكرمه وأنزله في قونـاق منظوم ولاطفه وبعد أن أكرم دايرة الوزير ألبسه الوزير وأعطاه مرسوما بانعام عشرين غرارة شعير وعشرة غراير حنطة وارجعه مجبور الخاطر (١) » ٠

من حوادث سنة ١٢٣١ هـ

وفي سنة ١٢٣١ هـ توفي الشيخ علي كوثراني في قرية الصرفند في شهر ذي الحجة ، وبعد كم يوم توفي الشيخ داوود الغول في قرية ميس لرحمة الرب الودود وتوفي الحاج سلهب جابر من قرية البازورية لرحمة رب البرية (٢) ٠

من حوادث سنة ١٢٣٤ هـ

يقول الركيني « وفي سنة ١٢٣٤ هـ توفي السيد فخر الدين فضل الله في قرية عيناتا في شهر رجب وفي ذي القعدة توفي سليمان باشا في مدينة عكـا ، وفي هذا الشهر نقلوا سوق الخميس (في بنت جبيل) من عند البلد الى الشمال» ٠

من حوادث سنة ١٢٣٥ هـ

وفي هذه السنة توفي الحاج حيدر عسيـــلي في قرية رشاف ، وفيها في

١ ـ لاحظ ص ٢٨١ من تاريخ ولاية سليمان باشا ٠
٢ ـ لاحظ ص ٦٨١ ـ ٦٨٢ من العرفان م(٢٩) ٠

جماد الاول اجت البوشنة الى عبد الله باشا في عكا ، وفيها في شهر جماد ثاني توفي حسن الحيدر بن حيدر فارس في قرية البابلية ، وتوفي ابن عمه شبيب في قرية النميرية ودفنا في يوم واحد وكتب على هامش الصفحة تاريخ بها :

حسن قضى والصالحات أمامه   أرخ لدى حسين شفاعة حيدر

من حوادث سنة ١٢٣٦ هـ

وفي هذه السنة في شهر جماد الثاني عبد الله باشا طرد الامير بشير شهاب والشيخ بشير (جنبلاط) من جبل الدروز والتجوا الى جبل حوران ، وفي شهر شعبان رد لحساب خاطره عليهم ورجعوا الى مطارحهم (١) » .

من حوادث سنة ١٢٣٧ هـ

يقول الامير حيدر احمد شهاب « وفي سنة ١٢٣٧ هـ ارسل عبد الله باشا الى الشيخ فارس الناصيف ابن الشيخ ناصيف النصار ومشايخ المتاولة في تلك البلاد ، انه يريد ان يرجع لهم حكم بلادهم ، أي جبل عامل التي يقال لها الان بلاد الشومر وبلاد الشقيف (٢) وان يرفع المتسلمين منها ويجعل عليهم رابطة (٣) لكي يوردوا الاموال التي كانت تتورد عن يد المتسلمين الذين من قبل الوزير ، ويترك لهم خمسين الف غرش في كل عام ، ومئة غرارة شعير ، بحيث ان يكون عندهم الفين نفر خيالة وزلم عسكر مقيمين تحت طلبه الى أي وقت لزم للوزير ، فأبوا المشايخ المذكورين عن ذلك ولم يقبلوا احتسابا من الغدر .

ثم بعد جملة مراجعات ، ارسلوا (المشايخ) استشاروا الامير بشير الشهابي حيث كانت محبة زايدة عظيمة ، وكان الامير يروم قيام صالح المذكورين ،

(فاشار بقوله ان الوزير قد خاصم دولة والي دمشق خصاما طويلا واحتياجه اليهم طويل) ، ورأى ان ذلك صالح لهم ان يرجع لهم حكم بلادهم كما كان في أيام آبائهم ويصير لهم الامر والنهي وترتفع يد المتسلمين عن رعاياهم وأهل بلادهم ، وعندما رجع اليهم الرسل من عند الامير بشير كما ذكرنا، ارسلوا

---

١ ـ لاحظ ص ٦٨٢ من العرفان م٢٩ .
٢ ـ ان بلاد الشومر والشقيف جزء من جبل عامل لا جبل عامل كله فهو ثمانية مقاطعات عدى جزين .
٣ ـ لعله يقصد بالرابطة هنا الضمان والمبلغ الذي يضمن يد المقاطعة .

الحاج حسن شيت الذي كان بمقام كأخيه عند الشيخ فارس الناصيف الى عبد الله باشا يطلبوا منه ما آمر به وان يحرر لهم صك بعدم التقيد بما وعد .

فحرر لهم الباشا ان لا يقع معهم في الزمان انتقاض ووجه لهم الخلع كما كانت عادة آبائهم من والي صيدا في قديم الزمان ، وابتدوا اولئك المشايخ يهتمون في تدبير خيل وسلاح ويعينوا أناس من بلادهم حسب ما أمرهم عبد الله باشا واعطاهم أيضا بلاد مرجعيون ، وربط عليهم مال معين كما كان على أيام المتسلمين » .

ويقول الركيني « وفي هذه السنة (١٢٣٧ هـ) توفي البيك بن ابو حمد النصار في قرية الزريرية ، وفيها في شهر جماد الاول طاب خاطر عبد الله باشا على المتاولة وردهم الى مطارحهم (١) » .

● ما يلاحظه الباحثون

(١) لاحظ ص ٦٨٢ من العرفان م٢٩ ، ثم لاحظ ان المراد بقول الركيني « طاب خاطر الباشا على المتاولة » اي على مشايخ المتاولة ، وبقوله « وردهم الى مطارحهم » اي ردهم الى مطارحهم في حكم بلادهم الذي حرموا منه طيلة عهد الجزار وسليمان باشا ، وعلى اختصار هذه العبارة من الركيني فهي أصفى وأصدق دلالة من كلام المؤرخ الشهابي على اسهابه واستدراكه لامور لا مبرر لها ولا لزوم .

ذلك بأنه لم يكن بين مشايخ المتاولة وعبد الله باشا من دواعي الحذر والخوف ما كان بينهم وبين الجزار وسليمان باشا ليخافوا من غدره وتقلبه ويلجأوا الى مشورة الامير بشير كما يقول المؤرخ اللبناني .

وبأن عبد الله باشا نفسه هو الذي عرض عليهم العودة الى ما كانوا عليه بدون واسطة أحد وبدون طلب منهم ، فكيف يأبون عليه ذلك وقد أرادهم أن يكونوا مستقلين عن الامير بشير وأندادا له ؟؟

وبأن شرط الباشا بأن يكون لديهم الفي مقاتل يحضرون بهم الى الحرب مع الوزير كلما دعاهم اليه ، هو شرط قد اشترط عليهم مثله سليمان باشا ، ولكن دون ان يعيدهم الى حكم بلادهم أو يعوض عليهم شيئا من النفقات الاضافية كما فعل معهم عبد الله باشا ، واذن فلماذا التردد في تلبية مطلبه ؟؟

---

١ ـ لاحظ ص ٧١٠ من لبنان في عهد الامراء : وص ٩٨٩ من نزهة الزمان ج٢ .

وما الداعي لان يستشيروا الامير بشير وقد عرفوا ما عرفوا من تأمره عليهم مع سليمان باشا وعدم اخلاصه لهم الا ان يكونوا في ذلك الوقت منقادين لاوامره ومسيرين حسب خطته المشوبة بالمكر والخداع ·

ثم اذا صح وسلمنا بكل ما رواه المؤرخ الشهابي من قصة تـردد مشايخ المتاولة واستشارتهم للامير – ولم تكن هذه القصة في الاساس موضوعة ومفتعلة لاشعار الناس بأن مشايخ المتاولة كانوا منقادين لارادة الامير وتابعين لحكـام لبنان في كل حين – فمعنى ذلك ان مشايخ المتاولة كانوا قصاراً وآلة بيد الامير ؟؟

ومن حوادث سنة ١٢٣٧ هـ

يقول الركيني « وفي شهر رجب من هذه السنة صارت بين عبد الله باشـا وبين باشة الشام درويش باشا وقعة على جسر بنات يعقوب وكانت الغلبي على عسكر باشة الشام وأخذوا منه الهاون والمدافع ، وكـانوا المتاولة مع عبد الله باشا ، وفي أول شهر رمضان انتقل عسكر عبد الله باشا والمير بشير بالدروز والمتاولة بارض المزي وصار بينهم وقعة في شهر رمضان وأخذوا مدفعين مـن عسكر باشة الشام والتجى باشة الشام الى القلعة وما كان يطلع اليهم ، واهل الشام وقراياها التجوا الى المدينة وعمروا في الرباوي متراس وصاروا يسهروا الليل والنهار قدر عشرين يوم ، ثم لفا الى الشام باشـة حـلب مصطفى باشا وارتحل عسكر عبد الله باشا والدروز اجمع ، وبعدما طلع الحاج (من المدينة) لفا باشة اضنا بعسكر ثقيل ، وتوجهوا العساكر على جبـل الدروز ، درويش باشا ، وباشة اضنا ، وباشة حلب » (١) ·

اشتراك المتاولة في معارك الجسر والمزة سنة ١٢٣٧هـ

ويقول الامير حيدر احمد شهاب « وفي هذه السنة (١٢٣٧هـ) وقعت فتنة بين مشايخ بلاد نابلس ووقع قتال بينهم ، فارسل درويش باشا والـي دمشق نائبه فيزوا باشا بعسكر الى بلاد نابلس ، ولما بلغ عبد الله باشـا (في عكا) وصول فيزوا باشا نائب درويش باشا الى صحراء المزيريب ، ارسل في الحال جميع عساكره وارسل ابراهيم آغا الذي كان امير الحرم الشريف سابقا – ساري عسكر (اي رئيس) ومعه الارناؤوط والمغاربة الى جسر بنات يعقوب ،وارسل معه الشيخ فارس الناصيف بعسكر المتاولة ، ثم ارسل نائبه (الآخر) ابراهيم

١ – لاحظ ص ٦٨٣ من العرفان م(٢٩) ·

اغا ومعه شمدين اغا (الكردي) ، ونعمان اغا ، وابراهيم اغا ضابط الدالاتية ، وابازيد اغا ، وموسى اغا الحاسي بعساكرهما الهوارة الى جسر المجامع ، ولم يكن طريق للعبور من ديار دمشق الى بلاد نابلس الا على هذين الجسرين ·

ولما بلغ فيزوا باشا ان الطريق قد امسكت عليه ارسل الى درويش بـاشا فاعلمه بذلك وطلب ان يمده بالعساكر فامده (درويش باشا) باربعماية خيال بقيادة عبد الله اغا الكور « وفي ٢٢ رجب الموافق اول نيسان نهض فيزوا باشا من المزيريب يريد العبور على مخاضة نهر الشريعة وسار صاحبه ابن الديراني على طريق القنيطرة قاصدا جسر بنات يعقوب ·

ولما بلغ ابراهيم اغا نائب عبدالله باشا قدوم فيزوا باشا التقاه بالعسكر الذي معه ليمنعه من العبور على ذلك النهر،فارتد فيزوا باشـا راجعـا بعسكره عندما عرف بقدوم عسكر عبدالله باشا فتبعه عسكر عبدالله باشا الى اراضي الــزرقاء ·

واما ابراهيم اغا الكور فانه وصل بعسكره الى الجسـر (جسر بنات يعقوب) ووقع القتال بينه وبين العسكر المقيم هناك فتقهقر عسكر المتاولة الـى قاطع الجسر وحاصر الارناؤوط والمغاربة في الخان الذي هناك علـى جانب الجسـر ·

ولما وصلت الاخبار الى ابراهيم اغا نائب عبدالله باشا انثنى في الحال عن طلب فيزوا باشا واسرع لنجدة المحاصرين في الخان ، ولما وصل الى الجسر (جسر بنات يعقوب) قسم العسكر الذي معه الى فرقتين وانتشب القتال بين تلك العساكر فانكسر عسكر دمشق وفر هاربا ، واحتوى عسكر عبدالله علـى خيامهم واسلابهم ومدافعهم وذخيرتهم وقتل منهم جماعة ووقع في يديه كثير من الاسرى » (١) ·

النهاية المجهولة بعد سنة ١٢٣٧هـ

ان من تسنى له ان يشاهد موقع جسر بنات يعقوب ويعرف انه واقع في منعطف ضيق من الوادي الذي يمر به نهر الاردن ويشعر بأن تقهقر عسكر المتاولة الى عبر الجسر بعدما دهمهم عسكر العدو ، وهم وحدهم خارج الخان عرضة للحديد والنار بينما تحصن رفقاؤهم من عسكر الارناؤوط والمغاربة داخل الخان، ويدرك ان تقهقرهم عـبر الجسر الغربي الى حيث يتحصنون بربوة صخرية هناك

١ – لاحظ ص ٩٩٢ – ٩٩٣ مـن نزهـة الزمـان ج٢ ثم ص ٧١٠ – ٧١٢ مـن لبنان في عهد الامـراء ·

تشرف على الجسر وعلى الخان وعلى ما حوله من مواقع العدو هو نوع من الالتفاف على العدو لا تقهقر وانهزام ، كما يبدو للقارىء العادي من عبارة المؤرخ الشهابي ، ولو ان تقهقرهم هذا كان خوفا وانهزاما لظلوا راجعين الى بلادهم العاملية التي لا يفصلها عن الجسر سوى سهل الحولة والخيط ، ولما استمروا في الحرب مع عساكر عبدالله باشا والامير بشير حتى نهاية معارك الشام والمزة كما يبدو من القرائن التاريخية ومن نص الركيني على انهم قد اشتركوا في معركة المزة ولم يتراجعوا الى ان تراجعت جموع عساكر عبد الله باشا والامير بشير ، وكان ما كان من انطفاء ذكر الشيخ فارس الناصيف وبقية مشايخ المتاولة بعد ذلك اذ لم نعد نسمع للشيخ فارس او لغيره من مشايخ المتاولة اي ذكر او خبر بعد حوادث سنة ١٢٣٧هـ ، ويتنافى كل ما قرأناه مع الباحثين نسأل ونستفهم عما يشعرنا بأنهم عادوا الى حكم المقاطعات العاملية بتمامها ام عادوا الى اقليم الشومر كما كانوا في عهد سليمان باشا ؟ ام انهم تشتتوا وتبددت احلامهم بانتهاء سنة ١٢٣٧هـ ، نسأل ونستفهم ولكن بدون جدوى او جواب ؟؟

من حوادث سنة ١٢٤٨هـ

يقول المؤرخ طنوس الشدياق « وفي هذه السنة (١٢٤٨هـ) امر العزيز (محمد علي باشا) بأن يكون الامير بشير قاسم محافظا على المدن ويرسل متسلمين من اقاربه الى المدن ، ولما تسلم الامير اوامر العزيز ، ارسل الامير ملحم حيدر الى بيروت والامير بشير ملحم الى صيدا ، والامير حسن اسعد الى صور ، وعين لهم انفارا للخدمة »(١) ٠

ويقول القس انطون الحلبي الديراني « ثم بعد وصول الاوامر من ابراهيم باشا للامير بشير في غرة جماد اول من سنة ١٢٤٨هـ ، ارسل الامير متسلمين الى المدن ، فارسل الامير ملحم (حيدر) الى مدينة بيروت ، والامير بشير (ملحم) ابن الامير قاسم الى صيدا والامير حسن الاسعد (الشهابي) الى صور، وعين معهم لكل مدينة ١٥٠ نفرا لاجل البوابات والقلع » (٢) ٠

الخلاف بين قاضي صيدا ومتسلمها الشهابي

يقول الامير حيدر احمد شهاب « وفيها (١٢٤٨هـ) حدثت فتنة في صيدا

١ ـ لاحظ ص ٢١٣ من اخبار الاعيان ج٢ طبعة ثانية ٠
٢ ـ لاحظ ص ٢٤ من حروب ابراهيم باشا ٠

بين متسلمها الامير بشير ملحم والشيخ (محمد) يونس البزري قاضي المدينة لان الامير المذكور كان يناقض احكامه بغير علم فقه ، فهيج القاضي بعض اهل المدينة واتى بهم بالسلاح الى السرايا ليطردوا الامير منها فتباحثا في الكلام ، وتشاتما ، واتصل ذلك الى جماعة الامير ، ثم توجه بعض حزب القاضي الى ابواب المدينة لطرد جماعة الامير منها فصدتهم الجماعة ، فارتد كل الى مكانه، فكتب الامير بشير ملحم الى الامير الكبير يخبره بذلك طالبا حق شرفه ، فكتب الامير الكبير الى نقيب افندي في عكا ، فعرض النقيب للوزير ، فاجابه ان يكتب الى الامير بشير الكبير الوالي ان يوجه رجالا من اعوانه ليقبضوا على القاضي والمفتي وعلى كل من تظاهر معهما ويرسلوهم الى عكا فارسل الامير ولده الامير خليل بجماعة الى صيدا فحضر اليه القاضي والمفتي يسلمان عليه فتلا عليهما امر الوزير ، وامرهما ان يبقيا عنده للبحث والاستقصاء وانفذ اعوانه يقتلون من تعصب لهما ، ثم ارسل القاضي والمفتي وباقي المعتقلين الى عكا ورجع الى ابتدين ٠

وحينئذ قدم شريف باشا الى عكا وامر بعقد ديوان شورى على الصيداويين ، فحكم الديوان ان خمسة عشر رجلا من المعتقلين يسجنون سنة ، وان الذي رفع السلاح على الامير يقطع عنقه على باب صيدا ، ففعلوا كذلك وهم ينادون هذا جزاء من رفع يده على الوالي » (١) ٠

عزل متسلم صيدا

يقول القس انطون الحلبي الديراني « في ١٥ شعبان حضر الامير بشير (ملحم) متسلم صيدا الى محله ، وتوجه الامير سلمان ابن الامير السيد احمد (شهاب) الى صيدا متسلم عوضه » (٢) ٠

الصلح بين السلطان محمود ومحمد علي باشا

ويقول القس انطون نفسه « في ٢٠ من ذي الحجة ـ من سنة ١٢٤٨هـ ـ حضرت البشائر في تمام الصلح بين الدولتين العثمانية والمصرية ، وان يكون من كولك بوغازي الى غزة تابع ولاية مصر ، أي عربستان » (٣) ٠

١ ـ لاحظ ص ١٠٢٧ ـ ١٠٢٨ من نزهة الزمان وص ٢١٣ ـ ٢١٥ من اخبار الاعيان ج٢ طبعة ثانية ٠
٢ ـ لاحظ ص ٢٩ ج١ من حروب ابراهيم باشا ٠
٣ ـ لاحظ ص ٣٠ من حروب ابراهيم باشا ٠

عزل المتسلمين الشهابيين

يقول المؤرخ الشهابي « ولما تم الصلح بين السلطان والعزيز ، فبعد ايام امر الوزير بعزل الامير سلمان والامير حسن من متسلمية صيدا وصور ، فرجعا الى داريهما ، ثم بعد ايام امر الوزير بعزل الامير ملحم حيدر عن متسلمية بيروت فرجع الى داره » (١) ·

ويقول القس انطون الحلبي « في ١٢ ت ١ (او ١٢ ربيع اول من سنة ١٢٤٨هـ) حضر امر من ابراهيم باشا ان الامير سلمان يعزل من متسلمية صيدا وحضر عوضه رجل ترك متسلم عوضه يقال له عريف اغا » (٢) ·

● ما يلاحظه الباحثون

··· واذا صح ما تضمنته روايات مؤلف اخبار الاعيان ومؤلف حروب ابراهيم باشا ومؤلف نزهة الزمان ، من ان تعيين الامراء الشهابيين متسلمين في صيدا وصور وبيروت كان في غرة جماد اول من سنة ١٢٤٨هـ وان عزلهم نهائيا من صيدا وصور ومقاطعات جبل عامل كان في ١٢ ربيع اول من سنة ١٢٤٩هـ فان مدة حكم الامراء الشهابيين في صيدا وصور ومقاطعات جبل عامل لدى الاحتلال المصري لا يمكن ان تتجاوز احد عشرة شهرا حسب توقيت هؤلاء المؤرخين المعاصرين للحوادث ·

وعليه فلا مبرر لقول من يقول « بأن الامير بشير الشهابي ولى ولده (بل حفيده) الامير مجيد ادارة مقاطعات جبل عامل ، وكان شابا غرا لم تحكمه التجارب فصب جام غضبه على الشيعيين وارهقهم ظلما وساق مئات منهم الى السجن فكان في محبسه في صور زهاء الف رجل ، وحقر العلماء فكان نتيجة هذا ان ثار الشيعيون (٣) ·

نعم لا مبرر لهذا القول لان الامير مجيد هذا انما ارسل مؤخرا ليتعقب الثوار من العامليين بقيادة حسن شبيب بن الشيخ فارس الناصيف سنة ١٢٥٥هـ ولم يرسل ليحكم مقاطعات جبل عامل ويستئثر الشيعيين (٤) ·

---

١ ـ لاحظ ص ١٠٢٧ ـ ١٠٢٨ من نزهة الزمان وص ٢١٣ ـ ٢١٥ من اخبار الاعيان ج١ ·
٢ ـ لاحظ ص ٣٣ ج١ من حروب ابراهيم باشا ·
٣ ـ لاحظ ص ١٤٧ من تاريخ جبل عامل للاستاذ جابر ·
٤ ـ لاحظ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٢ من المحفوظات الملكية المصرية ج٤ ·

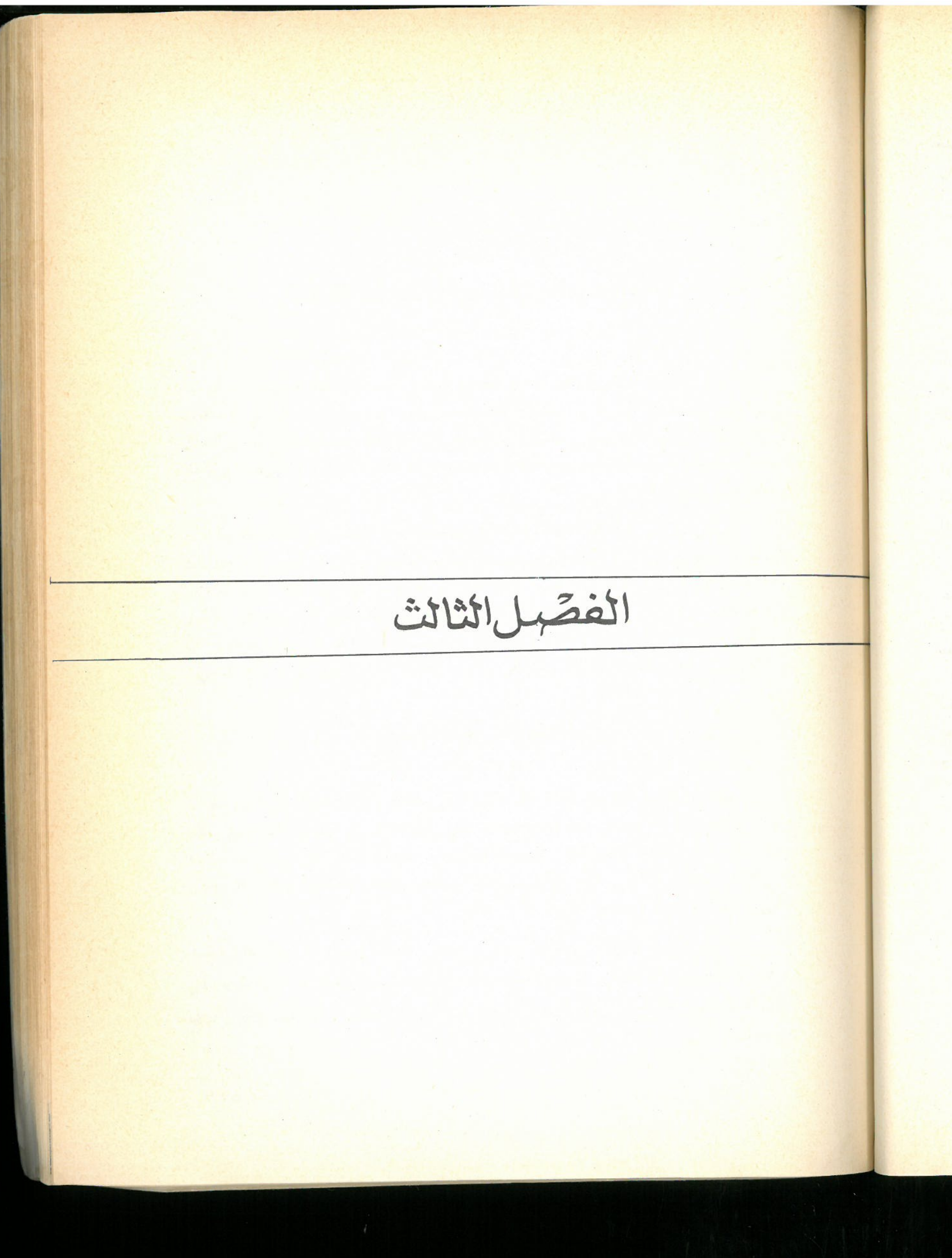
ولعل الذي حكم في متسلمية صور بعد عزل الامير حسن اسعد الشهابي منها هو من الشيعيين انفسهم وهو ـ على ما يذهب اليه المعمرون من آل الزين وغيرهم ـ الحاج طالب الزين بن الوجيه الفاضل الحاج يحيى الزين (١) ·

ومما يقرب هذا الزعم الى الواقع ، ان القس انطون الحلبي مؤلف « حروب ابراهيم باشا » يذكر في يومياته عزل متسلم صيدا وتعيين اخر عوضه ولا يأتي على ذكر متسلم صور وعزله مع ان عزل المتسلمين من صور وصيدا جرى في وقت واحد على ما يصرح به المؤرخون المعاصرون للحوادث مثل القس انطون ، بيد ان القس المحترم جرى على عادة امثاله من المتحاملين على المتاولة الذين لا يذكرون اعلام رجال المتاولة الا في الحالات المهينة او حين يكونون تابعين لامراء لبنان ، اما حين يتولون منصبا محترما بدلا من الامراء الشهابيين فيثقل على لسانهم ذكر مثل هكذا حادث ، او يأنفون بطبعهم من تسجيله في مذكراتهم وتسمية من اسند اليه من المتاولة ، اما مداراة لعنجهية الامراء اللبنانيين او استجابة للنعرات الاقليمية والطائفية ، والا فما الداعي الذي دعا مؤلف حروب ابراهيم باشا للنص على عزل متسلم صيدا وتعيين متسلم اخر في مكانه ، ثم اهماله لذكر متسلم مدينة صور ؟؟

اجل وان الميول الطائفية تبدو صريحة واضحة في كتاب المؤلف كوضوحها عندما يتعرض لقصة الخلاف بين قاضي صيدا الشيخ محمد يونس البزري ومتسلمها الامير بشير ملحم شهاب ، واذ يقول عن سبب الخلاف انه « حدثت منافرة بين القاضي والامير لاجل اسباب جزئية فهيج القاضي اهل البلد على الامير » (٢) بينما يقول غيره من المؤرخين ان السبب في ذلك ان الامير صار يحكم على نقيض ما يوجبه الشرع الاسلامي ، ومثل هذا التصرف في الحكم لا يمكن ان يعتبر جزئيا يومئذ ، لا بنظر رجال الدين والقضاء ولا بنظر الامراء والحكام ، ولهذا عزل الامير عن متسلمية صيدا على اثر ذلك الخلاف ·

---

١ ـ لاحظ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ من العرفان م٤١ ، ثم لاحظ ص ١٥٧ من تاريخ صيدا وص ٢٣ من تاريخ قلعة الشقيف ·
٢ ـ لاحظ ص ٢٧ ـ ٢٨ من حروب ابراهيم باشا ج١ ثم لاحظ رواية الحادث بغيره من التواريخ كتاريخ اخبار الاعيان ·



الفصل الثالث

الواقع التاريخي في أيام حمد البيك

من الاقوال المأثورة عن بعض القادة قولهم « ما انفك تاريخنا - قديمه وحديثه - بحاجة الى كثير من التمحيص والتنسيق والبحث عن الحلقات المفقودة ثم الى مزيد من الصراحة والدقة في ملاحظة مواقع التزييف والخلل ضمن مصادره ورواياته ونصوصه اكثر من حاجته الى الجمع والترديد والاخذ بكل ما يروى ويقال » .

واني بوحي من هذا القول المأثور وبحافز من الايمان بدقته العلمية .. اتخذت سبيلي ابحث واناقش واسجل ما يسنح لفكري من خواطر وملاحظات يتصفى بها الواقع التاريخي من اي شائبة او تتجسد عوامل الشك بحقيقة ما يتخلله من الاقوال المغلوطة والروايات المنحولة النابية مثل الحديث عن مؤتمر دمشق سنة ١٢٣٩هـ وعن واقعة (البهجة) سنة ١٢٤٧هـ على ما يذهب اليه المتطرفون بحماستهم الاقليمية والمغالون في التمجيد الفارغ من اي منطق علمي .

واقعة البهجة ؟ حقيقة ام خيال ؟؟

يقول العلامة الشيخ محمد تقي الفقيه في كتابه « جبل عامل في التاريخ »: وفي سنة ١٢٣٧هـ ارسل الخديوي محمد علي باشا المصري ولده ابراهيم باشا لحصار عكا فاعانه الامير بشير بعدما هدده بأنه ان لم يمتثل اوامره يهدم بلاده ويغرس مكانها التين « فأمر ابراهيم باشا باطلاق النار مستمرا وكان الحصار في شعبان واستقام سبعة اشهر .

وقبل فتح عكا نهض زعماء عاملة وجمعوا جيشا وافوا به جهة عكا وقد علق القتال مع العساكر المصرية فكانت الغلبة للمصريين وقتل من العامليين في الواقعة المعروفة (بواقعة البهجة) خارج عكا مايتان واربعون بين فارس وراجل .

ولما استولى ابراهيم باشا على تلك الاطراف ضبط املاك حاكمها وريسها بعد الامتناع من النزول على حكمه ٠

وكان قاد هذه الثورة حمد البك ابن ابي حمد الشيخ محمود النصار وكان معه ابن اخيه اسعد البك واما محمد اخو حمد البك فقد توفي سنة ١٢٣٧هـ (١) ٠

● ما يلاحظه الباحثون

من المرجح ان المؤرخ الذي يصر في هذه الرواية ـ على ان واقعة البهجة كانت قبل فتح عكا واثناء حصارها ٠ لو راجع قول المؤرخ ابراهيم العورة وما يرويه « من ان سليمان باشا والي عكا بعد احمد الجزار قد اشعر (الطواح) من مشايخ المتاولة سنة ١٢٢٠هـ باستعداد الدولة العثمانية لتأمينهم والعفو عنهم والتعويض عن املاكهم ٠٠ اذا هم استسلموا واذعنوا لحكم الدولة ، فلم يقتنعوا منه ولم يطمئنوا ٠٠ حتى راجعوا الامير بشير شهاب الكبير وصوب لهـــم هذا الرأي وسعى لهم في تحقيقه ثم ارسل معهم الى عكا ممثله الشخصي ومدبره الشيخ جرجس باز ليشترك في تقرير شروط الصلح ومنجزاته » (٢) ٠

انقياد مشايخ المتاولة للامير بشير

او راجع قول المؤرخ الامير حيدر احمد شهاب وما يرويه من « ان عبدالله باشا والي عكا ـ بعد سليمان باشا ـ عرض علـــى مشايخ المتاولـــة في سنة ١٢٣٧هـ ان يردهم الى حكم بلادهم جبل عامل ويرفع المتسلمين منها » فاستعفوا من ذلك بعد مراجعتهم مرارا خوفا من الغدر ثم ليستشيروا الامير بشير ، فلما اشار عليهم وطمهنم « بأن الوزير سيطول احتياجه اليهم » رجعوا الـــى الوزير وقبلوا بما عرضه عليهم ، فكتب لهم صكا به ثم ارسل الخلع كما كانت عادة آبائهم من قديم » (٣) ٠

---

١ ـ راجع ص ١٨٠ ـ ١٨١ من كتاب جبل عامـــل في التاريخ للعلامـــة الشيخ محمد تقي الفقيه الحاريصي ٠

٢ ـ راجع ص ٣٧ ـ ٤٧ من تاريخ ولاية سليمان باشا للمعلم ابراهيم العورة ، وهو مـــن المعاصرين للحوادث ومن الذين هيأت لهم الظروف ان يتصلوا بسياسة عصرهم وان يطلعوا على ادق الملابسات والعوامـــل السياسية اذ كـــان كاتب العربي في ديـــوان سليمان باشا ٠

٣ ـ لاحظ ص ٩٨٩ من تاريخ الامير حيدر احمد شهاب طبعة مصر ، وص ٧١٠ ج٣ مـــن طبعة بيروت ٠

انه لو راجع قول هذين المؤرخين لسلم بأن مشايـــخ المتاولـــة كانوا لا يخالفون ارادة الامير بشير بشيء ولا يبتون في امر ذي بال بـــدون مراجعته والاطمنان الى رأيه ٠

اذعان الامير بشير لعزيز مصر

ثم كيف صح لعلامتنا الفقيه ان يرسل القول ارسالا « بأن مشايخ المتاولة حاربوا ابراهيم باشا قبل فتح عكا » مع توكيد المؤرخين بأن الامير بشير ظل ـ من يوم ذهابه الى مصر واتصاله بمحمد علي باشا حتى حصار عكا وما بعده ـ على اتم اتفاق معه في كل شيء حتى في محاربة الدولة وتغييـــر الحكـــم في سوريا كما يتضح من رواية سليمان ابي عز الدين (١) وطنوس الشدياق (٢) ، ومن قول الامير بشير نفسه في بعض الرسائل التي ارسلها لعزيز مصر ـ قبل ان يعد العدة لغزو سوريا واحتلالها « ولقد تلقيت ما صدر به امـــر سعادتكم بالاطاعة والامتثال ، وكلما تصدر به اوامر دولتكم فهذا العبد واقف لها على قـــدم الانقياد لانني عاهدت نفسي على دوام امتثال اوامر عطوفتكم الكريمة ، وقيدت ذاتي بالاطاعة والانقياد لما به ارادة عنايتكم الوسيمة » (٣ ٠

اذعان حكام فلسطين للباشا المصري

ومع تواتر الاخبار والروايات بأن ابراهيم باشا لم يوقـــع الحصار على عكا الا وجميع المدن الفلسطينية بحكامها ومقاطعاتها مستسلمة لارادته (٤) ٠

---

١ ـ لاحظ ص ٤٠ من تاريخ ابراهيم باشـــا في سوريـــا لسليمان ابي عزالدين ، وهو بحث موضوعي يستند فيه المؤلف الى ادق المصادر واوثقها واقربها صلة بزمـــن الحوادث وبالقادة الذين لابسوها وعاشوها ٠

٢ ـ لاحظ ص ٥٢٩ ـ ٥٤٠ ـ ٥٤١ من اخبار الاعيان طبعة اولى ثم ص ١٨٠ ـ ١٨٢ مـــن الطبعة الثانية ج٢ والمؤلف ممن عاصروا الحوادث في عهد الامير بشير الثاني ولابسوا ظروفها وبرعوا في حكاية معظمها حسب ما ارتأوا ووعوا ٠

٣ ـ لاحظ ص ١٧ ج١ من « بشير بين السلطان والعزيز » للدكتور اســـد رستم ٠ ثم ص ٦٧ ج١ من « المحفوظات الملكية المصرية » للمؤلف نفسه ٠

٤ ـ لاحظ ص ٧٤ من تاريخ ابراهيم باشا في سوريا لسليمان ابي عز الدين وص ١٤ ج١ من حروب ابراهيم باشا للقس انطون الحلبي ثم ص ٦١ ـ ٦٢ من كتاب « بشير بين السلطان والعزيز » ٠

ومع علم المؤلف وغيره من المؤرخين بأن الامير بشير نزل لعكا قبل ان يبدأ الحصار ليشترك مع ابراهيم باشا في الاعـداد للحصار لا ليحارب مع مشايخ المتاولة ؟ (١)

تضعضع قوى المتاولة يومئذ

ومع ان كل الظواهر التاريخية في هذه الفترة التي مـات فيها الشيخ نارس الناصيف زعيم المتاولة تدل على ان المتاولة لم يكن لديهم زعامة قوية او قائد نافذ الكلمة يوحد رأيهم ويدفعهم بقوة شخصيته الـى حيث يـريد من حرب او سلم ٠

ولو ان مشايخ المتاولة كان في نيتهم ان يحاربوا او كان لديهم القدرة على محاربة مثل ابراهيم باشا او مثل الامير بشير او مشايخ فلسطين مجتمعين على رأي واحد وفي اتجاه واحد كما كانت الحال يوم حصار عكا ٠٠ اذن لحاربوا عسكر ابراهيم باشا وحده في بلادهم يوم ارسل قواته لاحتـلال صيدا وصور وبيروت قبل ان يمضي اسبوع على حصار عكا ٠

فاستسلام هذه المدن بغير ما اعتراض او مدافعة من قبل الاهالي او من قبل الدولة او من قبل اي زعيم عاملي يدل دلالة قاطعة على ان قصـة حرب البهجة من القصص التي لا واقع لها بين حوادث تلك الايام (٢) ٠

ما البهجة الا قصر !

اضف الى هذا ان موقع (البهجة) لم يكن سهلا فسيحا ولا ساحة قفرا

١ ـ لاحظ ص ٧٤ من تاريخ ابراهيم باشا في سوريا للاستاذ سليمان ابي عز الدين طبعة اولى ثم ص ٥٦٧ من اخبار الاعيان لطنوس الشدياق طبعة اولى ثم ص ١٤ ج١ من حروب ابراهيم باشا ، وهو مذكرات شبه يومية للقس انطون الحلبي الديراني تسجيل الحوادث والاخبار التي تصل بطرق رسمية او شعبية الى دير القمر او بتدين او الى الامير بشير شخصيا اذ كان صاحب المذكرات مقيما عند الامير ومن مستشاريه كما يتضح من البحث عن خصائصه ومميزاته في اول المذكرات ٠ ثم لاحظ ص ٦٩ من كتاب « بشير بين السلطان والعزيز » ٠

٢ ـ لاحظ ص ١٤ ج١ من حروب ابراهيم باشا ٠٠ ثم ص ٧٥ من تاريخ ابراهيم باشا في سوريـا ٠

ولا ميدان حرب وقتال وانما كانت البهجة خندقا خارج عكا ثم اصبح بستانا ، ثم قصرا فخما انشأه سليمان باشا لابنته الست فاطمة ، ثم هدمه عبدالله باشا حين تولى الحكم بعد سليمان باشا وجدد بناءه علـى احسـن صورة وسماه (البهجة) (١) ٠

وقصر البهجة هذا قد احتله ابراهيم باشا لدى حصار عكا واقام فيـه ، وعندما استيسر عبدالله باشا في ١٥ من ايار سنة ١٨٣٢م اخذه معه الى قصر البهجة ، ثم ارسله من هناك الى مصر (٢) ٠

تصحيـح

اما حمد البك وهو حفيد الشيخ محمود النصار المعروف بأبي حمد لا ابنه ، ثم هو ابن محمد البك لا اخوه ، ثم هو اخو اسعد البك لا عمه كما يذهب المؤلف الفقيه دون ان يرجع الى سلسلة النسب المتفق عليها من قبـل آل الاسعد وآل الصغير انفسهم كالحاج محمـد سهيـل وناصيف باشـا الاسعد وخليل بك الاسعد (٣) ٠

هل كان لحمد البك كيان سياسي يومئذ ؟ (سنة ١٨٣١م)

اما حمد البك هذا الذي نشأ نشأة ادبية متواضعة في مدرسة الشيخ حسن قبيسي ثم عرف بشعره وادبه كما عرف بزعامته ونفوذه السياسي بعـد انهيار الحكم المصري في سوريا ولبنان ٠٠ فانه لم يكن له كيان سياسي في هذه الفترة بين سنة ١٢٤٧هـ و ١٢٥٦هـ لا بين الموالين للسلطة الحاكمة ولا بين المعارضين لها كما يتضح من النصوص التي تشعرنا بان الشيخ حسين السلمان كان على رأس الموالين للامير بشير والحكم المصري (٤) ثم تؤكـد لنا بأن الشيخ حسين

١ ـ لاحظ ص ٢٩٧ من تاريخ ولاية سليمان باشا للمعلم ابراهيم العورة ٠

٢ ـ لاحظ ص ١٨ ج١ من حروب ابراهيم باشـا ، ثم ص ٦٥ مـن « بشير بين السلطان والعزيز » ٠

٣ ـ عن مخطوطة الحاج محمد سهيل من الفواقصة نسب آل الصغير واقروها ٠

٤ ـ الشيخ حسين السلمان هو حفيد الشيخ عباس المحمد اول مـن سـكن صور من آل الصغير ورمم سورها وجدد بعض ابنيتها وجعلها مركزا للمقاطعة التي كان يحكمها سنة ١١٦٥هـ ٠ ثم هو والد تامر بك الحسين منافس محمد بـك الاسعد على مديريـة مرجعيون وجبل هونين ٠

شبيب بن الشيخ فارس الناصيف كان على رأس المعارضين لسلطة الامير والحكم المصري ·

النصوص المعبرة

الشيخ حسين السلمان يشترك في اخماد ثورة النصيرية ١٨٣٤م

يقول المؤرخ سليمان ابو عز الدين :

« ··· اما اهل بيت ياشوط والسرامطة والقراحلة فامتنعوا عن التسليم ورابطوا على جسر السن الواقع بين جبلة وبانياس واتفق ان الشيخ حسين السلمان وصحبته سبعون خيالا من المتاولة جاؤوا قاصدين الانضمام الى العسكر فاعترضهم المرابطون على الجسر وقتلوا اثنين منهم واستولوا على بعض خيولهم (١) ·

حسين السلمان في حوادث سنة ١٨٣٩م

ويقول مؤلف مذكرات تاريخية :

« ··· وكانت الطرقات (حول دمشق) مربطة من كل وجه ، ومن الجملة (كان) في واحد درزي ساكن بالميدان اسمه الشيخ حسين جنبلاط فهذا لما نظر شبلي العريان من بعد عصاوتو صار دالي باش قدم جملة عروضة للحكم لكي يصير ضابط لكون المذكور ابن ناس (اشراف من الشوف) و (صار) شحاد للغاية · فالحكم لم قبل يفتح عليه هذا الباب ولم يجب لمسؤوله ، فالمذكور عمل له عزوة وتوجه الى ناحية سعسع وصار يخربط ويقتل وينهب حتى انه حضر للميدان (بدمشق) ونهب سبعين جمل وفاز فيهم ·

وبوقتها كان موجود في الشام مع الامير خليل (شهاب) رجل متوالي اسمه الشيخ حسين السلمان حاكم في بلاد المتاولة في بلاد بشارة من تحت يد الامير بشير ، فارسل معه الامير خليل كم زلمة من اهالي الجبل حشروه (حسين جنبلاط) في وعرة زاكية حوال (جوار) سعسع وصار الحرب فيما بينهم فقتل من جماعته اربعة انفار وانمسك هو مع احد عشر زلمة واحضروهم الى الشام مكتوفين وكان دخولهم نهار الاربعاء في ٢٨ حزيران سنة ١٨٣٩م · فلما وصلوا

١ – راجع ص ١٨٧ من تاريخ « ابراهيم باشا في سوريا» لسليمان ابي عز الدين ، ثم ص ٤٨ من حروب ابراهيم باشا ج١ للقس انطون الحلبي مستشار الامير بشير ·

الى السرايا قطعوا رؤوسهم اربعة في باب السرايا ، واربعة في الشاغور واربعة في الميدان (١) ·

* * *

ومن اخبار حسين السلمان في عهد الامير بشير شهاب يقول مؤلف فتوحات ابراهيم باشا « اعطى الامير بشير الامان لسبعة من الامراء المتهمين في الثورة (سنة ١٨٤٠م) اغلبهم من اخص اقاربه فجاءوا من تلقاء انفسهم الى بيت الدين ، وحال وصولهم جردوا من السلاح وزجوا في السجن فباتوا ضحايا النكث بالعهود ·

وفي ٢٧ تموز مروا بصيدا في طريقهم الى عكا تحرسهم ثلة من الجنود وسيقوا منها على ما يقال الى (سنار) وبعد ان سلبهم الامير خيولهم قدم لهم بغالا رديئة لركوبهم ، لكنهم اجبروا على دخول مدن صيدا وصور وعكا والخروج منها على اقدامهم » (٢) ·

ويقول مؤلف حروب ابراهيم باشا عن هذه الحادثة ما نصه : « في ٢٣ تموز – من سنة ١٨٤٠م – ارسل سعادة الامير بشير الذين حضروا للمحروسة (ابتدين) الى صيدا ومن هناك الى عكا صحبته اورطا نظام مع حسين سلمان وهذه اسماؤهم : الامير حيدر ، الامير علي ، الامير فارس ، الامير فاعور ، الامير محمود ، الامير يوسف ، الامير فارس · »

ثم يقول المؤلف نفسه : « وفي ٢٤ تموز – من السنة ١٨٤٠م – حضر راس احمد داغر الى ابتدين وذلك لان حسين سلمان مسكه في بلاد المتاولة وقتله » (٣) ·

كل ذلك كان امتثالا لارادة الامير بشير ، وقد روى لنا فايز بك الفضل من وجهاء آل صعب « ان حسين السلمان هذا كان يحمل صليبا في صدره تزلفا للامير بشير وحاشيته ؟؟ » ·

١ – لاحظ ص ٧٥ من « مذكرات تاريخية » وهو – على ما يقول الخوري قسطنطين الباشا – بقلم احد كتاب الحكومة الدمشقيين المعاصرين للحوادث والملمين بتفاصيلها والموقتين لها باليوم والشهر والسنة – وهو عبدالله نوفل على رأي الدكتور اسد رستم ·

٢ – لاحظ ص ٨٥ من فتوحات ابراهيم باشا ·

٣ – لاحظ ص ٤٦ ج٢ من حروب ابراهيم باشا ·

مقتل احمد داغر المتوالي الثائر

« ··· وفي ٢٤ تموز سنة ١٨٤٠م حضر رأس احمد داغر الى ابتدين وذلك لان حسين سلمان مسكه في بلاد المتاولة وقتله » (١) ·

هذه جملة من النصوص التي تثبت ان الشيخ حسين السلمان كان على رأس العامليين الموالين لعهد الامير بشير والحكم المصري ، اما النصوص التي تؤكد بأن الشيخ حسين شبيب بن الشيخ فارس الناصيف كان على رأس المعارضين الثائرين من العامليين فاليك مفصلها :

ثورة ابن الشيخ فارس الناصيف

وفي اوائل تشرين الثاني من السنة ١٨٣٩م رفع الشيخ حسين شبيب بن الشيخ فارس الناصيف لواء الثورة في بلاد بشارة من اعمال لبنان الجنوبي مطالبا برفع المتسلمين من بلاده واعادة الحكم اليه كما كانت الحال في عهد والده متعهدا بدفع الاموال وتقديم الغلال وصيانة الامن والعدل في بلاده في ظل الحكومة المصرية (٢) ·

– ٢ –

ثم رسالة من الشيخ محمود عبدالهادي مدير ايالة صيدا لشريف باشا عن حالة الثورة والثوار)

تشرف العبد بالامر الكريم المؤرخ في رمضان سنة ١٢٥٥هـ عدد ٣٥٤

يشير مفاده السامي جوابا عما اعرضه لدولتكم بخصوص مطاولة الشقي حسين شبيب ومن معه ، وانعمتم على عبدكم بأنه صدر امر دولتكم بارسال الامير مجيد

١ – لاحظ ص ٤٦ ج٢ من حروب ابراهيم للقس انطون الشرباني الحلبي مستشار الامير بشير في بتدين ·

٢ – لاحظ ص ١٧٢ من كتاب « بشير بين السلطان والعزيز » للدكتور اسد رستم · وهو كتاب ينسق الحوادث ويفصلها ثم يسندها الى ادق المصادق وامتنها صلة بالزمان والمكان والاشخاص مع شيء من المبالغة والانحياز للامير بشير · ومن مظاهر الانحياز في مؤلفه هذا زيادة هذه الجملة (من اعمال لبنان الجنوبي) فان بلاد بشارة يومئذ لم تكن تعتبر من لبنان ولا حدود لبنان كانت تمتد اليها قبل لانتداب الفرنسي سنة ١٩٢٠ ·

الشهابي وصحبته من عسكر الجبل ما ينيف عن خمسمائة نفر ومقدار ستون خيال باشبوزق اكراد واتراك لضرب الشقي المذكور ومن معه وتنكيلهم ، وامرتم باجراء المساعدة مع الامير المومى اليه ونعرض لسعادتكم عما يتم معهم باوقاته وحسبما امرتوه ورسمتوه صار قرين اذعان عبدكم ·· فنعرض لسعادتكم انه بتاريخ (١) الحاضر اذ كنت عبدكم موجود بقرية طرشيحا من اعمال الجبل لنجاز مطلوب الميري ففي تلك الليلة الساعة اربعة من الليل حضر لطرف عبدكم الشيخ سعيد عبد العال وبيده تحرير وارد له من الشقي المرقوم وضمنه تحرير لعبدكم وعند مطالعته وجد يلتمس الامان من الطرف الاشرف السر عسكري بحيث يصير رفع متسلمين بلاد بشارة والشقيف وجباع ، وهو يقوم بها بالخدمات المرضية ما عدا النظام ويكون الامان على دمه وسلاحه والذي يخصه ، ولا يدخل البلاد غريب ومظهر الميل لدخوله تحت نير الاطاعة ، فبوقته عبدكم عجبت من خسافة عقله بتطلباته الخارجة عن الطريقة ، ولاح لعبدكم لربما المذكور ملتمس هكذا اشياء املا للحصول على الامان فقط حيث محقق عند الجميع سطوة سيف دايم السعادة المعظم خصوصا على من هو نظير هذا الخبيث الخاسر ، فبالحال عبدكم حررت له جواب نصيحة وطمناه للاستجلاب واملته باحسانات ولي النعم وعرفته اذا كان لا يمكن الا بالامان من طرف دولته يفيدنا لكي نسترحم بطلب الامان وبالاستحسان صار ارسال الجواب المذكور صحبة الشيخ احمد مفتي القباسية واحد خيالة الميري مع المعتمدين الواردين من طرفه بالمكاتيب ، وجل المقصود بارسال المعتمدين هو لاجل الاطلاع على حالة ومقدار الاشقياء الموجودين معه وكيفية امره وقد تنبه عليهم ان يتجسسوا عن فعل المرقوم وكيفية منشأ هذا الفساد والتعصب الحاصل منه ومقدار الاشقياء الموجودين معه فوجدوهم يبلغون مقدار ستمائة نفر منهم اربعمائة وخمسين نفر بالبندق ومقدار مائة وخمسين نفر من غير سلاح فقط مع الواحد منهم فرد طبنجة وخنجر ويطقان ، والبعض بالعصي ، وانه بتلك الساعة التي كانوا بها عنده حضر لعنده سبعة عشر مسلحين من نواحي بعلبك ومعهم مكتوب له من الامير خنجر (الحرفوش) من تعلقات الشقي الامير جهجاه يخبره انه مسك شبلي العريان باطراف حماه وعلقه على عود · وانه وان كان لازم له معونة من الرجال ليرسل له ، وان المعتمدين المذكورين قد اطلعوا على المكتوب المذكور وشاهدوه عيانا كما وحضر لعنده واحد شقي يسمى درويش بعلبكي من بعلبك ومعهم كام نفر وانه من هذا الوجه صاير للمذكور جسارة على ارتكاب الفساد ، وقرروا المعتمدين ايضا ان المذكور بالابتدا كان منتسب معهم بالكلام فعند حضور المكتوب له مع انفار بعلبك المتقدم الشرح عنهم قويت براعته وصار يتلفظ باقوال خارجة عن الطريقة بقوله اذا كان لم يجاب لمسئوله والا يزداد

١ – لاحظ ص ١٧٢ من كتاب بشير بين السلطان والعزيز للدكتور اسد رستم ·

شقاوة حتى يسري ضرره على النواحي الموجود بهـا الان وخلافها ، فاقتضى اعراض ذلك لدولتكم وقد قدمت الاعراض للاعتاب السنية السر عسكرية بهذا الخصوص وعن صدور امر سعادتكم بارسال الامير مجيـــد الشهابي لضرب الشقي المذكور ومن معه وتنكيلهم وبحوله تعالى وحسن توجهات الانظار الشريفة يوقع هذا الخاسر ومن معه باليد ويجازوا مقابلة فعلهم والذي يتم من امر ذلك نقدم الاعراض لدولتكم عنه باوقاته طبق مفاد الامر الكريم ٠

* * *

ويقول المؤلف « وعلى ظهر هذه الوثيقة اشارة محررة بالتركي ترجمتها : لقد كتب الي المدير بعدم التخابر مع الشقي المذكور لانه في حالة المخابرة معه يتخذ الشقي ذلك سندا فينشره على الملأ ويجمع الاشقياء » ٠

ـ ٣ ـ

ثم رسالته من الامير مجيد الشهابي الى محمد شريف باشا مؤرخة فـي ١٠ رمضان ، هذا نصها)

« المعروض لاعتاب دولتكم انه بحسب الامر العالي قد وصل عبدكم الـى بلاد بشارة وبوصولنا الى قرية ميس تحققنا زيادة الشقاوة الحاصلة من حسين شبيب ومن معه وجميع مشايخ قرايا هذه الجهة تقدم له مهما طلب وقد كان بلغ جمهوره مائتين نفر ، وانه تلك الليلة موجود بمن معه في قرية تدعى يارون (٧) مسافة ثلاث ساعات من قرية ميس المذكورة لزم توجهنا قبل الضو بثلاث ساعات كبسنا محل وجوده فلم نجده وكان قد توجه الى قرية يارون ، ـ ولعل الكاتب لم يفرق بين قرية مارون وقرية يارون في القراءة وهما متجاورتان ـ فبالحاضر لحقنا خبره وعند وصولنا الى القرية المرقومة وجدناه توعر بجبال هذه الجهات التي لم ننظر مثلها فدخلنا الجبال بالعسكر وبقينا مجدين السير بطلبه الـى ان حصلناه واوقعنا عليهم القتال وبحوله تعالى وبسيف سطوة دولتكم قد وقع بهم النكال وشتتنا جمعهم وبقيو مهزومين قدامنا مسافة ساعتين فقتل منهم من قتل وانهزم من انهزم ولم يبق سوى الشقي ومعه خمسة انفار اوقاهم ظلام الليـل والذين بقيوا ولا نعرف اسماؤهم رجعوا ولا نعلم لمحلاتهم ام لا ، ثم ومن الجملة اخذ منهم مربوط وهو واصل والامر به لدولتكم واما من نحو الشقي ربما مـا عاد يقر له القرار وعبدكم ما زلنا نفحص عنه بالجد والجهد وان شاء الله تعالى وبتوجهات عواطف دولتكم نظفر به ٠ هذا ما وجب اعرضه لدولتكم افندم » ٠

واما من نحو عبيدكم العسكرية الذين بمعيتنا مع اشراح خاطر دولتكم ما حصل عليهم تنغيص سوى بعض مجاريح بالسالم » ٠

ـ ٤ ـ

عريضة من امضاء حسين شبيب مؤرخة فـي ٩ رمضان ومرفوعة الى الاعتاب السنية الخديوية)

* * *

« سلطانم رفيع الجناب فسيح الرحاب حميد المزايا كـريم الشيم افنـدم المعظم ادام الله تعالى وجوده الشريف)

المعروض الى اعتاب دولتكم تشرفنا بامركم الكريم فحواه السامي يشير بما فاضت به مراحم دولتكم من الامان ورأى من الطرف الاشرف افندينا السـر عسكر المعظم ويكون الامان على جميع ما حصل منا من دم ومال وغيره والامان لنا والى كل من يختص بنا على الدم والمال والسلاح ، ثانيـا باعطاء الثلاث مقاطعات عهدتنا والمعاش الذي كان بيدنا سابق واعطاء المقاطعات عهدتنا حسب شرط نامات السالفة كأيام والدنا المرحوم الشيخ فارس الناصيف ورفع المتسلمين والمعاش الذي كان بيد المرحوم فوق معاشنا استحق يقيم بحالنا وحال اتباعنا ، واني متعهد على موجب الاعراض الذي تقدم مني سابق بدفع الاموال والغلال بحيث ان لا يدخل الى البلاد واحد غيري ومتعهد بكل ضغط يحصل في الطرقات وغيره مما هو ضد رضى هذه الدولة السعيدة ، واني لا اواجه دولة ابدا مـن حيث رأينا الذي واجهوا كيف جرى بحالهم ، واما المطاليب من مال واغلال فانا متعهد بنجازها ودفعها تمام فهذا ما وجب اقتضى اعراضه لدولتكم افندم » ٠

تقرير من محمد منيب افندي الى ابراهيم باشا

« يفيد ان الغلال المفروضة على مقاطعة الشقيف في السنة الواحدة خمسة الاف ومئتا اردب وانه حصل « الجديد » منها تحصيلا تاما كما انه حصل مـن البقايا ٣٦٦ اردبا وانه لم يبق من بقايا سنتي ٥٢ و ٥٣ سوى ٥٦٧٨ اردبا وهو يرى الا يضغط على الفلاح لتحصيل الباقي لان الغلال قليلة لديه ٠

ويفيد ايضا « ان المبالغ الموجودة عنده من مـــال مقاطعة الشقيف ومن اقلام صيدا ٢٠٤٠٠٠ كيس » وانه اغتنم فرصة قيام سليمان باشا من صيدا الى بلاد بشارة لتأديب (حسين شبيب) فارسل هذه المبالغ مع سليمان باشا الى

خزينة عكا وذلك نظرا لتسلط حسين المذكور على المارة والمسافرين في ١١ رمضان » (١) ٠

على ضوء النصوص

وبناء على ما تضمنته هذه النصوص المتعددة فلو كان لحمد البك كيان سياسي بين الموالين للسلطة الحاكمة يومئذ لما ظهر على رأسهم الشيخ حسين السلمان دون غيره ؟ ولو كان له كيان سياسي بين المعارضين والثائرين لما ظهر على رأسهم الشيخ حسين شبيب سنة ١٨٣٩م ولما استطاع الشيخ حسين السلمان ان يقتل احمد داغر ويرسل برأسه الى قصر بتدين سنة ١٨٤٠م لو انه كان لحمد البك نفوذ شعبي وزعامة معارضة تسند الثائرين على السلطة كاحمد داغر – وهو من قادة الثوار في ضواحي بيروت وجنوب لبنان مثل ابي سمرة غانم البكاسيني (٢) ٠

فمقتل احمد داغر له دلالته الصريحة على ان حمد البك لم يكن له كيان سياسي مرموق في تلك الفترة من الزمن ٠

باي قوة حارب العامليون قوة الباشا والامير ؟؟

واذا ثبت ان حمد البك لم يظهر على المسرح السياسي في عهد المصريين، وان الشيخ حسين السلمان وكتلته من المتاولة المتنفذين في ذلك العهد كانوا منقادين لارادة الامير بشير وان الامير نفسه كان منقادا لارادة ابراهيم باشا ، او ثبت ان القوى الحربية الهائلة التي جاء بها المصريون الى عكا قد ارهبت الامير ومشايخ فلسطين واضطرتهم من بعيد لان يخضعوا ويقدموا الطاعة قبل ان يبدأ الحصار على عكا ٠

اذا ثبت كل ذلك فكيف اذن حارب مشايخ المتاولة ابراهيم باشا بعد حصار

---

١ – لاحظ ص ٢٦٦ – ٢٧٢ ج٤ من المحفوظات الملكية المصرية للدكتور اسد رستم ، وهو كتاب ينسق الوثائق الخطية والنصوص التاريخية والتقارير السياسية والعسكرية المحفوظة في الخزائن الملكية ثم يعرضها بدقة حسب ارقامها وتاريخ الوقائع التي تضمنتها ٠

٢ – لاحظ ص ٢٦١ – ٢٦٢ من تاريخ « ابراهيم باشا في سورية » لابي عز الدين ثم ص ٥٩٠ ٥٩٢ و٥٩٤ من « اخبار الاعيان » لطنوس الشدياق طبعة اولى ٠
ثم المصريون في لبنان : ص ٤٥٤ من مجلة المشرق البيروتية السنة ٣٠ مجلد ٣٢ ٠

عكا ؟ وعلى اي منطق سياسي او قوة حربية اعتمدوا حين تحفزوا لواقعة البهجة ؟

اصح القولين

ثم لاحظ بعد ان تلك النصوص الموضحة لثورة الشيخ حسين شبيب تخالف ما يرويه الشيخ علي سبيتي وامثاله من ان الشيخ حسين شبيب هذا من الاسرة الصعبية لا من آل الصغير وتدعو الى الشك والبحث عما هو اقرب للواقع ٠

ولكن بما ان تلك النصوص من الوثائق الرسمية والمخطوطات المحفوظة لدى سلالة محمد علي باشا محور تلك الحوادث ، وبما ان من تلك الوثائق عريضة بارزة بتوقيع الشيخ حسين شبيب ابن الشيخ فارس الناصيف الى محمد علي باشا ذاته ، ثم تقرير رسمي من مدير ايالة صيدا سنة ١٨٢٩ الشيخ محمود عبدالهادي لشريف باشا يلخص به تطور الحوادث في ثورة الشيخ حسين شبيب ٠

لذلك تعتبر هذه النصوص اقرب الى الصحة وادعى الى التصديق من رواية السبيتي الذي تجاهل – في مذكراته – كثيرا من الحوادث الهامة في تاريخ بلاده واجمل الباقي منها اجمالا يدعو الى الشك بتحريه للحقائق وبتركيزها واسناد وقائعها الى ذويها الحقيقيين ، وان من الحقائق التي تجاهلها الدور السياسي الذي مثله الشيخ فارس الناصيف بين سنة ١٢٢١هـ و ١٢٣٧هـ ثم الدور الذي لعبه الشيخ حسين السلمان في عهد الحكم المصري ، ومن الحقائق التي اجملها اجمالا ولم يفصل وقائعها تفصيل عالم بتاريخ بلاده قصة ثورة حسين شبيب وقصة القبض عليه الى غير ذلك من الفصول والنبذ التاريخية المقتضبة مما يجعل الباحث في حيرة من امره وخصوصا عندما تكون مصادره قليلة واطلاعه محدودا ٠ وكذلك القول فيما اورده الشيخ محمد مغنية في كتابه اذ كان ينقل عن السبيتي ويتأثر بما يرويه ويقوله هذا اذا لم ينقله بنصه ٠

حمد البك والثورة في سنة ١٨٤٠

يروى عن السيد عباس حسين ابراهيم من اعيان كوثرية السياد ، وكان من الحفاظ المعمرين الذين تتبعوا اخبار البكوات وتناقلوها حادثة بعد حادثة ويوما بعد يوم من اول عهد حمد البك الى اخر عهد خليل بك الاسعد ، يروى ان حمد البك قبل ان يتولى الحكم في جبل عامل كان فقيرا معدما الا من « كديشة » عجوز كانت تقله من بلد الى بلد ، واتفق ان نزل في ايام فقره عند مختار جويا وطلب من اجيره ان يربط له الفرس ويضع لها علفها ، فدخل الاجير على معلمه

فسأله عن الضيف فقال : هذا حمد طلب مني ان اربط له الكديشة في «البايكة» قال المختار « جعلها تنفزر على ألبو ، خذ له عشاء وترى الحاج محمد فرحات هناك ايضا فخذ لهما معا – والحاج محمد فرحات رجل يبيع الاقمشة على ظهره ففعل الاجير ما امر به وحمل اليهما رغيفين وقليلا من (بقلة الفول) فاكلا وبقيا يتحدثان قبل النوم ويتذكران تقلبات الدهر وغيره – وكانت الدولة العثمانية يومئذ بمساعدة دول اوروبا قد بدأت تتقوى على ابراهيم باشا المصري وتوزع السلاح على الاهالي وتحرضهم على الثورة ضده ، فأخذ نجمه بالافول وبدأ يتراجع – فقال له الحاج محمد فرحات ما معناه يا حمد ما قيمة هذه الحياة التي تحياها اليوم بطن الارض خير لك من ظهرها فما عليك لو جمعت اليك اليوم من يلبي نداءك من الاهل والاصحاب والرجال الاشداء وعملت على مساعدة الدولة العثمانية على هذا المصري فهو مهزوم لا محالة ، فعسى ان تبتسم لك الايام بعد عبوسها فترضى عنك الدولة وترفع شأنك ، فان وفقت الى ذلك كان لك ما ترجوه ، وان قتلت فالموت خير لك من البقاء على هذه الحال » فوقعت هذه الكلمات موقعا حسنا من نفس حمد وقصد السيد علي ابراهيم الكبير في الكوثرية يستشيره في ذلك فحبذ له هذا الرأي وشجعه عليه فذهب من عند السيد متحمسا يطوف البلاد ويحرض الاهالي ويجمع الانصار لما صمم عليه من ثورة . ومن هنا بدأت سياسة حمد البك تتطور وبدأت احواله تتحسن حتى اصبح شيخ مشايخ جبل عامل وهب العامليون يفدون عليه للتهنئة افواجا افواجا ، وعندما حان وقت الغداء وجلس الناس حول موائد الطعام التفت حمد البك الى الجالسين فلحظ رفيقه في ايام الفقر الحاج محمد فرحات فارسل خادمه وقال له قل لهذا الحاج ان ليس له طعام مع الناس ، ولما بلغه ذلك جزع واضطرب وبدأ يسأل نفسه عما قد يكون اساء به الى حمد البك . ولما فرغ الناس من الطعام دعاه اليه فدخل فوجده منفردا وامامه المائدة فطابت نفسه وقال له حمد تقدم يا حاج والتفت اليه يقول اتذكر اين اجتمعنا قال نعم يا سيدي عند مختار جويا سبحان من اخذ بتلك الايام واتى بهذه الايام ، ثم بعد ان اكل معه قضى له حوائجه واعاده الى اهله مكرما مسرورا » .

وعليه فان من يطمئن الى هذه الرواية ويتتبع سير التاريخ في هذه الفترة يرى ان حمد البك كان عصاميا في رياسته اذ لم يرثها عن ابيه او جده وانما استغلها من الظروف التي واتته سنة ١٨٤٠م ذلك بأن جده الشيخ محمود النصار المعروف بأبي حمد كان تابعا لاخيه الشيخ ناصيف النصار وقد قتل في حياته وفي سبيل طاعته سنة ١١٩٣هـ على ما يقول السبيتي (١) وبان والده

١ – العرفان ص ٢٣ – ٢٥ م٥ .

الشيخ محمد المحمود (المعروف بالبك) كان تابعا لابن عمه الشيخ فارس الناصيف شيخ مشايخ جبل عامل وقد توفي بحياته سنة ١٢٣٧هـ على ما يصرح به الركيني في مذكراته (١) ثم يبدو من تلك الرواية ايضا ان ثورة حمد البك كانت ثورة شعبية لا ثورة حاكم متسلط .. اما تحديد زمانها وبدايتها وظروفها بالدقة العلمية فلا سبيل اليه الا بان نلاحظ النصوص التالية :

الاستيلاء على صور

« وفي سنة ١٨٤٠م انتقلت السفن الحربية الى صور في ٢٤ ايلول واطلقت النار على حاميتها وشتتت شملها وانزلت جنودا الى البر في اليوم التالي فأتلفت المدافع واستولت على مقدار كبير من الحبوب وعلى بعض الذخائر (٢) .

الاستيلاء على صيدا

« وآنس الحلفاء من ابراهيم باشا الرغبة في التزام خطة الدفاع فقرروا مهاجمة صيدا بحرا واحتلالها فتزداد قوتهم المعنوية وتتسع مناطق اتصالهم باللبنانيين . وكانت القوة التي هاجمت صيدا مؤلفة من ثماني سفن حربية يقودها الكومودور نابيار ونحو الف مقاتل من الجنود البرية اما حامية المدينة فكانت تبلغ نحو ثلاثة الاف مقاتل . رست السفن في ميناء صيدا في ٢ ايلول وطلب قائدها من المتسلم تسليم المدينة فرفض فاطلقت السفن مدافعها على القلعة ، وثكنات الجنود ثم بعد ذلك على المنازل لوجود الجنود فيها او لانهم مختندقون وراءها فخربت منازل كثيرة وفي جملتها منزل سليمان باشا ، ثم انزلت الجنود الى البر فقاومتها الحامية مقاومة عنيفة وقاتلتها مستبسلة عند اختراقها المدينة واخيرا سلمت بعدما قتل قائدها الباسل حسن بك وعدد كبير من رجالها ، اما المهاجمون فخسروا اربعة قتلى و ٣٣ جريحا . وبعد ان تم فتح المدينة وضعت فيها حامية عثمانية ، ورجعوا شاكر الاسير متسلما فيها وانزل الاسرى الى السفن ونقلوا الى بيروت وبقيت بعض السفن الحربية تحت قيادة القبطان باركلي في ميناء صيدا وعاد الكومودور نابيار الى جونيه (٣) .

التحريض على الثورة

« واشتد ساعد الثوار وانقطعت المواصلات الساحلية ما بين الموانىء

١ – العرفان ص ٦٨٢ مجلد ٢٩ ج٧ .
٢ – ص ٢٨٤ من ابراهيم باشا في سوريا لسليمان ابي عز الدين .
٣ – ص ٢٨٥ من ابراهيم باشا في سوريا ثم ص ٥٥ ج٢ من حروب ابراهيم باشا في سوريا .

الباقية في ايدي المصريين وكان المستر وود واعوانـــه يحرضون الاهالي على الثورة والانحدار الى السواحل لتسلم الاسلحة والذخائر (١) ٠

احتضار السلطتين

« وكانت حكومة ابراهيم باشا والامير بشير في لبنـــان قـــد بلغت دور الاحتضار ففي تلك الآونة غادر الامير بشير قاسم ملحم معسكر المصريين القريب من بيروت وانضم الى معسكر الحلفاء في جونيه كما ان الامير بشير الكبير نفسه ابلغ الحلفاء سرا انه مستعد للانضمام الى صفوفهـم طالبا ان يعطـــى مهلة لاستدعاء اولاده وحفدته من معسكر ابراهيم باشا ، فاعطوه مهلة وقر الرأي على انه اذا لم ينضم الى الحلفاء في موعـد ضربوه لـه (وهو ثمانية ايام) يعزلوه ويولوا الامير بشير قاسم ملحم بدلا منه » (٢) ٠

عزل الامير بشير الكبير

« ولما انتهت المهلة في ٩ تشرين الاول دون ان ينضم الى الحلفاء ففي ذلك التاريخ صدر فرمان بعزله وتولية الامير بشير قاسم ملحـــم شهـــاب المعروف (بأبو طحين) مكانه » (٣) ٠

ارسال العساكر للنبطية وجباع

« وفي ٩ تشرين الاول الجمعة صعدت العســـاكر السلطـانية من صيدا بالمدافع الى النبطية وجباع وعددهم الفا جندي (٤) » ٠

تطـوع المتـاولة

ثم هذا النص من تقرير قنصل النمسا في صيـــدا سنـــة ١٨٤٠ م السيد انطون كتافاكو الى السيد لوران المستشار والقنصل العام النمســاوي بـتاريخ ١٠ تشرين الاول سنة ١٨٤٠ تحت عنوان « تطوع المتاولة » « نزل بالامس (أي في ٩ تشرين) مشايخ المتاولة للدخول في طاعة الدولة العثمانية وتسلم السلاح وهذا يحملنا على التفكير لانهم ما احجموا حتى الان الا خوفا من الامير بشير،

١ ــ ص ٢٨٦ من ابراهيم باشا في سوريا ٠
٢ ــ ص ٢٨٧ من ابراهيم باشا في سوريا ٠
٣ ــ المصدر نفسه ص ٢٩٠ ٠
٤ ــ لاحظ ص ٥٨ ج٢ من حروب ابراهيم باشا في سوريا ٠

أنسب ذلك الى فقدان نفوذه ام الى تبدل طرأ على خطته ؟ ان الايام كفيلة بكشف هذا السر (١) » ٠

اننا حين نرجع الى هذا النص الاخير وننعم النظر في تفسير محتواه على ضوء الروايات والنصوص التاريخية المتقدمة ، نشعر ان ثورة حمد البك ومـن سار في طريقه من مشايخ جبل عامل ووجوهه وفتيته انما بدأت في هذا التاريخ، أي بعدما ضربت صور وصيدا من البحر وبعد ان احتلها الحلفاء (من العثمانيين والنمساويين والانكليز) ووزع فيها السلاح على الاهالي ، وبدأ الجيش المصري يتراجع وحكم الامير بشير ينهار ويتلاشى والعسكر العثماني يتغلـغل في قرى جبل عامل ومدنه ٠

ومن عوامل الثورة

أضف الى هذه العوامل رغبة الدولة العثمانية في ضرب الجيش المصري ومطاردته لدى الانسحاب ثم اصرارها على عزل الموالين للامير بشير عن الحكم الى حرصها على كسر شوكتهم ودحض ميولهم لاعادة حكمه وحكم اسرته ، كل هذه الاعتبارات هيأت لحمد البك ان يظهر على المسرح السياسي وأن يلعب دوره في حكم جبل عامل وفي خدمة الدولة العثمانية عسكريا وسياسيا ٠ فثورة حمد البك ـ اذا صح التعبير ـ انما بدأت بحافز من الظروف ودافع من الحكم الجديد ورغبة من القوى الظافرة لاستئصال اجهزة الحكم المنهار والسلطة المنهزمة كما يبدو من سير الامور واضطراب الاوضاع ٠

استغلال الثورة عسكريـــا

٠٠ ومن ملاحظة ان جيش ابراهيم باشا لم يكن يقل عن ستين الف جندي لدى انسحابه من سوريا ، وان جيش الحلفاء الذي أتى لمطـاردة جيش ابراهيم باشا لم يكن يتجاوز ثمانية آلاف مقاتل (٢) وهي بجملتها لا تكفي لحماية المراكز الادارية في المدن والارياف من الفوضى والاضطراب او مما قد ينشأ من تعديات الجيوش المنهزمة الناقمة ٠

لهذا كانت الدولة وحلفاؤها بحاجة ماسة الى قوى شعبية تعزز بها قوى جيشها لمطاردة جيش ابراهيم باشا وصيانة البلاد من الثورات المضادة وخصوصا عندما تسلم الجنرال (جقموس باشا) قيادة جيش الحلفاء (تركيـا وبريطانيـا والنمســا) ونقل مركز قيادته الى صفد في ٦ ذي القعدة ودعـا باسم الـدولة

١ ــ لاحظ ص ٩١ من فتوح ابراهيم باشا ٠
٢ ــ لاحظ ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ من تاريخ ابراهيم باشا في سوريا ثم ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ منه ٠

وحلفائها حكام المقاطعات للانضمام الى جموعه في صفد استعـــدادا لمطاردة الجيش المصري ومضايقته عندما يجتاز فلسطين بطريقه من سوريا الى مصر (١) ولهذا كان لثورة العامليين مع حمد البك قيمتها العسكرية لدى الدولة وحلفائها وكان لحمد البك مكانه في طليعة المدعوين من قبل جقموس باشا كما يتضح من هذا الخطاب الذي أرسله جقموس باشا الى حمد البك :

« افتخار العشائر الكرام حضرة متسلم بلاد بشارة بك عالي قدر حفظه الله قبل تاريخه اصدرنا لجنابكم اوامر كافية بشأن سرعة توجهكم نواحي صفد ومن حيث وردت لنا اخبار الان عن عزم ابراهيم باشا بالقيام من الشام والمرور مـــن نواحي جسر بنات يعقوب اقتضى والحالة هذه اسرعنا باصدار امرنا تــكرارا لجنابكم لكي بحال وصوله اليكم تقوموا حالا بجميع خيـــلكم وزلكم الى صفد ومتى بلغكم قدوم ابراهيم باشا سواء كان من نواحي جسر بنات يعقـــوب او من جسر المجامع يلزم منكم بالحال والساعة تسرعوا بكامل جيوشكم لضربه وتتبعوا آثاره اينما توجه وتبطشوا به وبالاكثر ليلا ولا نقبل لكم ولا عذر كليا عــن عدم قيامكم عاجلا حيث هذه آخر الوقعات ونحن بحوله تعـــالى عازمين على القيام بالذات لصفد ولا يلزم زود تأكيد عن ذلك ، اعتمدوا امرنـــا هذا والله تعـــالى يحفظكم » ـ انتهى ـ في ٦ ذا سنة ١٢٥٦ هـ ٠

التوقيع (٢)

ما يلاحظه الباحثون

لا شك بأنه وردت لحمد البك رسالة من قائد جيوش الحلفاء كي يلتحق مع رجاله ببقية الجيوش التي استدعاها هذا القـــائد لضرب جيش ابراهيم باشـــا البالغ عدده على أقل تقدير خمسين الف جندي مدرب ومسلح بالاسلحة الحديثة، أما أن يكون نص الرسالة على هذا النحو من الاعتمـــاد الكلي على العامليين وحدهم في ضرب جيش ابراهيم باشا ٠٠ فذلك نوع من الغلو والاستهتار لا يكاد يتصوره عاقل عادي فضلا عن قائد محنك كجقموس باشا (٣) يعقل الامور ويقدر قوة الجيش المصري (بمعداته ورجاله وقادته) ويعرف كيف حطم الجيش التركي الكبير الذي قاده أحمد حافظ باشا على حدود سوريا في منطقة قرب نزب سنــة ١٨٣٩ (٤) لهذا نرجح بأن هناك تلاعبا غير محكم في نص هذا الخطاب وفي نقل

١ ـ لاحظ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٤ من ابراهيم باشا في سوريا ٠
٢ ـ لاحظ مقدمة ديوان الاسعد ص ٣٢ ـ ٣٤ ثم ابراهيم باشا في سوريا ص ٣٠٢ ـ ٣٠٤
٣ ـ هو الجنرال البارون اوغوستوس فون برقموس الالماني العامل في صفوف العثمانيين كما يعرفه الدكتور اسد رستم ص ٢٢٠ من بشير بين السلطان والعزيز ٠
٤ ـ لاحظ ص ١٥٨ ـ ١٦٨ من المصدر نفســـه ثم ص ٢٣٥ ـ ٢٤٦ مـــن ابراهيم باشا في سوريـــا ٠

عبارته : ثم ان تفسير بعض مؤرخينا الكرام للرمز بتاريخ (٦ ذا) يعني ٦ اذار هو تفسير خاطيء ذلك بأن جيش ابراهيم باشا كان في ٦ آذار قد خرج من حدود سوريا وأصبح كله داخل الاراضي المصرية كما يتضح من تأكيد المؤرخين على ذلك (١) وبأن نص الرسالة المؤرخة في (٦ ذا) يشير الى انها بعثت لحمد البك في الوقت الذي بدأ جيش ابراهيم باشا ينسحب من دمشـق نحو الاردن ، وهذا الوقت يتفق تماما مع ذي القعدة سنة ١٢٥٦هـ لا مع ٦ آذار (٢) وبأن الكتاب في ذلك العصر كانوا يؤرخون بالتاريخ الهجري والاشهر العربية وكانوا للاختصار في الكتابة يرمزون لاسم كل شهر بحرف خاص فكانوا يرمزون على هذا النحو ـ م ـمحرم ، ص ـ صفر ، را ـ ربيع الاول ، ر ـ ربيـع ثاني ، جا ـ جمادى الاول ، ج ـ جمادى الاخرة ، ب ـ رجب ، ش ـ شعبـان ، ن ـ رمضان ، ل ـ شوال ، ذا ـ ذو الحجة ٠ وربما أشاروا بحرف (ق) الى ذي القعـدة ، وكانوا يسمون هذه الحروف بحروف الذاكرة ويجمعونهـا هكـذا (مصرارجاج بشن لذاذ) (٣) ٠

ثورة ولكن بدون قتـال

مما لا شك فيه ان حمد البك قد نزل مع مشايخ المتاولة وشبابهم الى صيدا وتسلم السلاح من قادة الحلفاء في ٩ تشريـن الاول وأعلن الثورة (٤) ومما لا ريب فيه انه لبى نداء قائد جيوش الحلفاء جقموس باشا وسار بالعامليين الى صفد وقد يكون بلغ في سيره عكا ويافا والناصرة وشفاعمر، ولكن من يستقرىء المراجع التاريخية الاصيلة ويتحرى الحوادث العسكرية والظـروف السياسيـة يشك ويرتاب بأن يكون حمد البك أو غيره من الزعماء العامليين قد خاض حربا مع المصريين وانصارهم او اشتبك معهم في معركة ما في ارض فلسطين وجبل عامل ٠٠ ذلك بأنه اذا لاحظنا ان صيدا وصور وقرى جبل عامل قد احتلها جيش الحلفاء قبل ان ينتهي اليوم الذي تسلح فيه مشايخ المتاولة وأعلنوا ثورتهم كما قدمنا ، وبأن مشايخ فلسطين وجبال نابلس لم يكونوا بحاجة الى من يثيرهم او يخلصهم من حكم ابراهيم باشا وهم أول من ثاروا عليه في سوريا سنة ١٨٣٤، على انهم لم يستسلموا للاتراك الا بعد الاستيلاء على عكا ويافا سنة ١٨٤٠م ،

١ ـ لاحظ ص ٣٠٨ من ابراهيم باشا في سوريا ٠
٢ ـ لاحظ ص ٢٣٣ من كتاب مذكرات تاريخية ٠
٣ ـ لاحظ ص ٧ ـ ٨ ج(١) من الاصول العربية في تاريخ سوريا للدكتور اسد رستم ٠
٤ ـ لاحظ فتوح ابراهيم باشا ص ٩١ ٠

كما يبدو من ملاحظة الحوادث (١) وبان عكا وحصونها قد اخذت من البحر بمدافع الاسطول وفتحت من البر بالجيش النظامي وقيادة عمر باشا النمساوي (٢) ٠ فاذا اضفنا الى هذه الملاحظات ان ابراهيم باشا حين سحب جيشه من سوريا جمعه اولا في معلقة زحلة ثم سحبه الى دمشق ثم ذهب به من دمشق الى شرق الاردن (٣) ثم الى مصر (٤) متجنبا المرور بفلسطين وشفاعمر وصفد وغيرها من المناطق التي حشد بها جقموس باشا جموع العامليين واللبنانيين الذين تحفزوا لمطاردة الجيش المصري (٥) وعليه فمتى يكون حمد البك قد حارب جيش ابراهيم باشا وهو لم يلتق به في جبل عامل وفلسطين ولا برميش ووادي الحبيش وصفد ولا بشفاعمر والناصرة وطبرية ؟؟

لنطمئن الى بقية المزاعم والى ما يقال من ان حمد البك عندما اعلن الثورة اصطدم بالامير مجيد شهاب عند جسر القعقعية ورده عن الهجوم على جبل عامل (٦) مع ان حمد البك انما تسلح واعلن الثورة في الوقت الذي عزل فيه الامير بشير ونفي الى مالطة وفي الوقت الذي كان حفيده الامير مجيد مطاردا في شمال البقاع ثم ظل بحماية الجيش المصري الى ان فر من بعلبك الى صيدا وارسل الى حيث نفي جده بشير في مالطة (٧) او ما يقال من ان حمد البك بعد معركة القعقعية سار الى حمص وانضم الى الجيش العثماني القادم من حلب (٨) مع ان حلب وحمص منذ ان احتلهما ابراهيم باشا في ٩ صفر سنة ١٢٤٨هـ الى ان خرج من سوريا في ٦ ذي القعدة سنة ١٢٥٦هـ لم يدخلها جيش عثماني قط ليسارع حمد البك وينضم اليه في حمص (٩) ٠ او لنطمئن الى ما يقوله شعراؤنا ومؤرخونا العامليون من ان قائد الجيش العثماني في حمص سنة ١٢٥٦هـ عهد الى حمد البك بمطاردة الجيش المصري في جنوب جبل عامل فعاد من حمص واشتبك مع المصريين في رميش ووادي الحبيش ، وشفا عمر وفلسطين

١ _ لاحظ ص ٢٩١ _ ٢٩٤ من كتاب ابراهيم باشا في سوريا وص ٢١٤ من كتاب بشير بين السلطان والعزيز ٠
٢ _ لاحظ ص ٢١٢ _ ٢١٤ من بشير بين السلطان والعزيز ثم ص ٢١٩ _ ٢٣١ من الاصول العربية في تاريخ سوريا ج٥ لاسد رستم ٢٩١ _ ٢٩٤ من ابراهيم باشا في سوريا ٠
٣ _ لاحظ ص ٦٦ ج٢ من حروب ابراهيم باشا في سوريا وص ٢٣٣ من مذكرات تاريخية ٠
٤ _ ص ٢٢١ من بشير بين السلطان والعزيز ، ثم ص ٣٠٣ من ابراهيم باشا في سوريا ٠
٥ _ ص ٣٠٢ _ ٣٠٤ من ابراهيم باشا في سوريا ٠
٦ _ ص ١٨٦ من جبل عامل في التاريخ وص ١٥٠ من تاريخ جبل عامل ٠
٧ _ ص ٩١ من فتوح ابراهيم باشا ، ثم ص ٢٩٠ من ابراهيم باشا في سوريا ثم ص ٢٤٥ _ ٢٤٦ ج٢ من اخبار الاعيان للشدياق ، ثم ص ٢٠٤ _ ٢١٤ من بشير بين السلطان والعزيز ثم ص ٦٦ ج٢ من حروب ابراهيم باشا في سوريا ٠
٨ _ لاحظ ص ١٥١ من تاريخ جبل عامل وص ١٨٧ من جبل عامل في التاريخ ٠
٩ _ لاحظ ص ٦٣ _ ٦٥ ثم ص ٢٣٣ من مذكرات تاريخية ٠

والاردن (١) مع ان هذا الذي يقوله شعراؤنا ومؤرخونا العامليون لو اخذناه بيتا بيتا ورواية رواية ثم حللناه على ضوء الحوادث التي محصها المؤرخون الاعلام لبدا لنا منه ان شعراءنا كانوا يعددون اسماء المنازل التي نزل بها حمد البك في ذهابه الى فلسطين وفي ايابه منها ويحيطونها بهالة من الصور الحماسية بحيث يخيل للقارىء ان تلك المنازل هي اسماء لمعارك وملاحم دامية خاضها حمد البك مع الجيش المصري لا اسماء لاماكن خاصة ينزل بها كل من يمر بتلك الطرق التي مر بها حمد البك ٠٠ ثم لبدا لنا ان المعارك المزعومة لا تتفق مع ما يراد لها من واقع تاريخي يرضي ميولنا ؟

اين الخيال الشعري من الواقع التاريخي

خذ مثلا على ذلك قول الشيخ حبيب الكاظمي :

ولك السطوة اورت زندها   في فلسطين فاكفيت اللهاما
رات التسليم منها سلما   منك ينجيها فوافتك اعتصاما
ورئيس القوم ولي مدبرا   حين الفى قسور الحرب اماما
وعلى الاردن منك انتفضت   ردن الموت هجوما واقتحاما
ولكم اشفيت قلبا موجعا   في شفاء عمر واحييت رماما
ثم اطلقت اسارى او غلت   في الحشا نارا وللدمع انسجاما
هكذا من لرضا سلطانه   يجعل الاعداء اشلاء حطاما

خذ هذا الشعر ثم اقرنه بتفسير المؤرخ الفقيه لبعض الابيات حيث يقول « الاردن هو النهر المعروف وعلى ضفافه جرت معارك دامية بين حمد البك وبين جيوش المصريين فهزمهم ، وشفاعمرو اسم لبدة بالقرب من عكا وفيها وقعت معركة بين حمد البك والجيش المصري ايضا فكانت الغلبة له عليهم ، ويشير بقوله (ثم اطلقت اسارى) للاسرى الذين تولى حمد البك اطلاقهم من سجون عكا (٢) ، الا يبدو لك من هذا الشعر ومن هذا التفسير ان فلسطين وعكا انما استسلمت لحمد البك لا لاسطول الحلفاء الذي دكها من جهة البحر ولا للجيش العثماني الذي طوقها من البر ، وان رئيس الجيش المصري انما ولى منهزما من سطوة حمد البك ايضا وان حمدا هو نفسه الذي اطلق الاسارى من سجون عكا؟

مع انك لو قارنت هذه المزاعم بما محصه المحققون من تاريخ الاستيلاء على عكا وفلسطين وارسال الاسرى منها لبيروت والاستانة ، ثم تعيين الحكام لعموم المناطق الفلسطينية لما شككت بما تنص عليه الروايات التالية :

١ _ لاحظ ص ١٨٧ من جبل عامل في التاريخ ثم ص ١٥١ من تاريخ جبل عامل ٠
٢ _ لاحظ ص ٩٣ من جبل عامل في التاريخ ٠

الاستيلاء على عكا

« في اواخر تشرين الاول سنة ١٨٤٠م تلقى السر روبرت ستيفورد اوامر حكومته بالاستيلاء على عكا وفي ٢٩ منه استقر الرأي علـــى حشـد القوات البحرية وبعض الجنود البرية حولها ، فصدر الامر الى عمر بك ان يتقدم بـــرا من صيدا الى نقار عكا (الناقورة) بألفي مقاتل ، وفي ٣١ منه اقلع الاميرال من بيروت بسفنه ومعه ثلاثة الاف مقاتل من الاتراك تحت قيادة سليم باشا وبعض رجال المدفعية والهندسة وجنود الاحتلال البحريين فوصل عمر بك الـــى المكان المخصص له في نفس الوقت الذي اقبلت سفن الاسطول على عكا في ٢ تشرين الثاني ، لكن مجرى الرياح لم يكن ملائما للسفن في ذلك اليوم فارجىء ضرب المدينة الى اليوم التالي»وكانت قوات الحلفاء البحرية مؤلفة من واحد وعشرين سفينة حربية منها سبع عشرة سفينة انكليزية ، اما حامية عكا فكانت مؤلفة من خمسة الاف مقاتل وكان محمد علي قد اهتم بتحصينها تحصينا محكما من جهة البر فقط • وفي الساعة الثانية بعد ظهر ٣ تشرين الثاني ابتدأ الهجوم على عكا فسلطت جميع السفن قذائف مدافعها على المدينة واسوارها فكان مشهدا جهنميا، ورغما عن بسالة الحامية وقيام رجال المدفعية بدفاع مجيد لم يكن في طاقة احد من البشر الثبات طويلا في وجه المقذوفات الهائلة ونيرانها الآكلة التي استمرت الى ان خيم الليل وهي تنصب من افواه اربعماية وسبعين مدفعا عـــلى موقع لا يزيد طوله عن ثلاثة الاف وثلاثماية قدم وعرضه عن الف وخمسماية قدم ، وقد روي ان احدى سفن الاسطول الانكليزي انفقت في هذه الموقعة ماية وستين برميلا من البارود ، ومما زاد نكبة المدينة هولا ان قذيفـــة اصابت مخـــزن الذخائر (الحربية) فانفجر انفجارا مريعا فنسف ما فوقه نسفا في طبقات الجو ودمر ما جاوره من الابنية وكان في ما اتلفه نحو الف وخمسماية من النفوس (وقيـــل ثلاثة الاف) اكثرهم من جنود الحامية • اما حاكم المدينة فانسحب منهـــا ليلا مع بعض الجنود والاتباع على ان الحلفاء لم يدخلوها الا في صباح اليوم التالي وقد انجلت الموقعة عن نحو الفين ما بين قتيل وجريح من حامية المدينة وثلاثـــة الاف اسير ارسل بعضهم الى بيروت والبعض الاخر الـــى الاستانة ووقع في ايدي الحلفاء مقادير عظيمة من الاسلحة والذخائـــر والمـــؤن وحـــل بالمدينة وتحصيناتها ومدافعها من التعطيل والتدمير ما يفوق وصف الواصفين • وبعد الاستيلاء على المدينة اقيمت فيها حامية عثمانية مؤلفة من ثلاثـــة الاف مقاتل بقيادة سليم باشا ومايتين وخمسين من رجال الاحتلال البحريين ثـــم انسحب الاسطول من الميناء تاركا سفينتين اثنتين لمعاونة حامية المدينة عند اللزوم •

استسلام يافا وخضوع جبال نابلس

« على اثر سقوط عكا في ايدي الحلفاء سلمت حامية يافا وقدم النابلسيون خضوعهم وصار الانقلاب عاما » (١) •

تعيين الحكام لعموم المناطق الفلسطينية

وعلى اثر ذلك اسرع قائد القوات العثمانية محمد سليم باشا الى استغلال الموقف فحرر الى وجوه فلسطين واعيانها بما تم له في عكا وقال فـــي المرسوم الذي وجهه الى الشيخ عبد الرحمن ابي عوش في قرية العنب ـ طريـــق يافا القدس ـ « نهار امس تاريخه قد نشرت اعلام الدولة العلية على اسوار عكا اذ قد حضرنا اليها بحرا بالعساكر الظافرة واستولينا عليها في ظـــرف ساعتين ونصف واعلنا الامان فيها الى الجميع وكشف الله عن ابصار الفين وطلب الامان ثلاثة الاف » • وعين محمد عزت باشا والي صيدا الجديد محمد افندي حمدي قاضي القدس قائمقاما من قبله لادارة شؤون فلسطين موقتا ولارهاق العساكر المصرية والقاء القبض على اسماعيل بك فاتخذ القاضي القائمقام اجراءات عدة ـ منها تثبيت اعضاء مجلس شورى القدس وتعيين حسن اغا المجري تفكجـــي باشي ، واحمد اغا مراد طوبجي باشي ، والشيخ صبيح سوكه شيخا على بيت لحم والشيخ عطا الله محمود عريقات ناظرا على ناحية الوادي وعرب التعامرة والشيخ اسماعيل السمحان ناظرا على ربع جبل القدس ، وفعل ما يماثل هـــذا في مقاطعات غزة ويافا والخليل ونابلس وجنين وشفا عمر وغيرها » (٢) •

مكابرة الواقع

ثم خذ بعد ذلك قول الشيخ علي سبيتي مفاخرا ومتحمسا بلسان حمد البيك :

لنـــا يـــوم الحبيس وأي يـــوم منعنا شوس مصـــر ان تناما (٣)

وقبـــلا يـــوم حمص لـــو ترانـــا اثرنـــا نقع حـــرب قـــد اغامـــا

١ ـ ص ٢٩١ ـ ٢٩٤ من ابراهيم باشا في سوريا •

٢ ـ لاحظ ص ٢١٢ ـ ٢١٤ من بشـير بين السلطان والعزيز ثـــم ص ٢١٩ ـ ٢٣١ ج٥ من الاصول العربية في تاريخ سوريا لاسد رستم •

٣ ـ وادي الحبيس احد الوديان التي يمر بها نهـر القرن في جنوب بـــلاد بشارة وشمال فلسطين عند قرى سحمانا ، والبقيعة ، وبيت جن ، راجع ص ١٩١ ج١ مـــن يوميات الرحالة روبنصن تعريب سـمير شيخانـــي • والابيات من القصيدة التي طلبها احمد البيك من السبيتي لترسل باسم حمد الى السلطان عبد المجيد :
لاحظ ص ٦٩٨ من مخطوطة الشيخ محمد مغنية (جواهر الحكم) •

الاستيلاء على عكا

« في اواخر تشرين الاول سنة ١٨٤٠م تلقى السر روبرت ستيفورد اوامر حكومته بالاستيلاء على عكا وفي ٢٩ منه استقر الرأي على حشد القوات البحرية وبعض الجنود البرية حولها ، فصدر الامر الى عمر بك ان يتقدم برا من صيدا الى نقار عكا (الناقورة) بألفي مقاتل ، وفي ٣١ منه اقلع الاميرال من بيروت بسفنه ومعه ثلاثة الاف مقاتل من الاتراك تحت قيادة سليم باشا وبعض رجال المدفعية والهندسة وجنود الاحتلال البحريين فوصل عمر بك الى المكان المخصص له في نفس الوقت الذي اقبلت سفن الاسطول على عكا في ٢ تشرين الثاني ، لكن مجرى الرياح لم يكن ملائما للسفن في ذلك اليوم فارجىء ضرب المدينة الى اليوم التالي ،وكانت قوات الحلفاء البحرية مؤلفة من واحد وعشرين سفينة حربية منها سبع عشرة سفينة انكليزية ، اما حامية عكا فكانت مؤلفة من خمسة الاف مقاتل وكان محمد علي قد اهتم بتحصينها تحصينا محكما من جهة البر فقط . وفي الساعة الثانية بعد ظهر ٣ تشرين الثاني ابتدأ الهجوم على عكا فسلطت جميع السفن قذائف مدافعها على المدينة واسوارها فكان مشهدا جهنميا، ورغما عن بسالة الحامية وقيام رجال المدفعية بدفاع مجيد لم يكن في طاقة احد من البشر الثبات طويلا في وجه المقذوفات الهائلة ونيرانها الآكلة التي استمرت الى ان خيم الليل وهي تنصب من افواه اربعماية وسبعين مدفعا على موقع لا يزيد طوله عن ثلاثة الاف وثلاثماية قدم وعرضه عن الف وخمسماية قدم ، وقد روي ان احدى سفن الاسطول الانكليزي انفقت في هذه الموقعة ماية وستين برميلا من البارود ، ومما زاد نكبة المدينة هولا ان قذيفة اصابت مخزن الذخائر (الحربية) فانفجر انفجارا مريعا فنسف ما فوقه نسفا في طبقات الجو ودمر ما جاوره من الابنية وكان في ما اتلفه نحو الف وخمسماية من النفوس (وقيل ثلاثة الاف) اكثرهم من جنود الحامية . اما حاكم المدينة فانسحب منها ليلا مع بعض الجنود والاتباع على ان الحلفاء لم يدخلوها الا في صباح اليوم التالي وقد انجلت الموقعة عن نحو الفين ما بين قتيل وجريح من حامية المدينة وثلاثة الاف اسير ارسل بعضهم الى بيروت والبعض الاخر الى الاستانة ووقع في ايدي الحلفاء مقادير عظيمة من الاسلحة والذخائر والمؤن وحل بالمدينة وتحصيناتها ومدافعها من التعطيل والتدمير ما يفوق وصف الواصفين . وبعد الاستيلاء على المدينة اقيمت ذيها حامية عثمانية مؤلفة من ثلاثة الاف مقاتل بقيادة سليم باشا ومايتين وخمسين من رجال الاحتلال البحريين ثم انسحب الاسطول من الميناء تاركا سفينتين اثنتين لمعاونة حامية المدينة عند اللزوم .

استسلام يافا وخضوع جبال نابلس

« على اثر سقوط عكا في ايدي الحلفاء سلمت حامية يافا وقدم النابلسيون خضوعهم وصار الانقلاب عاما » (١) .

تعيين الحكام لعموم المناطق الفلسطينية

وعلى اثر ذلك اسرع قائد القوات العثمانية محمد سليم باشا الى استغلال الموقف فحرر الى وجوه فلسطين واعيانها بما تم له في عكا وقال في المرسوم الذي وجهه الى الشيخ عبد الرحمن ابي عوش في قرية العنب – طريق يافا القدس – « نهار امس تاريخه قد نشرت اعلام الدولة العلية على اسوار عكا اذ قد حضرنا اليها بحرا بالعساكر الظافرة واستولينا عليها في ظرف ساعتين ونصف واعلنا الامان فيها الى الجميع وكشف الله عن ابصار الفين وطلب الامان ثلاثة الاف » . وعين محمد عزت باشا والي صيدا الجديد محمد افندي حمدي قاضي القدس قائمقاما من قبله لادارة شؤون فلسطين موقتا ولارهاق العساكر المصرية والقاء القبض على اسماعيل بك فاتخذ القاضي القائمقام اجراءات عدة – منها تثبيت اعضاء مجلس شورى القدس وتعيين حسن اغا المجري تفكجي باشي ، واحمد اغا مراد طوبجي باشي ، والشيخ صبيح سوكه شيخا على بيت لحم والشيخ عطا الله محمود عريقات ناظرا على ناحية الوادي وعرب التعامرة والشيخ اسماعيل السمحان ناظرا على ربع جبل القدس ، وفعل ما يماثل هذا في مقاطعات غزة ويافا والخليل ونابلس وجنين وشفا عمر وغيرها » (٢) .

مكابرة الواقع

ثم خذ بعد ذلك قول الشيخ علي سبيتي مفاخرا ومتحمسا بلسان حمد البيك :

لنا يوم الحبيس وأي يوم ... منعنا شوس مصر ان تناما (٣)
وقبلا يوم حمص لو ترانا ... اثرنا نقع حرب قد اغاما

---

١ – ص ٢٩١ – ٢٩٤ من ابراهيم باشا في سوريا .

٢ – لاحظ ص ٢١٢ – ٢١٤ من بشير بين السلطان والعزيز ثم ص ٢١٩ – ٢٣١ ج٥ من الاصول العربية في تاريخ سوريا لاسد رستم .

٣ – وادي الحبيس احد الوديان التي يمر بها نهر القرن في جنوب بلاد بشارة وشمال فلسطين عند قرى سحمانا ، والبقيعة ، وبيت جن ، راجع ص ١٩١ ج١ من يوميات الرحالة روبنصن تعريب سمير شيخاني . والابيات من القصيدة التي طلبها احمد البيك من السبيتي لترسل باسم حمد الى السلطان عبد المجيد :
لاحظ ص ٦٩٨ من مخطوطة الشيخ محمد مغنية (جواهر الحكم) .

واقرنه بتفسير المؤرخ الفقيه وقوله حرفيا عن يوم حمص « وهي الوقعة التي اشترك فيها حمد البك مع الجيش التركي في حمص في مقابلة الجيش المصري وكانت الغلبة لهم على المصريين » (١) .

ثم ارجع لتاريخ ابراهيم باشا في سوريا منذ ان دخلها سنة ١٢٤٧هـ الى ان خرج منها سنة ١٢٥٦هـ ، تجد المؤرخين يجمعون على ان يوم حمص مع الجيش المصري كان يوما واحدا لم يتكرر وان معارك هذا اليوم كانت هزائم منكرة للجيش العثماني واتباعه ونصرا مبينا للجيش المصري واشياعه (٢) وعليه فكيف ساغ لشاعرنا السبيتي ان يفاخر بما جرى في هذا اليوم ونحن اولى بغض الطرف عن كل ما جرى فيه لئلا نتهم بجهلنا للتاريخ او نتهم بمكابرتنا للواقع ؟؟

شعر الملق والتقليد لا يعبر عن الحقيقة

ومما يزيدنا شكا بشعر المدح والرثاء من الوجهة التاريخية ، علمنا بأن جل الشعراء او كلهم في ذلك العصر لم يكونوا بقصائد المدح والرثاء - يعبرون عن شعورهم وايمانهم بما يقولونه وانما كانوا - بحكم التقليد او الضرورة - يتصورون لكل من يمدحونه او يرثونه الاوصاف والمناقب التي تعجبه او تعجب ذويه ويضيفونها اليه ولو لم تكن تلك الاوصاف والمناقب قريبة من واقع الممدوح او منسجمة مع تاريخ المرثي ، ولهذا كان منطقهم في حال اليأس والقنوط يختلف عن منطقهم في حال الرجاء والطمع كما يبدو من المقارنة بين قصيدة الشيخ حبيب الكاظمي تلك التي يقول فيها مادحا حمد البك :

حلب الدهر به ضرع الندى ... فارتوى صوبا وما استسقى الغماما
موئل اللاجي مناخ المرتجي ... صيب الجدوى نوالا واعتصاما (٣)

وبين هذه القصيدة (النونية) التي يعاتبه فيها ويستغفر مما قاله في مدحه ويشكك بكل ما توهمه من ثناء واطراء :

يا بيك عندي للعتاب لسان ... فيه لغيرك صارم وسنان
وافى اليك (الجاعدون) بنظمهم ... شعرا له تتعاكف الديدان
فحبوتهم منك الجزيل ولم تزل ... تحبوهم ما جادك الامكان

١ - لاحظ ص ١٩٥ من جبل عامل في التاريخ .
٢ - لاحظ ص ٨١ - ٨٤ من بشير بين السلطان والعزيز وص ٩٥ - ١٠٠ من ابراهيم باشا في سوريا ، ثم ص ٦٢ - ٦٥ ثم ص ٢٣٢ من مذكرات تاريخية .
٣ - لاحظ ص ٣٤ من مقدمة ديوان الاسعد .

وجعلت بينهم وبيني قسمة ... يعنو لها الانصات والاذعان
لهم الغباوة والفسالة والعطا ... والفضل لي والمدح والحرمان
هذا الذكاء وذا العطاء وهذه ... شيم الكرام وهكذا العرفان ؟
انت الحكيم بكل ما تأتي به ... ما رسططاليس وما لقمان ؟
واصح ما الفيت ان وعودكم ... مثل السراب ومثلي الظمآن
تغرى بنا الاوهام في اطماعها ... حرصا على الموهوم وهو عيان
ان خاب منجزها اعادت ثانيا ... فكأنما مرغوبها الخسران
فالله يجزي عنكم اوهامنا ... خيرا وجاد شبابها الريعان
لكم بها حسن الثناء مؤبدا ... ولنا بهن مذلة وهوان
ولقد سألتك بالذي فلق النوى ... وبمن اتى في حقه القرآن
الا اجبت عن السؤال فانني ... انا للجواب العاطش الغرثان
ان لم تكن لي في الحياة وانت في ... زمن له في راحتيك عنان
فهل ادخرتك للمعاد اذا سعى ... بي مالك اوصدني رضوان
ام في غد في القبر انشد مدحكم ... للمنكرين فينتهي رومان
ام في الصراط تمدني بفوارس ... فتهابك النيران والخزان
ولعل رأيك ان تكون مواصلا ... في يوم لا دنيا ولا سكان ؟
بعناكم دينا لنشرى منكم ... دنيا فلا الدنيا ولا (...) الايمان
هذا جزاء الطامعين بانهم ... خانت بهم اوهامهم اذ خانوا (١)

من الطرائف التاريخية

وبعد اليس من الطرافة بمكان ان يقول مؤلف جبل عامل في التاريخ « ان الدولة العثمانية اهدت لحمد البك سيفا مرصعا بالجواهر باسم الحضرة السلطانية وان يكون مصدر هذا القول وسنده قول الشاعر الكاظمي في مدحه :

حيث الفاك حساما قاطعا ... حادث الخطب فاهداك حساما

لا نستغرب ان تهدي الدولة لحمد البك سيفا ، وقد تكون اهدته له فعلا بمناسبة من المناسبات ، ولكن الذي نستغربه ان يكون مصدر هذا القول وسنده لدى مؤرخنا المفضال هو هذا البيت الذي ارسله الشاعر ضمن الابيات التالية في مدح حمد البك :

واصطفاك الملك عينا ويدا ... وحباك المجد نصرا واحتشاما
حيث الفاك حساما قاطعا ... حادث الخطب فاهداك حساما

١ - لاحظ ص ٢٣ - ٢٥ ج ٢٠ من اعيان الشيعة .

وقد اختارك درعا سابغا فجنى المثل بمثليه اعتلاما (١)

فهذه الابيات ان دلت على شيء فانما تدل على ان السلطان لما راى المدوح حساما قاطعا في الحوادث الجسام – اي ذا حزم وعزم في تصريف الامور – ارسله حساما قاطعا للاعداء وبتارا للخطوب ، كما اصطفاه عينا لمراقبة الاعداء وحركاتهم ، ويدا لضربهم ودفعهم ، واختاره درعا وحصنا لصون الملك من طوارىء الحدثان ، فجنى السلطان بارسال المدوح سيفا وباصطفائه عينا ويدا ، وباختياره درعا ، جنى ضعف ما كان أمله منه ، وذلك بما كان من مواقفه الحاسمة الجريئة في رميش والاردن وشفا عمر وفلسطين التي ادت الى دحر الاعداء . فتحويل معنى الابيات عن هذا التصوير الخيالي الرائع الى ما قصده المؤرخ يحط من قيمتها الشعرية ويجعل كل بيت منها نابيا عن الاخر اذ يجعل من الصور الشعرية المتقاربة بمعانيها بعضا منها مجازا وبعضا حقيقة وواقعا . فيجعل من قوله (واهداك حساما) حقيقة وواقعا ، ومن قوله (واصطفاك الملك عينا ويدا) وقوله (وقد اختارك درعا سابغا) خيالا ومجازا.. وهذا بعيد كل البعد عما يقصده الشعراء الذين يهمهم جمال الصور الشعرية ودقتها وانسجامها مع بعضها اكثر مما يهمهم ان تكون واقعا نابيا عما حوله ، او حقيقة فجة تافهة من الوجهة البيانية .

اوضح مثل لمعارك حمد البك

لقد نسب شعراؤنا ومؤرخونا العامليون الى حمد البك معارك كثيرة صرحوا باسمائها وحددوا مواقعها ولكنهم مع ذلك لم يفكروا في تصوير تلك المعارك بظروفها وملابساتها على نحو من الاجمال او التفصيل يوضح للقارىء مدى صحتها وحقيقتها وهل كانت بمظاهرها وحوادثها واقعا حربيا ام كانت مجرد مظاهرات ومناورات لم يتسن لها ان تتحول الى معارك وملاحم دامية ، كما يبدو من وصف الشيخ محمد علي عز الدين ليوم حمد البك على الاردن ، ذلك اليوم الذي عناه الشيخ حبيب الكاظمي بقوله :

وعلى الاردن منك انتفضت ردن الموت هجوما واقتحاما (٢)

واشار اليه علي بك الاسعد بقوله :

١ – لاحظ مقدمة ديوان الاسعد ص ٢٥ .
٢ – مقدمة ديوان الاسعد ص ٣٦ .

وفي قدس والخيط دانت قبائل وقد نازعتها للطواغي النوازع
فما استيقظت الا بصهل خيوله (١) وما راعها الا الرماح الشوارع
وخطية ملس البطون مراشة بكف اسود جربتها الوقائع
وكل مسود يحمل الموت كفه اذا ارتطمت بالدراعين الاجارع
وكم مثل ذا من وقعة بعد وقعة تسير بها الايام فهي ودائع (٢)

وقال عنه العلامة الشيخ محمد علي ما نصه)

« وفي سنة ١٢٦٨هـ رجت حوران واللجا وجملة من طائفة الدروز واجتمعوا في اللجا وتوجه رئيس العساكر الشامية الى حربهم وانفذ امرا الى رئيس عشائر بلادنا حمد البك بن محمد النصار في ملاقاتهم فوجه الاوامر الى البلاد في تجهيز العساكر وامتنع عليه جملة من اولاد العشائر خوفا على بلادهم من انهم اذا خرجوا منها يأتيها العدو . وفي اثناء ذلك دخلت سنة تسع وستين وكان ابتداؤها يوم الجمعة فانه كان اول المحرم وما مضت منه ايام حتى غزا جملة من العرب البلاد فجاؤوا الى قرية الخيام وساقوا جملة من الغنم ووقعت الغلبة على اهل الخيام واتصل ذلك (٣) بتامر بك فلم يقدر على اللحاق بهم ، وفي اليوم الثامن من المحرم غزا جماعة من العرب طرف البلاد من جهة مقام نبي الله يوشع فاستاقوا جملة من الغنم التي لزبيد طائفة من العرب وكانوا قد نزلوا مرج قدس واخذوا ثلاثة حمير لاهل قدس فجاءهم اهل عثرون وبعض المغاربة النازلون بديشوم واهل قدس ووقع بينهم وبين الغزاة حرب فقتل ستة من الغزاة ورجل فارس ، وجرح من اهل البلاد اثنان ومن المغاربة اثنان وجاء الخبر الى حمد البك وكان قد عسكر في سهل الخاز من ارض تبنين فأمر بنقل المعسكر الى عين قدس ثم مضى بعد ذلك الى ارض الخيط وخيم على جسر المجامع (٤) وانتهب جملة من خيل عرب الاويس ، ولما انقادوا له ردها اليهم ، وبقي على الجسر اياما ثم كر راجعا الى قدس وجاء الخبر من رئيس العساكر بوقوع الصلح بينه وبين اهل اللجا بعد ان وقع بينهم حرب في بلدة تسمى ازرع » (٥) .

هذا اصح وصف واوضحه ليوم حمد البك على الاردن فهل يشعر منه

١ – الضمير في خيوله يعود الى حمد البك والمراد بالخيط الارض الواقعة بين بحرة الحولة وجسر بنات يعقوب على الاردن .
٢ – لاحظ قصيدة علي بك الاسعد العينية ص ٣٥٩ ج٤١ من اعيان الشيعة .
٣ – وفي نسخة رضا : وجاء الصوت الى تامر بك .
٤ – الاصح جسر بنات يعقوب .
٥ – مخطوطة سوق المعادن للعلامة عز الدين ص ٦١ ثم مجلة العرفان ص ٧٩٦ مجلد ١٠ .

القراء بوقوع حرب على الاردن ام ان تحرك حمد البك من تبنين الى الاردن – كغيره من التحركات – لم يتجاوز حدود المناورات الارهابية ؟ ..

استغلال الثورة سياسيا

عندما عين عمر باشا النمساوي على جبل بنان سنة ١٢٥٨هـ بدلا من الحكام الشهابيين ورفض جل نصارى لبنان الاعتراف به – كاجراء دائم – واصروا على اعادة الامراء الشهابيين للحكم (١) تساندهم فرنسا (٢) عند ذلك الحت الدولة العثمانية على رفض اعادة الشهابيين الى الحكم تعاضدها بريطانيا (٣) وسعى الحكام العثمانيون بشتى الطرق والوسائل للفوز بتأييد الاهالي لهذا الرفض ، ومن هذه الوسائل انهم وسعوا صلاحية حمد البك وعززوا نفوذه وطلبوا منه – اسوة بغيره من الاقطاعيين – ان يجمع التواقيع على العرائض المحررة في مدح الحكم العثماني المباشر واسترحام الدولة العلية في ان تصون البلاد من الحكم الشهابي الجائر ومن اعادة شبحه المخيف اليهم ، كما يبدو من تصريح وزير الدولة العثمانية – في مفاوضة سنة ١٨٤٣م عن الحوادث والاسباب التي دعت الى تعيين عمر باشا حاكما للبنان ، اذ قال لممثلي الدول الاوروبية ما نصه :

« انه لما كانت قد حدثت اضطرابات في جبل لبنان رأى الباب العالي من الموافق ارسال السرعسكر مصطفى باشا الى ذلك الصوب منذ نحو ستة اشهر ووكل اليه الاشراف على حالة الشؤون واتخاذ التدابير والتحوطات المناسبة فخلع السرعسكر الامير بشير قاسم من منصبه وارسله الى الاستانة وولى مكانه عمر باشا ، وان ممثلي الدول الخمس احتجوا على عدم موافقه هذا العمل وطلبوا ان يحسب هذا التعيين وقتيا والحوا ايضا بوجوب حفظ طريقة الاحكام القديمة ، ونصحوا الباب العالي ان يعيد الحكم الى الاسرة الشهابية وانه على اثر هذه المساعي ابلغ هو الممثلين المشار اليهم اعتماده على ارسال مندوب الى سوريا مفوض بالتحري عن مجرى الامور حتى بعد عودته تتخذ طريقة الحكم الواجب وضعها في لبنان ، وان سليم بك قام بالمهمة الموكولة اليه ورفع للباب العالي بيانا عن نتيجتها مشفوعا باربع عرائض موقعة من المشايخ الموارنة وغيرهم من اهالي جبل لبنان » (٤) .

١ – لاحظ ص ٣٧ من الحركات في لبنان ثم ص ٢٦٤ – ٢٦٦ ج١ من المحررات السياسية .
٢ – ص ٢٤٧ – ٢٥٠ من المحررات ج١ ثم ص ٢١٥ من المحررات ج٢ .
٣ – ص ٢٨٨ من المحررات ثم ص ٢١٥ ج٢ منه .
٤ – المحررات السياسية ج١ ص ٨٨ .

المناقشة مع الوزير

وبعد ان تليت العرائض تكلم سفير انكلترا – ولعل الاصح سفير فرنسا – فقال : ان البيانات التي انفذت اليه من سوريا مخالفة للتي تلقتها الحكومة العثمانية وزاد ان تلك البيانات تثبت ان العرائض التي ارسلها مصطفى باشا استحصلت بالوعد والوعيد وان لديه ما يدعو الى الاعتقاد ان رصفاءه تلقوا من قناصل دولهم رسائل مماثلة لهذه فصدق سائر السفراء قوله ، فاجاب ناظر الخارجية : ان العرائض تثبت صدق تقارير السرعسكر ومطابقتها للحوادث وموافقة ابقاء طريقة الحكم الجديد في لبنان تحت ولاية باشا تركي لان فيه ضمان راحة الاهالي ورفاههم وهما منتهى الغاية التي يسعى الى تحقيقها الباب العالي والدول ، وفي رأيه ان الاهالي مجمعون على رفض ولاية الاسرة الشهابية لما ان عودها يكون سببا لاستئناف القلاقل ، وان الباب العالي اضطر الى استعمال سلطته لمنع جمهور كبير من اهالي لبنان عن الشخوص الى الاستانة لاقامة الدعوة على الامير بشير الكبير بما انزل فيهم من المظالم وضروب الاستبداد والاثرة (١) .

مصدر العرائض

في ٣ جمادى الاخرى سنة ١٢٥٨هـ كتب علي بك خزينة دار مصطفى باشا الى حمد البك احد حكام المتاولة الرسالة التالية :

« جناب افتخار الاماجد الكرام اخينا المكرم حمد البك حفظه الله تعالى ، غب ابلاغ التحية والسؤال عن خاطركم بكل خير وعافية المبدي لخوتكم انه بحسب الاعتماد على صداقتكم واستقامتكم الاكيدة ، والان توجه لكم تحرير من عربي كاتبي الخواجا جبرائيل العورة فبوصوله لديكم تعتمدوا ماله وتظهروا همتكم المعهودة باتمام العمل طبق تعريفه لكم وتهتموا بنجازه وارسال الجواب لطرفنا بالجبل بحيث مرسلكم يلحقنا اينما كنا ان كان في المتن او في زحلة او بلاد جبيل وحسب عهدنا الوثيق بصداقتكم باقرب وقت تتمموا المصلحة طبق التعريب ودمتم » (٢) .

علي بك خزينة دار

« محل الختم »

١ – المصدر نفسه ص ٨٩ – ٩٠ .
٢ – لاحظ ص ٩٩ ج١ من المحررات السياسية .

الاسلوب والوسيلة لتوقيعها

« سني الهمم سلطانم »

غب تقديم الدعاء بدوام بقاكم نعرض الان واصل طيه فرخين ورق كبير على بياض وصورة عرض محضر الى حد الورق البياض فيه الكتابة وعلامة محلات الاسماء والختوم فالقصد بذلك ان بحال وصوله تحرروا العرض محضر وتنهضوا الغيرة التامة بتختيمه من مشايخ المتاولة جميعهم ومن مشايخ القرايا الاسلام والنصارى في،مقاطعة تبنين وساحل معركة وهونين وساحل قانا ومرجعيون والشقيف وجباع غير ان لا تدعو احدا من مشايخ العشائر ومشايخ القرايا اسلام ونصارى الا وتختموه وبالخصوص تجتهدوا على تكثير اسماء النصارى والذي ما له ختم تدعوه يعمل ختم ويختم واتخذوا كل الفنون والنباهة المعهودة منكم لما به البولتكة والتنازل لكائن من كان بحيث لا تخلوا احد من وضع اسمه وختمه ٠ وهذه تعد لجنابكم عند دولتهما (مصطفى باشا وعلي بك) من اعظم الخدمات المقبولة وتحوزوا الرضى الوافر فوق ما تؤملونه وهذا وقت اكتساب الفرصة » (١) ٠

جبرائيل العورة

(محل الختم والتوقيع)

صورة العرض المراد توقيعه

انه كما مشهور وصار مشاهد ومحقق بالعيان من وجود ادارة الدولة العلية في حكومة لبنان فقد حصلت اهالي الجبل المذكور عموما على غاية الامنية والراحة والعدل والانصاف بنوع انهم من حينما تخلصوا من ادارة الامير بشير الشهابي واولاده واقاربه خصوصا الامير امين والامير بشير قاسم وابناء عمهم وانسبائهم واعوانهم واتباعهم الذين املوا الجبل المذكور وجوارته نظير بلادنا وغيرها من البلاد المجاورة لهم من التعديات والمظالم المتنوعة فقد خرجت الاهالي والسكان بوجود ادارة الدولة العلية من العتم الى النور ومن دهر الظلم والجور الىساحة العدل والامانفنظرا الى عدالة الدولة وانصافها الذي عم العالم باسره فمقتضى عدالتها وانصافها المرحمة بحق عبيدها ورعاياها بدوامهم في ادارة احكامها وعدم اعادة احكام الشهابيين بوجه الاطلاق بل ولا واحد من اهالي الجبل لا اسلام ولا عيسيون عملا بمرضاة الباري تعالى جل

---

١ المصدر ذاته ص ٩٩ ـ ١٠٠ ج١ ـ من المحررات السياسية ٠

جلاله لرحمة عبيدها ودوام استخلاصهم لعتقهم من احكام الشهابيين ومظالمهم المتنوعة واتباعا للحديث الشريف كلكم راع وكل مسؤول عن رعيته ، وحيث انوجد نحن من المجاورين للجبل ولنا الاطلاع التام على احواله واخذنا وعطانا مع الجبل وفي الجبل المذكور كثير فان ذات ادارة احكام الدولة العلية في جبل لبنان تعمنا من الامان والراحة ، وان لا سمح الله تعالى تغير ذلك بضده فنحصل على الاتعاب والمشقات لاجل ذلك بسطنا الان عرض عبوديتنا هذه نسترحم بها من الاحسان الملوكانية والمراحم الشاهانية النظر لعبيد ورعايا الدولة العلية بعين المراحم والاشفاق وابقاء احكام الدولة العلية في جبل لبنان وعدم النظر والالتفات الى حركات المفسدين الذين يسعون بسلب راحة وامنية عموم الاهالي والفقراء ويدبرون عرضحالات التزوير بالتماس ارجاع احكام الشهابيين لان ذلك موافق غاياتهم الردية ومغاير انصاف وعدالة الدولة العلية وحاشاها ان تهمل دوام راحة رعاياها وعبيدها وتنظر لتزوير هؤلاء والامر لمن له الامر افندم (١) ٠

الخصام بين بيت الزين وحمد البك

ما زال الناس في جبل عامل حتى اليوم يرددون كلمة حمد البك المأثورة « لو استطعت لحذفت حرف الزين من المصحف » ليستدلوا بها على مدى خصومة حمد البك لبيت الزين ، ولكنني حتى اليوم لم اجد في كل ما لدي من مخطوطات عائلية كلمة واحدة تشعر بأن هناك خصومة او فتورا ما بينهم وبين حمد البك ، وانما وجدت في كل ما عثرت عليه قصيدة لجدنا الحاج سليمان الزين (صهر الحاج قاسم الزين) يمدح فيها حمد البك مدحا يشف عن حسن الظن وحسن العلاقة بحمد البك ٠

ثم اني في كل ما قراته من كتب التاريخ وفي كل ما بحثت عنه من اخبار حمد البك لم اجد ما يدل على شيء من مظاهر هذه الخصومة واسبابها وملابساتها الا ما يرويه العلامة السيد محسن في اعيان الشيعة حيث يقول :

« لما كان حمد البك حاكما في تبنين توجه الحاج قاسم الزين العاملي مع جملة من وجوه البلاد وشيوخها شاكين لوالي الشام ـ حين حضر لبيروت ـ من حمد البك ، وقالوا ان العشائر وعلى رأسهم رئيسهم حمد البك فضلا عن ظلمهم وتعديهم على الفقراء والفلاحين قد اتلفوا المزروعات بالصيد والقنص ، وحملوا معهم شيئا من الزرع المتلف واروا الوالي اياه فصدر امر الوالي بعزل حمد من المديرية ، وعرضتها الحكومة على سائر العشائر من الصعبية والمناكرة فما قبلها احد احتراما لحمد ٠

---

١ ـ المحررات السياسية ص ٩٩ ـ ١٠١ ج١ ٠

وكان هناك رجل يسمى الشيخ حسين مروة في النبطية يتزيا بزي اهل العلم فلما سمع بذلك قبلها واقيم مديرا مكان حمد ، ولكن الشيخ كان يتعمم بعمامة بيضاء على زي اهل العلم وكان الرسم انه اذا ركب الحاكم تضرب النقارات امامه فعيب عليه في ذلك كثيرا وظهر منه ومن خيالته ظلم زائد ، ثم ان حمد ذهب لمواجهة الوالي ورجع ومعه البوردي بتعيينه مديرا بعد ستة اشهر تولاها الشيخ حسين مروة وتوفي (١) ·

وحيث يروى فيما نشر بعد وفاته من الاجزاء « ان الشيخ علي زيدان (من معركة) كانت بينه وبين عائلة بيت الزين اختلافات على اراضي واملاك واتصلت لولاة الامور وحصل التشكي على امير جبل عاملة حمد البك بسبب انه منع بيت الزين عن الشيخ وصدهم واقره على الارض المدعى عليها ونصره واخذ بيده لذلك حقدوا على البك المشار اليه وتشكوا عليه لبيروت وتفصيل هذا يطول شرحه » (٢) ·

● ما يلاحظه الباحثون

تروى هذه الاخبار وتنشر ولا تجد هناك من يوازن بينها او يتساءل عما اذا كانت الدولة قد عزلت حمد البك لحقد بيت الزين عليه ؟ ام عزلته لانه كان محقا في مناصرته للشيخ علي زيدان على بيت الزين ؟ ام عزلته لتحققها من صحة شكوى بيت الزين وصدق المآخذ التي اخذ بها خصمهم ؟؟

وكذلك لا يوضح لنا المؤلف ولا المحقق في الرواية الاخيرة عما اذا كان خصام الشيخ علي زيدان مع مواطنيه من زينية معركة ام خصامه مع زينية شحور (موطن الحاج قاسم الزين) ام كان خصامه مع جميع بيت الزين في عاملة ؟؟

فان خصامه مع مواطنيه من زينية معركة وحدهم لا يستوجب حقد زينية شحور ولا حقد وجهاء البلاد الذين اشتركوا مع الحاج قاسم الزين في الشكوى على حمد البك ثم لا يوجب على الدولة ان تطمئن لشكواهم وتؤثرهم على ممثلها في حكم البلاد وتعزله عن الحكم وخصوصا حين يكون محقا في مناصرته للشيخ علي زيدان على اخصامه من زينية معركة ·

كما ان خصام جميع بيت الزين للشيخ والبك معا ليس بالامر الطبيعي ذلك بأن الارض التي هي سبب الخصام – على ما في الرواية – لا يعقل ان يكون لكل زيني – من معركة وغيرها فيها حصة وسهم يدعو الى حقد صاحبه على الشيخ

١ – لاحظ اعيان الشيعة ج٢٨ ص ١٠٣ ·
٢ – اعيان الشيعة ج٤٢ ص ١٨٥ ·

وعلى البك وخصوصا اذا لاحظنا انه لم يكن للارض يومئذ قيمة عند الناس ولا كانت بعد ممسوحة باسم احد من الاهالي · على انه اذا اريد لهذا الخصام – بين حمد البك وآل الزين – ان يكون صادرا عن سبب ملحوظ له ما يبرره من تاريخ الاسر الاقطاعية فلنبحث اذن عن مدى حساسية الحكام والزعماء الاقطاعيين وعن مدى انفعالهم ازاء من كان يعترض سبيلهم او يخالف تقاليدهم وميولهم او ينافسهم على مغنم او جاه او فلنلاحظ عوامل ثقتهم ومظاهر خصومتهم حين ينتقمون وحين يخاصمون ثم عن اساليبهم لتصفية الحساب ووسائلهم للنيل ممن يخالف نزعاتهم او يخشون مغبة جرأته ونفوذه لدى الحكام واهالي البلاد ·

وما علينا لكي نلمس الحقائق ونتبينها الا ان نقرأ تاريخ الامير حيدر جد الشهابيين الاول في لبنان حين بلغه ان احد ابناء عمه في حاصبيا قد عرف بالنجابة واصبح له سيرة حسنة بين الناس ترشحه للرياسة وتشكل خطرا على مستقبل الامير حيدر سياسيا واجتماعيا او سيرة حفيده الامير يوسف مع اخويه الامير فندي وسيد احمد او مع خاليه الامير اسماعيل ، والامير بشير وتعرف لماذا قتل من قتل منهم ولماذا سمل عيون الاخرين ؟

او تعرف سيرة الامير بشير الكبير مع الذين قتلهم غدرا والذين سمل عيونهم والذين صادر املاكهم وشردهم واضطهدهم من الامراء والمشايخ والمناصب وغيرهم من ذوي الشأن في البلاد ؟

او سيرة اجداد آل الصغير مع الحكام من آل شكر حين اصبحوا – بتعاظم سطوتهم ونفوذهم – يشكلون خطرا على نفوذ غيرهم من ال الصغير ؟ او سيرة آل الصغير مع بعضهم حين يتنافسون على الجاه والمال وكراسي الحكم ·

ويكفينا من ذلك ان نلم بموقف علي بك الاسعد من تامر بك الحسين،او بموقف كامل بك الاسعد من عبد الكريم الخليل حين اصبح الخليل – بما قد ناله من حضوة لدى بشوات الاتراك وقادة العرب وشبابهم المثقف – منافسا خطيرا يخشى من مستقبله السياسي على زعامة البكوات الموروثة ·· او بما كان من موقف السيد احمد الاسعد تجاه معاصريه من اعيان البلاد وساستها حين يخالفون نزعاته وميوله السياسية او يخشى مغبة نفوذهم ·

وحسبنا دليلا وشاهدا بموقفه ، من المع انصاره في سياسة الجوب الاستاذ علي بزي فمع ان السيد بزي بذل اقصى جهده ونفوذه في وزارة الداخلية لخدمة مصالح الاسعد ومصالح انصاره ومؤيدي سياسته · بيد انه لم يكد يستقيل من الوزارة ويترشح للنيابة اعتمادا على وفاء الاصدقاء – حتى انبرى السيد الاسعد (بكل ما لديه من وسائل وطاقات) يعمل على اخفاق السيد بزي وتحطيمه سياسا واجتماعيا لا لشيء الا لانه قبل باسناد وزارتي الداخلية والانباء اليه في عهد

الامير فؤاد شهاب بدون سابق علم او تفويض من قبل السيد الاسعد ؟؟

وعليه فما كان حمد البيك ليختلف عن غيره من زعماء الاقطاع حساسية وطبعا وسلوكا ليقف من آل الزين موقف الحامد الشاكر وهو يرى ان الحاج طالب الزين قد تجاوز الحد واستخف بتقاليدهم المرعية وقبل بمنصب (متسلم) مدينة صور اثناء حكم ابراهيم باشا المصري على سوريا لدى الغائه النظم الاقطاعية واقصائه الاقطاب من آل الصغير عن حكم بلاده بشارة (١) ٠

ثم ان يرى ـ بعد زوال الحكم المصري ـ الحاج قاسم الزين يجمع وجوه البلاد العامليين ويقدم للباشا التركي شكاية على حمد البيك ـ في عنفوان حكمه ـ تؤدي الى اقالة البيك من منصبه وعزله عن الحكم ٠

فان مثل هذه المحاولات والحوادث التي كانت تنبه حساسية المتزعمين وتقلق بالهم ، جديرة بان تثير غضب حمد البيك وسخطه على آل الزين الى الحد الذي يحمله على اطلاق كلمته المأثورة الشائعة لا لاجل ما يرويه الرواة عن تعدي آل الزين على قطع من ارض قرية معركة تخص انصار البيك ، وقد استطاع بما كان له من سلطان وجاه ان يردعهم عنها ويردها الى ايدي مستغليها ٠

هذا كل ما يسعني ان اقوله هنا واترك البحث والتمحيص والقول الفصل لمن يتسنى لهم ان يبحثوا ويمحصوا ويقولوا كل شيء في هذا الموضوع دون ان يتهموا في نزاهة اقوالهم وتجرد منطقهم وميولهم القبلية ٠

تبنين في عهد حمد البك
سنة١٨٥٢

يقول الفيلسوف الرحالة الدكتور ادورد روبنصون في رحلته التاريخية ـ يوميات في لبنان ـ ما نصه « ٠٠٠ ووصلنا الى تبنين الساعة الثانية والدقيقة الاربعين (والعاشر من نيسان سنة ١٨٥٢ ـ يقع حصن تبنين على اعلى ظاهرة من الحرف (حرف الجبل) ويشرف من الشمال على وادي العين ـ عين المزراب ـ وعلى حوض الارض الذي ينزح الى الوادي نفسه من الجنوب الغربي والجنوب ، اما القرية تبنين فتقع على ظهر وطيء من الحرف الى الجنوب الغربي من الحصن وتقع المقبرة العمومية بين القرية والحصن ، تمر عليها طرق كثيرة ، فتظل القبور موطىء اقدام السابلة :

« ضربنا خيمتنا على العشب بالقرب من البيادر في بقعة حبتها الطبيعة موقعا يشرف على مناظر جميلة جذابة واقعة الى الجهة الجنوبية تحت الحصن تماما ،

١ ـ لاحظ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ من العرفان م٤١ ، ثم ص ١٥٧ من تاريخ صيدا ، ثم ص ٢٣ من تاريخ قلعة الشقيف للعلامة سليمان ظاهر ٠

وبينما نحن منهمكين في ضرب الخيمة تقدم منا رجل انيق اللباس عرفنا منه انه مسيحي ووكيل عائلة المشايخ القاطنين في القلعة ، جاء يدعونا للنزول في بيته في القرية ، اخبرنا ان المشايخ غائبون وهو مكلف باكرام وفادة الفرنجة الذين يؤمون الحصن ومعاملتهم بما يليق بهم من الاحترام ، ولكنا فضلنا البقاء حيث نحن لنأخذ قسطا من الراحة وشكرنا له لطفه وضربنا ميعادا لزيارة القلعة جاءنا ايضا شيخ القرية مسلما ٠

حصن تبنين

« في الوقت المتفق عليه رافقنا اشخاص عديدون الى القلعة في الجنوب الغربي من الاكمة الواقع عليها الحصن مرتقى منحدر يؤدي الى المدخل ، جدران الحصن الحالية اكثرها مرمم حديثا ولم يبق من البناء القديم سوى الرتاج القوطي الفخم ، والممرات الداخلية المعقودة ، فوق هذه الممرات والرتاج على ارتفاع اكثر من الجدران ، بنت عائلة علي السفير (الصغير) ، وهي احدى العيال المتزعمة في المتاولة ، مسكنا لها تسكنه مع اتباعها في حالة من الرثاثة لا تحسد عليها ، تقدمونا الى البيت ثم الى غرفة استقبال العائلة فاذا بها تستغرق البيت كله وتشرف من موقعها المرتفع على منظر فخم ، للغرفة نافذة بارزة او شرفة تطل على الجهة الجنوبية الغربية فتشرف على قرية تبنين والريف حولها ، اتكأنا على السجاد الحائل ولكنه كان قبلا زاهيا ، فاطل علينا من النافذة المقابلة الواقعة في الشمال الشرقي جبل الشيخ الشامخ وقلعة الشقيف الجاثمة كالطود ، قدم لنا المرطبات (ماء السكر) صبي يحمل منشفة على كتفه يمسح بها الضيف فمه بعد الشرب ،وا تبعوها بالقهوة المحلاة بالسكر ، ثم بالغلايين ، وبعد الفراغ من الضيافة والمجاملات ، كثر مرافقونا حول القلعة يتبرعون بارشادنا على مختلف الاشياء المهمة ٠

« قلعة تبنين من عمل الصليبيين ، اسموها تورون ولكن اسم تبنين اعرق من ذلك بالقدم ، في القرن الثالث عشر جردت القلعة من وسائل الدفاع ويظهر انها لم تسترجع مركزها القوي ومناعتها ، ربما اعيد بناء الجدران في ازمنة متباينة ولكنها الان في طور الانحلال لانها متداعية وعلى وشك السقوط في امكنة كثيرة منها ، شيد الصليبيون هذا الحصن في هذه البقعة على اسس حصن قديم مبني قبل عهدهم بوقت طويل وهذه الاسس القديمة ظاهرة في بعض المواضع في السور خارجا ، وتشتمل على حجارة كالتي في قلعة الشقيف ولكنها غير منحرفة الزوايا تماما ، بل منحوتة نحتا ناعما على الاطراف وخشنة او بارزة في الوسط ، يحدونا على هذا القول ما رأيناه من هذه الحجارة مبنيا في الداخل في اماكن متفرقة وفي اوقات مختلفة ، فترى منها حجرا واحدا في جدار وحجرين او اكثر

في غيره ، يضم السور مساحة مربعة تقريبا تنيف على فدان (اكر) من الارض ، أي ٤٣٦٥٠ قدما مربعا او ٤٨٤٠ يردا مربعا » ٠

« ويظهر ان هذه البقعة الفسيحة كـــانت قبلا تزدحم بالمساكن وغيرها من الابنية ٠

● ما يلاحظه الباحثون

يلاحظ ان الرحالة ربنصون حين قال « ان عائلة علي الصغير تسكن قلعة تبنين مع اتباعها في حالة من الرثاثة لا تحسد عليها » اعتمد في حكمه هذا على ما رآه من خلو مساكن آل الصغير في القلعة مـــن الاثـــاث الفاخر والموبيليـة الافرنجية ٠

ولكنه لو تبصر وفكر بان البيوتات الكبيرة في لبنان والشرق العربي يومئذ ـ كان يقتصر اثاثها على البسط والسجاد والاواني النحاســية والخزفية للطبخ والقهوة ثم على الفرش واللحف والوسائد للمنامة والراحة كما يبدو من كـلام الرحالة فولتي وقوله « فمثلا اثـــاث منزل صاحبه غني مقصور عـــلى السجاد والحصير والمساند والوسائد وافرشة وشراشف قطنية صغيرة صواني من نحاس وخشب تستعمل موائد ، وقدور ، وهاون ، ومطحنة صغيرة (جاروش) سـهلة النقل ، وصحون من خزف صيني ونحاس مبيض ، واما البسط ؟ والمتكآت والمرايا والمكاتب والخزائن ذات الادراج ، والكبيرة منها ، والتي تحفظ فيها ادوات المائدة من فضية وغير فضية فذلك كله لا وجود له عندهم (١) ٠

اولا حظ الرحالة ان مثل هذا الاثاث الذي يصفه فولتي كان يومئذ ينقل كلـه او جله مع رب العائلة حين يسافر من بلد الى بلد كما يتضح مـــن قول الرحـــالة الفرنسي نفسه ٠

« وكان على المسافر ان يحمل معـــه اينما ذهب ـ فراشـــه وادوات مطبخه ومؤونته ، وما يأخذه مسافر يرغب في ان لا يعوز شيء ، سجادة وفراش ولحاف ، وقدران الواحدة اصغر من الاخرى وصحنان ، وابريقان ، وابريق للقهوة ووعـاء صغير من الخشب للملح والبهار ، وستة فناجين قهوة بلا عروة تدمج بعضـــها في بعض داخل غلاف من جلد ، وسفرة مستديرة من جلد تعلق بالسرج ، وقــرب صغيرة للزيت والماء ، وغليون وقداحة ومحمصة وهاون خشب لسحن البن » (٢) ٠

ثم لو علم ربنصون بان مثل هذا الاثاث والامتعة التي يصفها ويسميها فولتي

١ ـ لاحظ ص ١٠٠ ج٢ من رحلة فولتي تعريب السيوفي ٠
٢ ـ لاحظ ص ٩٤ ج٢ من رحلة فولتي تعريب السيوفي ٠

كانت تنقل كلها مضاعفة مع مشايخ آل الصغير حين يسافرون من بلد الى بلد ، ولاحظ المشايخ انهم كانوا غائبين عن مساكنهم يوم مـــر ربنصون سنة ١٢٦٨ ـ ١٢٦٩هـ بقلعة تبنين ، اذ كان حمد البيك يومئذ مع رجاله مـــن المتاولة على نهـر الاردن استعدادا للاشتراك مع عسكر الدولة وامتثالا لاوامر ولاتها في الســير لحرب دروز حوران مع محمد باشا القبرصي (١) ٠

ثم لو علم ربنصون بان غرفة الاستقبال الكبيرة التي رآها في قلعة تبنين لم تكن تختلف في اثاثها عن غرفة احمد باشا الجزار كما وصفها سيبا ستياتي سفير نابليون للجزار بهذه الكلمة الصريحة « وما هي الا دقائق حتى دخل علينا ترجمان الباشا وذهب بي الى مقر الجزار فاستقبلني في غرفة لم يكن فيها احد غـيره وجدتها خالية من كل اثاث الا من سجادة كان الرجل مستويا عليها والى جنبـه وامامه غدارة ذات اربع طلقات ، وبندقية هوائية ، وسيف ، وفأس (٢) ٠

* * *

اجل لو تبصر الرحالة ربنصون واحاط علما بهذا كله لما قال « ان عائلة آل الصغير تسكن قلعة تبنين مع اتباعها في حالة من الرثاثـة لا تحسد عليها ؟؟ ولا اطمأن الى مثل هذا الحكم وخصوصا بعد ان علم ان البيك الحاكم كان يأخذ من كل قرية من قرى المقاطعة اكثر مما عليها للدولة من ضرائب قياسا على ما عرفه من احوال تبنين نفسها فكيف يكون الحال بغيرها من القرى العديدة ، يوم كانت مقاطعة تبنين تشمل جميع قرى الساحل والجبل ما عدا قرى جبل هونين ٠

الحجرية ، ولكنها الان مهدمة ومنثورة هنا وهناك اطلالا باليــة متراكمة ، وليس من شيء قائم ضمن السور في الوقت الحاضر سوى البيت الذي يقطنــه المشايخ واتباعهم ٠

« قيل لنا ان الشيخ الحاكم ، او البك ، يتقاضى سبعماية وخمسين قرشـا راتبا شهريا بوصفه حاكم المقاطعة ، ويدفع لكل من الكتبة الثلاثة الذين يستخدمهم ثلاثماية قرش راتبا شهريا ، ويدفع لوكيل املاكه الفا وخمسماية قرش سنويـا وطعامه ، لا يوجد ملك مطلق في المقاطعة لان الارض ملك للحكومة تؤجرها السكان، اما الضرائب او اجرة الاملاك فتقدر على (الكدنة) أي ما يعمله ثوران مقرونان (مكدونان) في اليوم ، عدد الذكور في قرية تبنين ثلاثماية وثمانون منهم مئـة وثلاثون مسيحيين ومئتان وخمسون متاولة ، وعدد الثيران اربعة وعشرون زوجا يدفع سكان تبنين اثني عشر الف قرش على الارض والفين قرش ضريبة عـلى الاعناق ، ومن مدة ليست بالطويلة انقص السلطان الفين وثلثمايـة قرش مـن

١ ـ لاحظ ص ٧٩ ج٣ من خطط الشام وص ٢١ من كتاب مع التاريخ العاملي ٠
٢ ـ لاحظ ص ٢٠٤ ج١ من السياسة الدولية لمؤلفيه اميل الخوري وعادل ٠

الضريبة ولكن البك استمر على جباياتها والاحتفاظ بها لنفسه ، وخلا هذا توجد ضرائب اخرى تافهة وهدايا ليس للشيخ ملك خاص به ولكن عندما انتزع سليمان باشا صور ورأس العين من عائلة علي السفير (الصغير) عين لها دخل ست قرى في قضاء شومر (اقليم الشوف) ظل المشايخ يقبضونه (١) ٠

« وفي قرية تبنين كاهن مسيحي ولكن لا يوجد بناء خاص بالكنيسة ، ويوجد ايضا دكان لبيع السلع الاوروبية المختلفة بينها قوالب سكر لم تكن تتوقع ان نراها في هذا المكان (٢) ٠

مكانة حمد البك الادبية

من المشهور عن حمد البك انه كان من اذكياء آل الصغير النابهين وانه كان تلميذا في مدرسة الكوثرية التي اسسها الشيخ حسن قبيسي ، ولكن ما مدى دراسته في تلك المدرسة ومدى تحصيله ، ومدى ممارسته لنظم الشعر ، وهل بلغ من هذا كله حد النضوج الادبي ؟؟ ام ان الظروف السياسية والاجتماعية قد حالت بينه وبين الوصول الى المستوى الذي يطمح اليه رواد العلم والادب ؟؟

كل هذه الملاحظات والاسئلة ما زالت حتى الان بانتظار البحث الدقيق والجواب الفصل ، وكي لا يظل القراء بين الهمسات المغرضة والاقوال المغالية مدحا وهجاء انقل لهم ما طالعته في مخطوطة الحاج محمد سهيل من آثار حمد البك الادبية ، وقد وجدت في تلك المخطوطة مقدمة نثرية من انشاء حمد البك يقدم بها تشطيره لقصيدة البردة في مدح الرسول الاكرم ٠

امن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

ثم تشطير اخر منه لقصيدة الشريف الرضي في النسيب ٠

ياليلة السفح هلا عدت ثانية   سقى زمانك هطال من الديم

واكتفى من هذا المجموع بنقل المقدمة النثرية ، مع الفصل الاول من تشطير قصيدة البوصيري المعروفة (بالبردة) بضم الباء وتسكين الراء ، ثم الفصل الاخير منها نظرا لطول القصيدة مع التشطير ، واعتقادا بان هذا المقدار من النصوص الممثلة لالمع آثاره الادبية ، يمكن الباحث اللبيب من ان يحكم بذوقه

١ ـ لاحظ يوميات روبنصون في لبنان ج١ ص ١٦٣ ـ ١٦٦ ٠
٢ ـ يوميات رونصون ص ١٦٨ ج١ ٠

وعقله على ادب حمد البك وان يقدر مستواه الفني دون ان يعتمد على مرشد او يتأثر باقوال المغالين والمغرضين مدحا وهجاء ٠

المقدمة النثرية

وبعد ٠٠ فيقول الفقير لله الواحد القهار حمد بن محمد البك بن محمود بن نصار الوائلي القحطاني البشارى العاملي عامله الله بلطفه الخفي اني لما امعنت النظر ونزهت الفكر في القصيدة التي فاق نظمها على عقد الدرر والجواهر التي ليس لها من امثلتها نظير وهي قصيدة أخي بوصير المسماة بالبردة وهي من نظم العالم العلامة والحبر الفهامة نابغة زمانه وفريد عصره وأوانه محمد بن احمد البوصيري الشافعي رضي الله تعالى عنه وكنت قد اطلعت لها على تخاميس ووجدتها سبعة وبلغني أنها مثمنة ولم اقف لها على تشطير فاستخرت الله السميع البصير على ان اعمل لها تشطير فاحببت المشاركة مع من انتظم في سلك نظم هذا العقد الفريد والدر النضير وان لم اكن من اهل هذا المقال ولا ممن جرى جواده في حلبة هذا المجال فنمقت لها التشطير فاتى بنعمة الله وحسن توفيقه موافقا للاصل النظير وما قصدت به الا ابتغاء لوجه اللطيف الخبير وطمعا بشفاعة البشير النذير رسول الملك القدير حيث انها مدح فيه وتبيان لصفة معانيه وهو (صلعم) اجل من ذلك وفوق ما هنالك لانه كما قلت فيه وهو بيت مفرد (فلا قبله قبل بأشرف خلقه ولا بعده بعد بطيب العناصر) فالمرجو من الناظر اليه والمطلع عليه ان يسبل على ما فيه من الهفو والسهو سترة الستير وبالاخص الملحوظ عليه بالاعراب اذا كشف عن معانيه النقاب حيث اني لم اطلع على النحو والصرف ولا على الاسم والفعل والحرف ولكن منحة من الله وبركة من رسول الله كما قال (ولست بنحوى يلوك لسانه ولكن سليقي اقول فاعرب) فمن ثم ارجو من ناظره ان يكون عما ذكرناه سموح في الذي يراه من النقد عليه فيلوح ، واسال الله سبحانه ان يمنحني حسن الختام وشفاعة سيد الانام ورسول الملك العلام في يوم الزحام يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وكان تشطير القصيدة واتمامها في شهر شوال المبارك الذي هو من شهور سنة احدى وستين بعد الالف والمائتين من هجرة سيد المرسلين على مهاجرها افضل الصلوة واتم التحية وعلى عترته خير الورى سجية وبالله التوفيق ٠

اخبار وملاحظات منسية

من حوادث سنة ١١٤٣هـ

وفي سنة ١١٤٣هـ هذه توفي الشيخ عبدالله نعمة ، على ما جاء في مخطوطة

الحاج محمد سهيل وناصيف باشا الاسعد نقلا عن السبيتي او على ما جاء في مجلة العرفان ص ٢١ مجلد (٥) ·

من حوادث سنة ١٢٣٠هـ

يروي مؤلف (كتاب جبل عامل في التاريخ) عن الامير حيدر الشهابي ، ان الامير بشير الشهابي ـ وهو في طريقه الى عكا ـ قد بات في منازل ابناء ناصيف النصار ، لافي قرية الناقورة كما تنص ذلك رواية الامير حيدر نفسه ص ٩٢٧ من نزهة في تاريخ لبنان ·

من حوادث سنة ١٢٤١هـ

وفي سنة ١٢٤١هـ هذه سلم الامير بشير اقليم جزين ، واقليم التفاح ، وجبل الريحان لولده الامير خليل » (١) ·

من حوادث سنة ١٢٤٨هـ

وبعد مدة وجيزة من اسر عبدالله باشا حاكم عكا وارساله الى مصر ثم منها الى القسطنطينية وبعد مدة وجيزة من ارساله الى اسطنبول ، نفي اتباعه في البلاد وكان كبيرهم حسين آغا المملوك الى قبرص وذهب المملوك هذا الى القسطنطينية وعمل مخادعة مع عبدالله باشا حتى يشتري له رأس العين وتوابعها بالبرجين وباتوليه والعزية من اعمال صور ، وما تمت له » (٢) ·

من حوادث سنة ١٢٤٩هـ

يقول الامير حيدر شهاب « وفي سنة ١٢٤٩هـ امر الوزير المصري على الامير بشير ان يجمع سلاح صور والمتاولة وتلك المقاطعات فجمعها وارسلت الى عكا » (٣) ·

من حوادث سنة ١٢٥١هـ

يقول السبيتي « وفي سنة الواحد وخمسين (١٢٥١هـ) امر ابراهيم باشا المصري باخذ عسكر النظام من دون نظام ولا قرعة وسلط الامير بشير الشهابي

١ ـ لاحظ ص ١٠١٥ من نزهة الزمان ·
٢ ـ لاحظ ص ٢٤ من العرفان ج(٥) ·
٣ ـ لاحظ ص ١٠٢٢ ـ ١٠٢٨ من نزهة الزمان في تاريخ لبنان للامير حيدر ·

على بلاد بشارة فجرى من عسكر اللبنانيين ما جرى وخربت البلاد » أي رحل اهلها عنها (١) ·

من حوادث سنة ١٢٥٢هـ

ويروي الشيخ علي سبيتي في مخطوطه ويقول « قال شيخنا قدس سره ، وفي سنة الاثنين وخمسين (١٢٥٢هـ) صارت الزلزلة الكبرى هدمت قدس وصلحة وعيترون وما خلت بلد من الهدم ، وقال فيها التاريخ استاذنا الشيخ علي مروة (٢) وكان في قرية صلحة وهدمت عليه الدار واخرج من تحت الهدم بعد الاياس منه » ·

★ ★ ★

ويلاحظ ان في هذا النص دلالة صريحة على ان السبيتي يروي عن عالم كان متوفيا يوم روى عن هذه الاقوال · ذلك بان لفظة (قدس سره) بحسب التقليد المتبع لا يلفظ بها الا عند ذكر عالم ديني متوفي كما ان قوله « وقال فيها استاذنا الشيخ علي مروة تاريخا ش يدل على ان مروة كان حيا يوم روى عنه والا لاشار الى موته ايضا بكلمة قدس سره وبكلمة رحمه الله المتبع قولها عند ذكر الموتى من العلماء والادباء النابهين ·

فمن هو هذا الشيخ الذي يروي السبيتي قوله « بان الزلزلة الكبيرة صارت سنة ١٢٥٢هـ وان الشيخ علي مروة قال فيها التاريخ ؟؟

يقول شبيب باشا في مقدمة ديوانه « قال الفاضل الشيخ علي السبيتي بشرح قصيدة الوالد (علي بك) وسننقل الرسالة التي صنفها الاديب الشيخ عبدالله البلاغي بما كان من آثار ومجد هذا البيت (ويعني بيت علي الصغير) قديما وحديثا ومن مضى منه وخصوصا هذان الهامان الجليلان المعاصران (ويعني حمد البك وعلي بك) والوقائع التي منها محاربة المصريين وغير ذلك مما اجهد فكره باستقصاء آثاره ·

وعلى موجب هذا القول فهل يكون الشيخ عبدالله البلاغي هو المقصود بقول السبيتي « قال شيخنا » قدس سره » وتكون رسالة البلاغي التاريخية هي المورد الذي استقى منه السبيتي جل اخباره ورواياته التاريخية حتى قصة الشيخ علي مروة عند وقوع الزلزلة الكبيرة وقوله في تاريخها ·

١ ـ لاحظ ص ٢٣ من العرفان ج(٥) ·
٢ ـ لاحظ ص ١١٩ من ديوان الاسعد ·

ظهر الفساد على البسيطة فاختشت	رب العبـــاد فـــزلزلت زلـــزالها
أمســـت تميـــد بـــاهلها وكأنهـــا	ارجوحـــة جـــذب القـــوي حبالها
ومياهها كـــادت تفيض وتخـــرج	الاثقـــال لمـــا ربهـــا اوحـــى لها
دهـــش الانـــام لهولهـــا فكـــأنهم	شهدوا القيـــام وشاهـــدوا اهوالها
فلعظم مـــا عـــانيت قلت مؤرخـــا	يـــا ايهـــا النـــاس اتقوا امثالهـــا :

تصحيح وتوضيح

لا يجور التاريخ في حكمه على احد كما يجور على العالم والاديب حين ينسب آثاره العلمية والادبية الى غيره من الناس لاقل بادرة او شبهة ، وقد يكون مـــن هذا القبيل ما يذهب اليه مؤلف كتاب (جبل عامـــل في التاريـــخ) اذ يقول عند تعرضه لرسالة الشيخ علي سبيتي (جبل عامل في قرنين) انه وجد في مجموعة عند عبد الخالق الفقيه من قرية حولا نسخة بخط السبيتي لرسالة (جبل عامـــل في قرنين) يقول في اولها ما لفظه :

« وجدت في بعض مجموعات اصحابنا ، صارت وقعة انصار من بلاد الشقيف سنة ١٠٤٨هـ ويقول في اخرها ما لفظه :

« ثم ما عثرنا عليه من مجموعـــة المرحـــوم المقدس استاذنا الشيخ علي مروة وبهذه الكلمة تنتهي الرسالة ، وعليه تكون هذه الرسالة من مؤلفات مروة لا السبيتي ونسبتها له من المشهورات التي لا اصل لها (١) ٠

* * *

ولكن فات المؤلف ان مثل هذه الاقوال وهـــذه الاضافات في اول الرسالـــة وآخرها لا تصلح لان تقوم دليلا على صحة نسبة الرسالة للشيخ علي مروة ولا على نفيها عن الشيخ علي سبيتي الا اذا قوبـــل بين خط السبيتي الاصيل الثابت وبين خطنسخة الفقيه هذه وخاصة خط تلـــك العبائر التي يتشبث بهـــا المؤلف لصحيح زعمه وتحقيق محاولته والا فهناك نسخة اخرى بخط الحاج محمد سهيل من آل الصغير وهو ممن ادرك السبيتي وعاصره ـ يقول في اولها « وقفت على مجموعة النسابة الشيخ علي السبيتي يشـــير بها لبعض تواريخ مختصة بجبل عامل وبها يذكر طرفا متعلقا بما نحن بصدده ثم يمضي في سرد الاخبار عـــلى النحو المعلوم الى ان يقول في آخرها « هـــذا مـــا وقفت عليه فاثبته بحروفـــه بمجموعة الشيخ علي السبيتي » ٠

....

١ ـ لاحظ ص ٤٤ من جبل عامل في التاريخ ٠

فما يقول مؤلف جبل عامل في التاريخ بهذه المقدمة والخاتمة من خط الحاج محمد سهيل ؟؟ وهل يجوز ان يلتبس الامر في خط هذه المجموعة التاريخية على حاذق في الخط من آل الصغير ادرك السبيتي وعاصره ، وهل كان يصعب على مثله تصحيح نسبة الرسالة للشيخ علي مروة او للشيخ علي السبيتي ، وقد كان متهيئا له ان يتصلبجميع علماء عاملة وادبائها، او هل يمكن ان يكون له غرضفي تحريف هذه النسبة وهو لا يمت الى كل من الاديبين بنسب ولا هو بحاجة الى ان يمالئهما او يحابي احدهما على الاخر ٠

ومما يقوي ظننا بتزييف ما في نسخة عبد الخالق الفقيه امتيازها عن غيرها من النسخ ـ على حد قول المؤلف ص ١٨٣ من كتابه ـ بزيادة هذه الجملة « قال الشيخ علي السبيتي » عند ذكر تاريخ الزلزلة الكبيرة ٠

فعلى تقدير ان تكون هذه الرسالة التاريخية للشيخ علي السبيتي نفسه فما معنى هذه الزيادة وهذا التصريح باسمه ولقبه اثناء الحديث الـــذي يتحدث به ؟ وعلى تقدير ان تكون لاستاذه مروة فان الامر في استساغة هـــذه الزيادة وهذا التصريح يكون أشد غرابة واكثر نبوا عن الذوق والطبـــع السليم ولا سيما من أديب كبير كالسبيتي وهو يروي حديث استاذه وشعره ؟ في حين ان نسخة الحاج محمد سهيل ليس فيها زيادة (قال الشخ علي) كما في نسخـــة الفقيه ولا زيادة (قال شيخنا قدس سره) كما في مجلة العرفان ، فهي تجري في عبارتها مجرى الطبع ، وهي التي يمكن انعول عليها ونعتبرها اصيلة سالمة منفضول الحواشي ومن تلاعب النساخ ٠

* * *

ثم ان الاديب المؤرخ الذي يولد سنة ١٢٠١ هـ كالشيخ علي مروة ينبغي ان يكون على علم تام بما جرى في بلاده ـ بعد سنة ١٢١٩ هـ من حوادث لها شانها التاريخي ، بيد ان لدى ملاحظة النبذة التاريخية المنسوبة اليـــه نراه يجهل او يتجاهل جل ما حصل بعد سنة ١٢١٩ هـ من حوادث ، واذا اشار الى شيء مـــن ذلك نرى في اشارته دلالة واضحة على جهله بتاريخ بلاده كالسبيتي نفسه ، او نرى فيها دلالة على علم مغلوط بالحقائق التي شرحهـــا غيـــره من المؤرخين المعاصرين فهو لا يختلف عن السبيتي حين يروي ان نابليون بونابرت قد هـــاجم عكا سنة ١٢١٢ هـ مع ان نابليون ابتدأ في مهاجمة مصر سنة ١٢١٣ هـ ثم بعـــد ان مهد اموره في مصر سار منها الى عكا ٠

* * *

وحين يقول عن حوادث سنة ١٢١٩ هـ « فهلك الجزار وخلفه سليم باشا احد أهل مماليكه فالتاث عليه الجند وقتلوه ونصبوا سليمان باشا » مع ان الذي خلف الجزار من قبل قادة العساكر في ولاية عكا هو اسماعيل باشا ، ومن قبل المراجع

العليا في استانبول هو ابراهيم باشا والى حلب ، ولم يكن لسليم باشا يومئذ أي وجود وأي أثر في تلك الحوادث التي انتهت بتعيين سليمان باشا مكان الجزار ٠

أو حين يقول « وكان أول أمرهم ـ أي أمر سليمان وحاشيته ـ ان صانعوا أولاد العشائر وأرضوهم وعوضوهم عن أملاكهم المغصوبة » مع انهم انما احتالوا على ابناء العشائر وفرضوا عليهم الاقامة الجبرية في اقليم الشومر والاقتناع به عوضا عن مراكز حكمهم في البلاد العاملية ثم عوضا عن املاكهم المغصوبة كل ذلك ليعمروا هذا الاقليم الذي كانت اراضيه يومئذ بورا لقربها من ممر العساكر ثم لرداءة اراضيه الجبلية الفرنسية (١) وليظلوا تحت سلطة الامير بشير ٠

ثم ان يتجاهل عهد الشيخ فارس الناصيف بين ١٢٢٠ و ١٢٣٧ هـ كأن لم يكن شيء في هذه الفترة ، وكأنه لم يكن حاكما في الشومر على ابناء العشائر واتباعهم ٠

ثم ان يذكر حوادث سنة ١٢٣٧ هـ وينسبها الى حوادث سنة ١٢٣٦ هـ ويتجاهل ما عاناه المتاولة والشيخ فارس الناصيف فيها من اخطاء ومغامرات قضت على نفوذهم وعلى اثرهم السياسي ، بل نراه يختزل الحوادث العامة (اختزالا مشوشا) مما يرويه المعلم طنوس الشدياق في اخبار الاعيان المطبوع سنة ١٨٥٩ يعني قبل وفاة مروة بأربع سنوات ٠

ثم انه يروي ـ كالسبيتي ـ ان الثورة العاملية ضد ابراهيم باشا المصري، قد كانت بقيادة حسن شبيب الصعبي ، ولا يذكر عواملها واسبابها وملابساتها ، بينما تذكر الوثائق والنصوص التاريخية الواضحة ان هذه الثورة قد كانت بقيادة حسين شبيب بن الشيخ فارس الناصيف وان من اسبابها الحرص على اعادة البلاد العاملية لحكم المشايخ (٢) ٠

ثم انه يقول في آخر النبذة التي ينسبها الفقيه اليه ما نصه « وفي سنة ١٢٥٦ هـ اتفقت الدول الثلاث « يعني تركيا وبريطانيا وفرنسا » على أخراج ابراهيم باشا من البلاد ، فمر على البرية الى عنزة ٠ فهلكت عساكره وملكت الدولة البلاد ، وهدم الانكليز عكا » ٠

مع ان هذا القول المنسوب لمروة يتنافى مع زعم الشيخ في مدحه لحمد البك

١ ـ لاحظ ص ٢٢٩ من مخطوطة مغنية حيث يقول وعوضت عليهم الاراضي السبخة وقرايا كانت مهجورة ليس لها ٠
٢ ـ لاحظ ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ من المحفوظات الملكية المصرية ج٤ ٠

« من ان حمد هو الذي زلزل حصون عكا ولهذا استشهد ببروجها فقال :

وأسأل بروجا زلزلت وهوت   من عكة لما ان احتشدا (١)

* * *

ثم اذا لاحظنا بعد ذلك شعر الشيخ علي مروة نفسه نراه في شعره يجهل التاريخ العاملي الى حد انه يعتبر حمد البك من ذرية ناصيف النصار ، مع ان الشيخ مروة كان معاصرا لابناء ناصيف النصار ولابناء اخيه محمود النصار ولاحفادهما حين نظم القصيدة التي يقول فيها :

ابناء ناصيف حقا ليس يجهلهم   الا حليف عمى عن واضح اللقم
لا سيما حمد الحمود سيرته   رب المنى والقنا والسيف والقلم

مع ان حمد البك لم يكن من ابناء ناصيف وانما كان من احفاد اخيه محمود النصار المعروف بأبي حمد (٢) ٠

ثم اذا صح ان الشيخ علي السبيتي كان تلميذا للشيخ علي مروه ومعاصرا له كما هو مشهور ، فلا يصح من السبيتي ان يقول عن استاذه فيما يكتبه وينقله « وجدت في بعض مجموعات اصحابنا » ، لان مجرد كون الشيخ مروه استاذا للسبيتي يفرض على السبيتي من الحشمة واللياقة ان يرتفع بأستاذه عن التعبير عنه (بصاحبنا) ثم ان يقول عنه بعد ذلك « ثم ما عثرت عليه من مجموعةاستاذنا المقدس » لان جملة (عثرت عليه) ولفظة (المقدس) تشعر القراء بأن الشيخ السبيتي انما وجد هذه النبذة التاريخية ونقلها بعد وفاة استاذة مروة ، مع ان السبيتي انما كتب ما كتبه من النبذ التاريخية في شرح قصيدة علي بك الاسعد قبل سنة ١٢٧٧هـ كما يبدو من مخطوطة مغنية (جواهر الحكم) (٣) لا بعد وفاة استاذه الشيخ علي مروة سنة ١٢٨٠ هـ ٠

ولعل الذي حفز علي بك الاسعد وحفز الشيخ علي السبيتي وامثاله من الادباء العامليين الى كتابة تاريخ الاعيان والاسر العاملية هو ظهور كتاب اخبار الاعيان في تاريخ الاسر اللبنانية للمعلم طنوس وانتشاره بين القراء سنة ١٨٥٩ وناثرا ادبائنا باسلوبه المغالي في تلفيق الانساب وتكبير الحوادث واصطناع

١ ـ لاحظ ص ٢٧٨ ـ ٢٨٢ من اطروحة السيد هاني رومية عن الشيخ علي مروة ٠
٢ ـ لاحظ ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ من اطروحة الاستاذ هاني رومية ولاحظ ان المراد باللقم هنا الطريق ٠
٣ ـ لاحظ ص ١٩٠ ـ ١٩١ من مخطوطة (جواهر الحكم ، لمغنية) ٠

المحامد ، وان لم يبلغوا شأوه في التنسيق وسهولة التعبير والتبسط في شرح الحوادث والملابسات ·

اضف الى هذا كله ان صاحب مخطوطة (جواهر الحكم) الذي ادرك عصر الشيخ علي مروة وعصر السبيتي يروي بعض ما جاء في (جبل عامل في قرنين) من حوادث هامة عن الشيخ علي سبيتي لا عن الشيخ علي مروة · مع ان صاحب جواهر الحكم ، كان على ما يبدو من فحوى كلامه ـ منافسا للفاضل السبيتي ومزاحما له عند علي بك الاسعد ، فلا يسوغ عقلا ان ينسب للسبيتي ما ليس له من الاثار ال[illegible]مية والادبية لزيده حظوة عند البكوات ويزيد البكوات اعجابا به وم[illegible] في اكرامه وتفضيله على بقية منافسيه من امثال مؤلف جواهر الحكم ·

الاوضاع والحوادث في ايام علي بك

مما لا شك فيه ان عهد علي بك في السياسة والرياسة والادب كان استمرارا لعهد عمه حمد البك على اختلاف في الظروف بين العهدين عهد الانتقال من حكم المصريين والشهابيين الى حكم الدولة العثمانية وما رافق ذلك من تطورات وملابسات في ايام حمد البك وعهد الاستقرار في مقاطعات جبل عامل وتغيير الانظمة الادارية والمالية في ايام علي بك تغييرا جعل حكام المقاطعات كموظفين مسؤولين عن واجباتهم القانونية والادارية تجاه المراجع العليا في الدولة وتجاه النابهين من اهالي البلاد ، بيد ان جهل الحكام للانظمة الجديدة او تهاونهم بها واسترسالهم مع التقاليد العائلية والاقطاعية بذخا واستهتارا واعتسافا زلزل مكانتهم لدى المراجع العليا في الدولة وادى بعلي بك وابن عمه محمد بك في النهاية الى الاعتقال كما ادى بغيرهم الى الاقالة على انه لم يقع في عهد علي بك من الحوادث الداخلية ما يستحق البحث والتسجيل سوى استدعائه للاشتراك مع عساكر الدولة في اخماد ثورة النصيرية (في جبال العلويين) جريا مع تقاليد الباشوات من استنفار رجال الاقطاع في مثل هذه الحالات على ان وقائع هذا الاشتراك لا تزال مجهولة واخباره يعمها القلق والاضطراب لاختلاف الرواة صدقا ومعرفة واعتدالا فرواتها من العامليين يسترسلون مع قول الشيخ علي سبيتي والشيخ محمد مغنية وشبيب باشا الاسعد نصا ومضمونا كما يبدو من قول العلامة الشيخ محمد تقي الفقيه ·

استدعاء علي بك في حرب النصيرية سنة ١٢٧٥هـ

يقول العلامة الفقيه : « لما قامت الثورة في جبال النصيرية التي اضرم نارها الزعيم العلوي الكبير اسماعيل خير بك والد هواش بك ورئيس (عشيرة) المتاورة

المعروفة بشدة البأس ووفرة العدد ، دعت السلطة علي بك واستعانت به في هذه المهمة فجهز جيشا وجاء به لقاعدة الايالة ثم بعث رسالة الى زعيم تلك البلاد القائم بهذه الثورة فوعد واوعده فما كان منه حتى حضر والقى قيادة اليه فاستعفى الوالي عنه فعفى عنه الوالي والبسه خلعة الخضوع فانصرفت الثورة وحقنت الدماء (١) ·

وقد ذكر الشعراء هذه الحادثة في شعرهم ومن ذلك قول الشيخ محمد حسين مروة :

وقدت لارض اللازقية جحفلا　　　واظهرت للاعداء يوما عصبصبا
فاذعن منقادا اليك عميدها　　　حقيرا ذليلا بعد ان كان مغضبا (٢)

وحيث ينقل العلامة الامين قول صاحب جواهر الحكم « وانشات قصيدة طويلة مدحت بها الامير (علي بك) وعرضت بقضية اسماعيل خير بك الذي خرج على طاعة الدولة فاستعانت عليه بعلي بك الاسعد فارسل عسكرا جرارا مع ابن عمه خليل بك فاطاع اسماعيل وحضر لباب الحكومة خوفا من سطوة الامير وجيوشه مع قائد الحرب المذكور (٣) ·

بينما رواتها من غير العامليين يقولون بقول مؤلف خطط الشام عن تاريخ هذه المعارك وعن ملابساتها ونهايتها بالصلح الذي اجراه كامل باشا بين الدولة وبين النصيرية ، اذ يروي المؤلف ما نصه :

« وفي سنة ١٢٧٥هـ قهرت الدولة بلاد النصيرية بقهر زعيمهم اسماعيل هواش وجردتهم من كل رعاية وخصوصية والسبب في هذه الفتنة ان طائفة الكلبية عصت اوامر الحكومة فارسلت هذه خمسمائة فارس وضربوا قرى الساحل واتصلت الاخبار بالنصيرية فهاجموا الجند وقتلوا منهم اثني عشر جنديا فجهزت الحكومة بعد ايام عسكرا عظيما وهاجمت الطائفة وجعلت قوة لها في الساحل وزحف العلويون (النصيرية) ولم يلبثوا ان احاطت بهم العساكر من كل جهة فدافع العلويون حتى فقدوا خمسة وعشرين رجلا وفي اليوم التالي التحم القتال ودامت المناوشات والمقاومات اربع سنين حتى ارسلت الدولة عسكرا جرارا · وندبت كامل باشا لاجراء الصلح بين الدولة والعلويين فتم ذلك على يده (٤) ·

---

١ ـ لاحظ ص ٢٠٩ من جبل عامل في التاريخ ·
٢ ـ لاحظ ص ٢٢٩من قبل عامل في التاريخ ·
٣ ـ لاحظ ص ٦٨ من اعيان الشيعة ج٢٧ ·
٤ ـ لاحظ ص ٨١ ج٣ من خطط الشام طبعة اولى ·

علي بك في حوادث ١٢٧٧هـ

اما قصة استدعائه لسوريا في حوادث ١٨٦٠م فان العلامة الفقيه يروي ذلك اعتمادا على الاستاذ محمد جابر وشبيب باشا ويقول :

« قدم سوريا سنة ١٨٦٠ فؤاد باشا السياسي التركي المعروف وكان وزيرا للخارجية العثمانية ارسلته الدولة مندوبا فوق العادة لاصلاح شؤون سوريا اثر الحرب الاهلية التي شبت بين الطوائف في دمشق ولبنان ووادي التيم ووفد عليه زعماء جبل عامل برئاسة علي بك الاسعد ومعه ما يزيد على الف فارس من خيرة فرسان الشيعة وابطالها فاكرم الوزير وفادتهم واثنى على طاعتهم واحتفى بعلي بك واعلى مجلسه وعينه مستشارا في المجلس الاعلى الذي الفه للنظر في شؤون سوريا والتحقيق في الفتن التي صارت فيها واوكل اليه حفظ الامن في ضواحي دمشق وحوران ووادي التيم وحماية منكوبي المسيحيين وتأمين نقلهم الى السواحل ومطاردة الثوار الفارين فقبضوا على جماعة منهم حسين بك جنبلاط احد قواد الثوار وعوتبوا على ذلك من بعض اعيان الدروز فاجابوهم حسين بدل عن حسين » (١) ·

(١) ـ ثم لاحظ : انه قد فات المؤلف ان الذي قبض على حسين بك جنبلاط هو الشيخ حسين السلمان في سنة ١٨٤٠م · وذلك امتثالا لارادة الامير خليل ابن الامير بشير الشهابي ، لا علي بك الاسعد في سنة ١٨٦٠م · ثم فاته ان حسين شبيب الذي قبض عليه بوشاية احد مشايخ الدروز سنة ١٨٣٩م هو حسين ابن الشيخ فارس الناصيف من آل الصغير لا من آل صعب كما يتضح للقارىء من خلال مراجعة البحث عن ايام حمد البك المتقدم ·

(٢) ـ ثم لاحظ ان وفود زعماء جبل عامل على فؤاد باشا انما كان امتثالا لاوامر الباشا كما يتضح من قول مؤلف كتاب الحركات في لبنان : « واما ما تبقى من الجنود (النظامية) فصدر الامر بذهابهم الى دمشق حالا واما حضرته (حضرة فؤاد باشا) فتوجه الى صيدا فطلب اليه رؤساء عشائر المتاولة فلبوا دعوته ، حضر منهم علي بك الاسعد وحسين بك الامين (الصعبي) وتامر بك الحسين ووجههم نحو المختارة فاتوها فرقتين وذلك قصد الاستعانة بهم على من يكابر من الدروز فيما لو مست الحاجة الى ذلك وصعد حضرته من صيدا الى الشام مارا بقرية روم من اقليم جزين ·

١ ـ لاحظ ص ٢١٨ ـ ٢١٩ من جبل عامل في التاريخ حيث يورى المؤلف في هامش الصفحة ويقول بان المراد بحسين الاول حسين بك جنبلاط وبحسين الثاني : حسين بك الشبيب الصعبي الذي قبضه الدروز غدرا في ضواحي الشام وسلموه لشريف باشا الوزير من قبل ابراهيم باشا المصري فشنقه هو وخادمه موسى قليط ·

(٣) ـ لاحظ ص ١٣٤ من كتاب الحركات ثم لاحظ ان مؤلف الحركات في لبنان لم يذكر كل زعماء المتاولة كمحمد بك الجواد من آل منكر زعماء اقليم الشومر منذ العهد المعني وهم الذين مدحهم الشاعر العراقي الشيخ عباس القرشي بقوله :

اشهد بالله بان الندى والبأس في ايدي بني منكر
قوم هم القوم الذين امتطوا سياسة العزة والمفخر
سالمهم تسلم واما تكن حربا لهم فرد ولا تصدر

اما اعتبار الشاعر لزعيم آل منكر محمد بك الجواد من آل الاسعد فهو خطأ مرده الى ان علي بك الاسعد في العهد الاخير اتفق مع ابناء الاسر الاقطاعية الثلاث : آل صعب وآل منكر وآل الصغير على ان يعتبروا بعضهم ابناء عمومة وان لا ينادي بعضهم لبعض الا بابن العم وان اختلفت الانساب فيمابينهم ·

ثم لتعرف نسبة آل منصور وآل الجواد الى آل منكر لاحظ ص ٤٠٢ ثم ص ٤٥٩ من كتاب للبحث عن تاريخنا في لبنان ·

(٤) ـ وكذلك اهمل المؤلف ذكر محمد بك الاسعد مع انه كان يومئذ حاكما لمقاطعتي جبل هونين ومرجعيون كما يستفاد من النصوص التالية :

ـ النص الاول :

من رسالة قنصل بريطانيا في بيروت المسيو مور الى سفيرها في الاستانة السير هنري بولفر ، بتاريخ ٢٠ نيسان ١٨٥٩ يقول فيها ما نصه « هذا وقد اعتدى في جنوب هذه الايالة على الوطنيين الذين اعتنقوا المذهب البروتستاني ، فاستدعى الباشا المدير الشيعي للتحري عن محاولته ابتزاز الاموال ، وعن سوء معاملته للبروتستانت ثم اعيد الى مركزه ، وعندما كانت تثبت عليه الشكوى تدخل الباشا في الامر واوعز الى المحكمة بعدم ملاحقة الدعوى ، وسجن احد الشاكين بتهمة انه ضرب احد الضباط الذين بخدمة المدير » (١) ·

ـ النص الثاني :

من رسالة مور ايضا الى السيد بولفر بتاريخ ٣٠ ايلول ١٨٥٩ يقول فيها ما نصه : « لم يزل الاضطهاد ضد بعض الوطنيين الذين اعتنقوا المذهب البروتستاني في قضاء المتاولة التابع لهذه الايالة مع انه سبقت الشكوى منه

١ ـ لاحظ المحررات ايضا ص ٣٧٨ م١ ·

وورد امر وزاري الى خورشيد باشا موعزا بتظليلهم بالحماية وبانصافهم من المظالم ، وقد افادني حديثا المرسلون الاميركيون المقيمون في صيدا انه نتيجة شكواهم كانت على غير ما يأملون ٠

واتصل بي ان محمد بك الاسعد استأنف ـ منذ عودته من بيروت ـ اضطهاد كثير من البروتستانت حبسا وضربا وتغريما فانه يلومهم على انهم شكوا منه الى قنصل انكلتره العام كما كتب لي المستر ادى المكرم (١) ٠

ـ النص الثالث :

من رسائل وبيانات يعقوب ابيلا وكيل قناصل انكلترة في صيدا الى مور قنصلها العام في بيروت ما نصه :

« من الشائع ان محمد بك الاسعد وعد بحماية مسيحيي مرجعيون انما يقول الان ليس لديه اوامر بحمايتهم وهم مسلحون » (٢) ٠

« وفي ١٤ حزيران الساعة الخامسة بعد الظهر علمت الان ان الدروز هاجموا امس مرجعيون ونهبوها وحرقوها ويقال ان محمد بك الاسعد لم يبد اقل مقاومة حماية لمسيحيي قضائه مع انه اخذ منهم هدية قدرها مائة الف قرش وكمية عظيمة من المؤن ، ومن الشائع ايضا ان الشيعة انضموا الى المسيحيين (٣) ٠

(٥) ـ ثم لاحظ ان مهمة فرسان المتاولة مع علي بك الاسعد انما كانت كمهمة فرسان القبائل العربية ومهمة زعمائها ٠ وهي المرابطة على حدود حوران وشرقي جبل حرمون لمنع الدروز من الفرار الى حوران وجبل اللجا ٠ ومطاردة الجناة الفارين كما يتضح من النصوص التالية حيث يروى عن فؤاد باشا ما نصه :

« وقد جعل فؤاد باشا صيدا مركزا لهذه الحركات العسكرية (النظامية) وسيقوم قسم من جيش دمشق (النظامي) بحركات مثلها فيعسكر في جوار حاصبيا وراشيا غربي سفح حرمون ٠ في حين ان قبائل العرب التي سبق لي الاشارة اليها سترابط على حدود حوران لمنع الفارين من الالتجاء الى جبل اللجاه » (٤) ٠

وحيث يقول فؤاد باشا نفسه « سافر اليوم حليم باشا قاصدا سعسع لتنظيم القوات المعدة لمطاردة الدروز ، وقد تمكنت من حشد زهاء ثلاثة الاف فارس غير

١ ـ لاحظ المحررات ايضا ص ٣٧٨ م١ ٠
٢ ـ لاحظ ص ٥٦ م(٢) من المحررات ٠
٣ ـ لاحظ ص ٧٩ ـ ٨٠ من المحررات السياسية ج(٢) ولعل المرسل استنبط خبر الانضمام الى المسيحيين من هياج الشيعة لنهب بيت الشيخ عبدالله نعمة في جبع ٠
٤ ـ لاحظ ص ٣٥٧ من المحررات السياسية ج(٢) ٠

نظامي ، وسيعود هذا القائد يوم الخميس فاتركه هنا (في دمشق) واذهب مساء الى بيروت » (١) ٠

ثم حيث يروى عن الباشا ما نصه « ويرتاب فؤاد باشا كثيرا فيما اذا كان نطاق القبائل العربية ـ التي جعلت شرقي جبل حرمون لمنع زعماء الدروز من الفرار الى حوران ان تقوم بالمهمة الموكلة اليها » (٢) ٠

وعلى موجب هذه النصوص فان الدولة انما استدعت علي بيك الاسعد مع من استدعتهم في حوادث سنة ١٨٦٠ لحجز الطرق على الفارين الى جبل الدروز ومطاردتهم ، لا ليكون علي بيك عضوا في المجلس الاعلى ، او المجلس الخارق للعادة او المحكمة الخارقة للعادة كما كان يسمى هذا المجلس ٠

ذلك بان اعضاء هذا المجلس قد استحضرتهم الدولة من الاستانة كما يتضح من رسالة اللورد دفرين مندوب بريطانيا الى سفيرها في الاستانة السير بولفر هذه :

« عن دمشق في ٨ من ايلول سنة ١٨٦٠ »

ان صاحب الدولة فؤاد باشا امر الجنود في غد يوم وصوله باحتلال جميع احياء المدينة (دمشق) والف لجان عسكرية في كل منها لالقاء القبض على الثوار والقتلة والنهابين وغيرهم ٠ فتمكنت هذه اللجان من ايقاف ٨٠٠ شخص تقريبا بعد مرور اربعة او خمسة ايام ٠ فاحيلت اوراقهم الى المحكمة الخارقة للعادة المؤلفة من مأمورين جيء بهم من الاستانة » ٠

وبناء على قضاء المحكمة الخارقة للعادة اعدم رميا بالرصاص ١١١ مسلحاً وشنق ٥٦ ونفي ١٤٥ وحكم بالاشغال الشاقة على ١٨٦ وقضى غيابيا بالاعدام على ١٨٤ وفي عدد الذين اعدموا (١٨) شخصا من كبار اسرات البلاد وناس ذوي وجاهة » ٠

لاحظ ص ٣٣٤ من المحررات السياسية ج٢ : ثم لاحظ ص ٣٣٥ منه حيث ينص ويؤكد على اعدام احمد باشا مشير الشام ، وامير الالاى علي بك قائد الجنود في الحي المسيحي من دمشق حي المذبحة ، والقائم مقام عثمان بك قائد حامية حاصبيا والبكباشي محمد علي آغا قائد حامية راشيا ، الى غير ذلك ٠

ثم لاحظ من خلال هذه السطور والصفحات من هم اعضاء ذلك المجلس الاعلى الذي حكم باعدام ذلك العدد من اعيان الشام واعيان الدولة ، ومن اين اتي باعضائه ؟ وما عسى ان يكون خطر احكامهم الصارمة على نفوس الجماهير ؟

١ ـ لاحظ ص ٤١٢ من نفس المصدر ٠
٢ ـ لاحظ ص ٣٤٠ ـ ٣٤١ منه ٠

وعليه فهل يعقل ان يتحمل مسؤولية مثل هذه الاحكام احد من زعماء البلاد او من زعماء العرب ؟؟ او هل يعقل ان يكلف فؤاد باشا احدا منهم للاشتراك في مثل هذا المجلس او هذه المحكمة مع حذره من التحيز وحرصه على ان يكون اعضاءه بعيدين عن أي علاقة شخصية او عنصرية او اقليمية تقربهم من المتهمين وتحرفهم عن واجبهم السياسي والاداري في استئصال الفتن وسد الطرق على الدول التي كانت تحاول الاصطياد في الماء العكر ٠

ثم لو افترضنا انه كان ميسورا لعلي بك ان يشترك مع اعضاء تلك المحكمة او ذلك المجلس المسؤول عن مصير الارواح والاموال والكرامات ٠ فهل كان من مصلحة علي بيك او من الاحتياط لسمعته وصداقاته مع اعيان الطوائف المتهمين في حوادث سنة ١٨٦٠ ميلادية ان يقبل بالاشتراك مع اعضاء هذه المحكمة او هذا المجلس في تحمل مسؤولية تلك الاحكام الصارمة التي كانت مفروضة من قبل الدولة سياسيا وعسكريا لاستئصال الفتن وسد الطرق على الدول التي كانت تحاول استغلالها ٠

خلاصة الحوادث بنظر شعرائنا

اما شعراء المدح والملق في ذلك العصر ، فقد لخصوا حوادث سنة ١٨٦٠ وصوروها على النحو الذي يرضي زعماءهم كما يتضح من هذه الابيات (١) في مدح علي بيك الاسعد :

ولما ان عصى لبنان يوما ... على الاملاك واضطرب اضطرابا
وفرسان الدروز تشب حربا ... على الاعداء تلتهب التهابا
ولم يبرح فؤاد الملك يوما ... اليه ولم يجد للحرب بابا
دعا الابطال دعوة مستغيث ... فكنت اليه اسرعهم جوابا
وسرت اليه بالفرسان حتى ... اجلت به المسومة العرابا
اسرت كماتهم وقريت منهم ... سباع البر والطير السغابا
وسرت الى الشام تثير نقعا ... خيولك بين افسحها جنابا
فلما عاينوك هووا سجودا ... على الاذقان والتثموا الترابا

اخبار وملاحظات ثانوية

٠٠٠ باستثناء ما جرى لعلي بك في حوادث سنة ١٢٧٥هـ وسنة ١٢٧٧هـ فان هناك اخبار ومزاعم ثانوية تختلف بصورها ومستواها من الصحة والدقة

١ ـ لاحظ ص ٧٣ من اعيان الشيعة ج٤١ ثم لاحظ ان المراد بفؤاد الملك فؤاد باشا نفسه ٠

والصدق باختلاف مقاصد الرواة ومكانتهم السياسية والاجتماعية والادبية ولهذا يكثر التناقض فيما بينها كما يكثر الخطأ والتحريف في مضمونها وبمغزاها ٠ وقل ان يسلم الصحيح فيها من الغلو والمبالغة ٠

من ذلك ما يرويه العلامة الامين نقلا عن مخطوط الشيخ علي سبيتي من انه « كان عقيل ابن موسى الحاسي رئيس عرب الهوارة الساكن في طبريا وما والاها ـ قد خرج على الدولة فحبس في القسطنطينية ثم هرب من الحبس واستعمل التعريب والبداوة وخدم الدولة ثانيا فشموا منه رائحة العصاوة فارسلوا اليه خيل الاكراد من الشام وعليها محمد سعيد بن شمدين آغا صاحب صالحية دمشق وحاربه في ارض صفورية من طبريا فانكسر الاكراد وقتل اخو رئيسهم وراح عسكرهم نهبا وقتلا ثم اتى فلهم الى غور الحولة واستنصروا علي بك الاسعد فحشد معهم واقام لهم الزاد والعلوفة فجاء امر الدولة بعدم التعرض لعقيل بن موسى هذا ، فظن ان علي بك هو الساعي باطنا بابطال الحرب عنه » (١) ٠

ومن ذلك ما يقوله العلامة الشيخ محمد تقي الفقيه نقلا عن السبيتي من انه (عندما حدثت الواقعة المعروفة بواقعة صفورية في فلسطين بين زعيم الاكراد في الديار الشامية محمد سعيد باشا شمدين زاده وبين عقيل آغا الحاسي الشهير رئيس قبائل عربان الديار المصرية ـ الهوارة والهنادي ـ فتغلب الحاسي على زعيم الاكراد وقتل اخاه وتتبع فلول رجاله ، فاستنجد زعيم الاكرد بعلي بك الاسعد فجهز له سرية من رجاله وامده بالذخائر والمهمات وحشد معه العساكر على ارض الخيط من اعمال صفد ٠ وفرق جموع عقيل آغا الحاسي ثم كتب للوالي والمشير يخبرهما بالحادث ويستأذنهما بالحملة على عقيل آغا فورد له الجواب بالشكر على ما قام به وطلب الكف عن تأديبه » (٢) ٠

● ما يلاحظه الباحثون

لا ندري هل كان بين علي بيك الاسعد وبين عقيل آغا الحاسي رئيس عرب الهوارة عداوة جارحة ليساعد اخصامه عليه ويغامر بابناء طائفته في سبيل ذلك ؟ ام هل كان بين علي بك وبين زعيم الكراد محمد سعيد باشا صداقة حميمة ليناصره على زعماء العرب من اخصامه ؟

ام ان حرص علي بك على رضا ولاة الدولة والعمل بوحيهم هو الذي حدا به لمناصرة زعيم الاكراد على رئيس عرب الهوارة ؟؟

١ ـ لاحظ ص ٢١ من اعيان الشيعة ج٤٢ ٠
٢ ـ لاحظ ص ٢٠٧ من جبل عامل في التاريخ ٠

بيد ان الذي يحملنا على ترجيح الباعث الاخير هو ان زعيم الاكراد هذا كان معينا من قبل الدولة ومن باشة دمشق قائدا لقوة من الفرسان الغير المنظمة – ملبشية شعبية – لحفظ الراحة في حوران او لمراقبة سياسة القبائل العربية في بوادي حوران وما جاورها ، وذلك بالمحافظة على توازن بين بعضها البعض او بايقاع الخلاف فيما بينها اذا قتضى الامر ؟ او بمساعدة الموالين للدولة على المنحرفين عن اوامرها والمتمردين عليها كما يبدو للقارىء من ملاحظة المحررات السياسية حيث يكتب قنصل بريطانيا من بلودان الى وزير خارجيتها ما نصه :

« في ٣ من آب سنة ١٨٥٨ ، كتبت لكم غير مرة عن حالة حوران واقتتال العرب فيها ولي الشرف ان انبئكم الان بان قبائل ولد علي ، والرولا ، بقيادة زعيميهما محمد الدوخي وفيصل الشعلان قد اقتتلا مرتين واسفر عراكهما عن خسارة خمسماية رجل تقريبا ، ويقال ان محمد الدوخي كانت خسائرة في هذه المعارك اعظم من خسائر خصمه وانه تراجع لجهة ايالة صيدا لجمع قواه ، فانضم اليه عقيل آغا (الحاسي) وبامرته خليط من شرد قبائل عديدة ، ومن بعض الدروز والمتاولة .

اما فيصل شعلان فقد انضم اليه بعض دروز حوران ، ومحمد سعيد آغا شمدين وهذا كان عينه باشة دمشق قائدا لقوة من الفرسان الغير المنظمة لحفظ الراحة في حوران ، بحيث كان يتوقع حدوث اقتتال عظيم بين زعيمي القبيلتين العربيتين » (١) .

ولاحظ ما قد تضمنته هاتين الجملتين في اخر رواية العلامة الامين « فحشد علي بك معهم واقام لهم الزاد والعلوفة فجاء امر الدولة بعدم التعرض لعقيل بن موسى هذا فظن عقيل ان علي بك هو الساعي باطنا بابطال الحرب » وفي اخر الفقيه « ثم كتب علي بك للوالي والمشير يخبرهما بالحادث ويستأذنهما بالحملة على عقيل آغا ، فورد الجواب بالشكر وطالب الكف عن تأبيه » .

كل هذا مما يدل على ان مساعدة علي بك لزعيم الاكراد لم تكن الا بوحي من الدولة لا لعداوة بينه وبين عقيل آغا ولا لصداقة بينه وبين زعيم الاكراد » .

نهب الدروز لجباع في سنة ١٨٦٠م

يقول وكيل القنصل البريطاني في صيدا « وفي ٢٣ من حزيران عام ١٨٦٠م انقض الدروز امس على جباع وحرقوا بيوت المسيحيين ونهبوا القرية وجرح

١ – لاحظ ص ٣٢٨ – ٣٢٩ من المحررات السياسية ج(١) .

الشيخ عبدالله نعمة الشهير ، وهو الرئيس الديني على جميع الشيعة في سورية فتراكض جميع شيعي ناحية جباع وبلاد الشقيف ، والشومر ، وبلاد بشارة لجهة جباع لمهاجمة الدروز » (١) .

ويروي العلامة الفقيه ويقول « حدثنا التاريخ ان النصارى اودعوا اموالهم في جباع في دار العلامة الشيخ عبدالله نعمة وفي دور آل الحر ووجيههم الشيخ علي الحر ، فانتهب الدروز تلك الامانات ، ولم يعفوا عن اموال العلامة نعمة وآل الحر ، فاهتز الجبل باسره واسرع محمد بك الاسعد على رأس الف فارس الى جباع لمهاجمة الدروز وحال دونه خورشيد باشا والي ايالة صيدا . فسوى المسألة واعاد المنهوبات وعوضت الدولة على العلامة الشيخ عبدالله نعمة وآل الحر » (٢) .

● ما يلاحظه الباحثون

لا يزال مصدر القول بان والي ايالة صيدا حال دون هجوم المتاولة وانتصارهم للمسيحيين ، او بان الدولة اعادت المنهوبات وعوضت على الشيخ عبدالله وآل الحر ما قد فقد لها ، لا يزال مصدر هذا القول غامضا ومجهولا على ان صاحب مجلة العرفان ينقل في تاريخ صيدا – عن مخطوطة والده الحاج علي زين ما نصه :

« وحينما حضر محمد فؤاد باشا وزير الدولة العثمانية على هذه الديار الشامية لاجل اطفاء الفتن التي سعرت نارها انئذ بين طائفتي النصارى والدروز بجبل لبنان وبسائر انحاء الولاية ، وهو عام السبعة وسبعين بعد المائتين والف ، وقتل من طائفة النصارى خلق كثير وتفاقم عليها الخطب . حتى آل الامر لحضور البابورات الفرنساوية مشحونة بالعساكر الى سواحل سورية ، وحضر الوزير المشار اليه فمهد الامور ، ومن وقتها حصل استقلال جبل لبنان .

وكانت الدروز بتلك الواقعة حضرت لجباع ونهبتها ومن الجملة نهبت دار العالم الرباني الشيم عبدالله نعمة قدس سره ، فنزل المرحوم الوالد (٣) لمدينة بيروت لمقابلة ذلك الوزير وطلب تعويضات المسلوب من امتعة الشيخ المومى اليه وقد استحصل رحمه الله على بعضها .

وبوقتها اهدى السلطان عبد العزيز الى الوزير المذكور سيفا مرصوعا فقالت

١ – لاحظ ص ٨٢ من المحررات م(٢) .
٢ – لاحظ ص ٢١١ من جبل عامل في التاريخ .
٣ – هو المرحوم جدنا الحاج سليمان الزين ، وقد قرات هذا النص بمخطوطته وبخطه وهي لا تزال في مكتبنا لدى اخي الاكبر الشيخ محمد حسين الزين .

علماء بيروت وشعراؤها قصائد مهنئة بها الوزير بما اهدى اليه ونظرا لـوجوده رحمه الله فيما بينهم وقتها قال في ذلك ، وكان لما قاله عند الوزير موقع حسن :

حسام النصر اهداه مليك ... لراقي الذروة العليا محمد
فكل العالمين تقول بشرى ... فؤاد الملك بالهندى تقلد
وبشرى بالفتوح بحد ماض ... يقد الهام والدرع المزرد
يرفرف فوق النصر الالهي ... اذا ما سله او كان مغمد
فياقوت والماس حصاه ... مع الاكسير في در تنضد
جواهر في اشعتها تحاكي ... سنا برق بليل قد توقد
وفيه النصر نادى ارخوه ... على مر الدهور به مخلد (١)

عفو الباشا عن علي بك لا يتفق
مع حجزه اشهرا في دمشق

يروي العلامة الشيخ محمد تقي الفقيه عن عفو الدولة عن البكوات ما نصه « وفي ذلك الوقت تشكلت ولاية سورية من ايالة الشام وايالة صيدا واتخذت دمشق قاعدة الولاية وعين اليها شرواني زاده محمد رشدي باشا ، وكان صديقا لعلي بك فمن ثم اعلمه بالامر وارجعه لما كان عليه ولكن القدر عاجل علي بك لوجود الوباء » (٢) ٠

بيد انه لو صح ما قد تضمنته هذه الرواية لما ساغ لمحمد رشدي باشا ان يؤخر علي بك بعد ذلك عدة اشهر في دمشق الى ان فاجاه الوباء وقضى نحبه كما يتضح من قول العلامة الشيخ محمد علي عز الدين :

« وفي سنة ١٢٨١هـ جاء خورشيد باشا الى صيدا واعتقل رئيس بلادنا علي بك الاسعد ومحمد بك الاسعد واخذهما الى بيروت ووضعهما في القشلة واغرى اهل البلاد بهما فاقاموا عليهما دعاوى كثيرة وبتوا في اعتقاله الى ان عزل نحو سبعة اشهر ثم نقلا من بيروت بعد عزله ومجيء رشيد باشا حكمدارا على بلاد

١ ـ لاحظ ص ٨١ ـ ٨٢ من تاريخ صيدا لمؤلفه الشيخ احمد عارف الزين : ولاحظ ان هذا النص لا يذكر ان المنهوبات قد اعيدت الى اصحابها او ان الدولة قد اعادتها بل ينص على انه استحصل على بعض المنهوبات من دار الشيخ عبدالله فحسب ٠
٢ ـ لاحظ ص ٢٢٠ من كتاب جبل عامل في التاريخ ٠

الشام كلها فاخذهما معه الى الشام فاقاما اشهرا ، ثم حصل الوباء سنة ١٢٨٢هـ وكانا اول من مات به عفا الله عنهما بمنه وكرمه » (١) ٠

● وثائق وملاحظات تاريخية

لقد ظل الحكم الاقطاعي بعاداته وتقاليده وانظمته القديمة ساري المفعول في انحاء جبل عامل حتى بعد العمل بالانظمة الادارية والقوانين المدنية التي اقرتها الدولة العثمانية سنة ١٨٥٦ ولم يحدث للاقطاعية ما يزلزل اركانها ويقوض دعائمها حتى كانت سنة (١٨٦٤) حين اعتقل علي بك الاسعد مدير مقاطعة تبنين وابن عمه محمد بك مدير مقاطعة جبل هونين ومرجعيون ولم يعودوا الى الحكم ٠

وقد اختلفت الاقوال في اسباب اعتقالهما واقصائهما عن الحكم ، فشبيب باشا بن علي بك الاسعد نفسه يذهب الى ان ذلك كان بسبب وشاية تامر بك الحسين ودسائسه لدى خورشيد باشا والي ايالة صيدا يومئذ ، كما يبدو من صريح الاقوال التالية :

« ان تامر بك الحسين السلمان العباس الذي عرف عند الخاص والعام واولياء الامور العظام وكان يدير حكومة مقاطعتي جبل هونين مرجعيون وكان ايضا ابوه من قبله فلما عهد به واشتهر من الحدة وعدم التروي باموره قد انشأ بعض اسباب ودواعي امالت والدي لتبديله لكونها كانت عليه وظيفة رئاسة العشائر وهو من بني عمومته ، وقد التمس هذا العزل والتبديل بنصيب البطل الباسل الشجاع الفطن النبيه نبيل محمد بك الاسعد الخليل وهو اقرب اليه من تامر بك نسبا واحب الناس لنفسه لما اجتمع فيه من الخصال الحميدة ٠٠٠ » ٠

« ولما اقلق هذا الامر تامر بك وازعجه وضاعف حدته ذهب للوالي وهو اذ ذاك محمد خورشيد باشا ٠ وبث ما في صدره من هذه الاحنة وبذل جهده في ابداء المرام والغرض ، واذا به حرك من الوالي شيئا كان يجده في نفسه من غرض سابق ، وكان بينه وبين والدي عدم تودد ، وهو رجل حقود وقد حاول تامر بك جهده بما امكنه لاعادته لما كان عليه ورفع محمد بك (وعزله) » ٠

« بالتصادف ان الوالي كان على ازماع التوجه لجهات عكا ، ولما كان طريقه لا يكون الا عن مدينة صيدا وسواحل بلاد بشارة حرر لوالدي ان يقابله بها وان يكون معه ايضا محمد بك فوافاه هناك ولدى مقابلته اولاه تمام الرعاية والحرمة ٠٠٠ » ٠

١ ـ لاحظ ص ١٥٣ من مخطوطة سوق المعادن وص ٩٠٦ ـ ١٠٠٨ من العرفان ٠

وفي اليوم الثاني جاء (الوالد) لمقام الوالي ولدى المحادثة اظهر (الوالي) بسياق الكلام قصده من اعادة تامر بك الحسين لوظيفته ورفع محمد بك عنها ، وابلغ محمد بك انه معزول ، فعندها تأثر والدي للغاية وقال للوالي « ان هذا التحويل والعزل والتبديل يمس بشعائر عبد للدولة العلية ؟ طالما اجهد نفسه وصرف حياته وماله بكسب رضاها ··· فاذا كان (محمد بك) معزول فانا ايضا معزول ؟ وانا على كل حال عبد للدولة العلية وهذه العبودية لا انفك عنها وكما ورثتها عن آبائي اورثها لابنائي » ثم قام وانصرف ؟؟ وقد علم (أي شاع) ما حصل من كلامه بحضرة الوالي فكان ذلك عونا لصاحب السعاية والمرام على اختلاق الفساد ، فجاء اليه (الى الوالي) وقال له ان علي بك مستعد ان يهجم على حضرتكم بملء معه من العدد الوافر الموجود بمعيته ومده لذلك ، ثم استدل بما كان من كلامه (الذي خاطب به الوالي ···) ·

فمع علم الوالي بعدم احتمال ذلك من مثله ·· عمد الى تبليغ والدي ومحمد بك بالتوجه لمركز الايالة بعد ان اتخذ الاحتياطات استجابة لتصوراته ؟؟ فتوجها ، وسار هو قاصدا جهات عكا » (١) ·

★ ★ ★

ولكن من يقرأ بعض الروايات التاريخية من مخطوطة الوجيه الفاضل الشيخ محمد مهدي مغنية (جواهر الحكم) يشعر ان السبب الرئيسي الفعال لاعتقال علي بك ومحمد بك هو جمعهما الاموال الاميرية من اهالي البلاد وعدم تسديدها لخزينة الدولة على مدى سنة او سنتين او اكثر ، كما يبدو جليا من النصوص التالية :

في اواخر سنة ١٢٧٢هـ دعي صاحب المخطوطة الشيخ محمد مغنية الى تبنين من قبل الزعيم علي بك الاسعد وغب المقابلة روى عنه انه « في اثناء الحديث معه اورد عبائر (مضمونها) ان الدولة العلية التزمت في امورها تعيين نائب للشريعة وكيلا من طرف الملا (أي القاضي) بمركز حكومة الاعلا في بيروت ، وقال البك ان بلادنا ينبغي ان يكون نائب قاضي من اهلها ليس تركيا (٢) لا يعرف اللغة وعوائد البلاد وخصوصا الشيعة لا تفصل دعواها بالمحاكم الا عند العالم المسلم بفضله وعفافه وعقله ودينه واحب ان تكون المراسلة باسمك والخطاب لهذا العاجز (٣) ·

فاعتذرت اليه بوحدتي وعدم معرفتي بادارتها ، فتعهد علنا انه لا يكلفني بشيء واذ المراسلة مع الدولة في جيبه (٤) فاخرجها وقرأها على الجميع ولم ادر — يومئذ — ما معنى النيابة وما لازمها ولوازمها ، ولم يكن لي مناص من الخروج عن ارادته فاظهرت القبول ضجرا متكلفا ورجعت الى محلي ، وبالحقيقة

وفي حسب عهده ما حملتي شيئا من اثقالها (اثقال نيابة القاضي) اذ كان يعقد لديه المجلس وتعرض القضايا النظامية والشرعية وبرؤية ؟ يفصل الجميع بدون ان يحضرني ودرج الامر على هذا الحال الى اواخر سنة ١٢٨٠هـ يوم اخذه الوالي خورشيد باشا الى بيروت واعتقله مع ابن عمه محمد بيك ·

الحوادث بعد اعتقال بكوات جبل عامل

يقول المؤلف « ولما اعتقلت الدولة علي بك الاسعد مدير مقاطعة تبنين ومحمد بك الاسعد مدير مقاطعة مرجعيون وجبل هونين في صيدا سنة ١٢٨١هـ واخذتهما الى بيروت حضر الباشا من صيدا الى قلعة تبنين رأسا ، وكان برفقته السيد محمد القشاقش اذ هو مفتي البلاد عموما (افتاء اعتباريا لا رسميا) اطلقت الحكومة عليه هذا الاسم ، لكن المعاملة النظامية على خلافة أي انه ليس المجلس (مجلس الادارة) مربوطا لحضوره والقضايا لا يرخص النظام الا به كبقية اصحاب الفتوى (المعينين) بمراكز الحكومة » (٥) ·

ولما وصلنا لبنت جبيل واكثر الطريق القوم يخبطون بهذين البيتين والباشا ومن جملة الداخلين في حوزته ، فطلبني الوالي اليه وبحضور السيد سألني عن مسائل واهية تجر الضرر على البيكوات (٦) فتنصلت منها ، واقمت البراهين من ان النيابة كانت عملي رسما لا طاعة امر الدولة العلية باقامة النواب بمراكز الحكومة فكنت لا اباشر شيئا ولا اتعاطى فصل قضية ، والشيعة لا تشرع الا عند علمائها ، فقنع مني الباشا وما تكدر مني بشيء لا قولا ولا فعلا ، فما شعرت الا قبل ركوبه بقليل حضر احد الجند الخاص بالباشا وقال يؤمرك الباشا ان تكون معه الى بنت جبيل وخذ معك رئيس المجلس الحاج حسين جابر ، فقلت ممتثلا : نعم ، وصبيحة يومها بكرة ضرب النفير وركب الباشا وركبنا جميعا السيد محمد امين ، والشيخ حسن سبيتي ، والفقير ، والحاج فرحات (×) وكان مع الباشا محمد افندي الحسين من بيت عبد الهادي ، والمفتي الطرابلسي ،واحد اعضاء المجلس انطون افندي نصرالله وبنصف الطريق التفت الباشا الى المفتي والسيد ، والشيخ وسألهم عن معنى بيتين وهما :

رأت قمر السماء فذكرتني   ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن   رأيت بعينها ورأت بعيني

وكل من الحاضرين لا يعرف بالادب شيئا ولا الاشعار ومعناها (=) وعندي معرفة تامة بالادب واشعار المولدين والعرب خصوصا هذين البيتين اطلعت عليهما في الانوار النعمانية للسيد نعمة الله الجزائري مع وجه تفسيرهما ·

ولما كنت محرزا معناهما تقدمت الى الباشا واردت تفصيل المعنى والكلام
به فحول وجهه عني فتركت ولما اعرض اعرضت وحولت قضيتي الى الله سبحانه
وعلمت انه فيه دسيسة ودفين حاصل وشيء عظيم من رجل مقتدر يستميل اليه
الباشا (٧) ٠

ولما وصلنا لبنت جبيل واكثر الطريق القوم يخبطون بهذين البيتين والباشا
يضحك على ما يتكلمون به ، وبالحقيقة كلام من ليس عنده ادنى رائحة المعرفة (٨)
الى ان وصلنا الى بنت جبيل نزلنا في بيت الحاج محمد بزي ، السيد ، والشيخ ،
والفقير ، واذا السيد والحاج محمد والحاج حسين استعملوا مشورة بينهم
متحادين عني ليلا وطولوا وطالوا ، فنمت وتركتهم وجعلت عليهم رقيبا من لا
تخفى عليه خافية (٩) ٠

حتما هؤلاء الذوات لهم اخصية مع بعضهم في الاشغال العمومية واما الخصوصية
بينهم بعد المشرقين ، وعند الصباح طلبني الباشا اليه للسرايا التي كانت ملكا
الى تامر بك الحسين (١٠) فدخلت عليه فوجدته هو والسيد فابتدأني بالكلام
وقال لي ان البقايا من الاموال الاميرية المتراكمة على بلاد بشارة اهي حقيقة
على البلام ام على البكوات اجبته لا اعلم لاني ما كنت متداخلا معهما في
الاشغال (١١) والنيابة هي رسم امتثال لاوامر الحكومة السنية ، فنهض السيد
وقال عندك علم كل شيء من هؤلاء الجماعة !! وبالواقع لاعلم لي فاعرضت
وبرهنت فما سمع كلامي بل امر كاتبه رفول العورة ان يقطع امرا الى متصرفية
عكا بوضعي في اللومان (حبس عكا) فخرجت من عنده وحسبت الدنيا باجمعها
صارت ظلام وداخلني الخوف والوهم لان قبل هذا الباشا ما تعرفت بوزير فوقفت
باسوأ حال ، فطلبني وقال ان خطيتك وخطية عيالك في رقبتك ، فاعتذرت وتنصلت
فما صادف كلامي سوى ان شدد الامر واحضر القيد والبغلة وختم الامر وسلمه
الى الجند ٠

فقلت الى والي رئيس المجلس الحاج حسين اذا صدر امر دولتكم بسؤاله
فهو ادرى بالحقائق ، فاتي به ، ومن حينما دخل المحل اخذ يرجف وما حملته
رجلاه على الوصول قدام (الباشا) فابتدأه الباشا مسكنا روعه بانه لا بأس عليك
انت رجل مغصوب بما كنت تفعله ، اسألك عن مسائل فتجيبني عنها لانك ادرى
واعلم من الجميع من وجوه ، الاول انت رئيس المجلس وكل حق كان للخزينة او
للاهالي هو موقوف عى اجازتك (١٢) فقرر لي الواقع لتسلم مني والا ارسلتك مع
النائب الى عكا ، فما قدر حينئذ الحاج حسين على رد الجواب لكثرة ما داخله
من الخوف فأمهله حتى سكن اعاد عيه فاجابه : ان البقايا بجملتها في جميع
القضاء هي بذمة البكوات لم تزل ، فتهلل وجه الباشا وقال له اكتب ذلك واختم

فكتب ، وختم ، وقال لي فاشهد عليه فوضعت شهادتي ، عندها قال لي سمحت
عنك بشرط انك تكون مع محمد افندي يدا واحدة (١٣) اجبته امرك ، فاهتم
بالركوب ولما استوى على ظهر البغلة طلبني وقال لي ان الشقيين يزعمان ان جملة
قرايا مضمحلة عن الادارة (١٤) فانا متوجه الى عكا وانا برجوعي منها اذا
علمت ان ممشى فدان بقر واحد متعطلا تستوجب (انت) المسؤولية وتكديري ،
اجبته امر دولتكم ، فرجعت انا والسيد الى قرية عيناتا وتوجهنا الى تبنين وحضر
مأمور القرعة ، وجرت القرعة باشياء وقعت يطول شرحها لا حاجة لنا
باثباتها (١٥) ٠

التزام القرى وجمع الاموال بواسطة القرعة

انما بعد مضي القرعة كان صدر امر من الباشا الى العامل بتبنين امرا
مشددا مكدرا ، من ان السيد (محمد امين) تداخل بالقرعة بجمع الاموال والتزام
القرى التي كانت مع البكوات ويهدده ويوعده ويتوعده (١٦) ٠

الى استقبال الباشا في القليلة

بعد انقضاء القرعة توجهت الى محلي واعتمدت على العزلة واذ شرف
السيد محمد امين والشيخ حسن سبيتي معا والزماني بالركوب الى القليلة لانه
اشتهر رجوع الباشا التزمت اطاعتهما وقلت المصانعة واجبة حتى تمضي تلك
الحادثة (١٧) ٠

ولما وصلنا الى البلدة المذكورة واقمنا بها ثلاثة ايام حتى ارسلت عريضة
للباشا عن لساني خاصة بان القرعة مضت طبق مشرب دولتكم من سلوك الجادة
والانصاف (١٨) فلما تناوله وقرأه الباشا في عكا ضحك وقال هذا من نائب افندي،
فجاءني الخبر بما توقع فتطمن السيد بعد ان كان مستوحشا فزعا ٠

باثناء ما نحن في القليلة واذ حضر الشيخ علي سبيتي وحول – ونحن في
الفوقاني – نظراته فنزلت اليه واسريت اليه مناصحا وقلت له ان الملأيؤتمرون ،
فحالا ركب فرسه وتوجه منها ، وثاني يوم توجهنا الى عكا سوية ، السيد
والشيخ ، والحقير ، ولما وصلنا الى عند الباشا تلقانا وترحب واهلنا وانسنا
كثيرا كثيرا ، وخفت من تلك الملاطفة اذ عوائد الاتراك اذا ارادوا ان يبطشوا
بشخص يظهروا له تمام الاحسان ، استقمنا ثلاثة ايام وبعدها ترخصنا ورجعنا
قدام الباشا وقابلناه في صور ٠

مظاهر الخلاف والخوف من مجلس التحقيق

وجرت في صور احوال وامور ، فصدر امر الباشا بتوجهنا معه لبيروت واستقمنا هناك عما يزيد عن ستين يوما وباثنائها صار طلبي الى مجلس التحقيق (١٩) وما قدروا على اخذ حرف واحد مني فيه تمسك او يعين على غايات انفاذ مأرب الباشا ، وطلب مجلس تبنين ، الحاج حسين جابر ، ورفقاه فكذلك حولوا عن تقريرهم الاول (٢٠) فتكدر الباشا جدا لذلك ما طلق سراحتي حيث مأموله كنت اقرر حسبما يريد فوجد الامر بخلاف ، والمجلس تغير عن حالته الاولى والسيد (محمد امين) جعل عيونا على الفقير مخافة من تداخل البكوات (٢١) وانا خائف ان يغتالني خورشيد باشا ، فارسل محمد بك خادمه الخاص حسين رسلان يطلبني الى القشلة عند البكوات ، قلت له اني اخاف من الباشا، لكن تداخلوا مع ارباب القشلة وارشوهم كي لا يشعروا احدا ، وفي غد اتوجه اليهم ، وصباح اليوم الثاني توجهت سرا ولا يعلم احد ، وحين دخولي قشلة العسكر ادخلني ظابط الى جهة محل اقامة البيكوات ، والا محمد بيك لاقاني متهللا وجهه وعانقني مترحبا سلام احباب واخذني بيده فدخلنا على الامير علي بيك سلمت عليه وقابلني بالسلام والتحية غير مقابلة محمد بيك فجلست برهة وجيزة وجرى بعض كلام من الامير الكبير ما يخل بالخلة فجاوبت على مقتضى الحال الى ان قمت على حالة غير مرضية مني ومن الامير ٠

وتوجهت الى شغلي وباليوم حضر حسين رسلان وافادني ان الاميرين حصل نفرة بينهما ومباعدة اوجب الحال الى ان هجرا بعضهما بعضا وقال ان محمد بيك يريدك مواجهة ولو من بعيد فقابلته بعيدا واومأ الي باشارة وارسل لي كلاما مع معتمده فالتزمت الى التوجه مرة ثانية سرا فلما دخلت القشلة واذا الاميران ينتظران قبيل الباب فتلقياني بسلام وترحاب غير الاول واخذاني الى محلهما باكرام واحترام وتبجيل وتأهيل واستقمنا تقريبا من ساعتين ونحن في الحديث وتعززت عليهما بعدم اظهار الرأي فظنا اني اريد الدراهم على حسب مشرب اتباعهما وبطانتهما فافصحا ان كل شيء تحت خاطرك ، والحالة ان قصدي ابين لهم اعتقادهم فيمن جاعلين لهم رواتب وقرى ومعاشات (٢٢) وانا علمت خيانتهم بحقهم لكن معاذ الله ان اكون نماما فقلت ما قصدي الدراهم ولا نصحي ابيعه لكم بسوق الحرج والمقاولة ٠

التنافس في كتابة المضبطة

ثم اظهرت لهما الرأي وبينت لهما مواقع الحكمة والحكم وكيفية سريان

الامور ، لو كنت تشاهد الامير محمد بيك حينما تكلمت ونقضت وابرمت وحزمت وحكمت كيف كان يترنم ويشرق من وجهه النور ويطفح من فؤاده السرور حتى احكمت لهم الرأي ، ومن جملة ما فهمت به : انه يجب ان يعمل مضبطة من مجلس تبنين ينقض جميع ما عمله وفعله خورشيد باشا وترسل الى الاستانة للباب العالي ، فوجداه امرا عظيما واستحسناه لكنهما قالا من يكتب صورة المضبطة ؟ فمحمد بيك قال ليس احد يحسن تحكيمها ويعلم مشرب (٠٠) غيرك فقال الامير الكبير ينبغي ان ترسل معتمدا الى الشيخ علي سبيتي ان يعمل صورة حيثما له وثوق به وكان عنده وزير الداخلية فارسل ايوب عربيد من الخدم وركبه وهو انه الخاص وامره ان يجد بالسير ، فكتب له كتابا وسلمه اياه وقال انا اعمل صورة والشيخ عبدالله البلاغي يعمل صورة وانت تعمل صورة ، فتمنعت فاسر الي محمد بك وقال لي من الواجب ان تعمل صورة بكلما تقدر حتى تبين للبيك ما انت عليه ، لانه بالاول ماعرف منك هذا الفن حتى كانت خطبة السلطان ـ أي الخطبة التي كتبها المؤلف بلسان علي بيك ليرسلها للسلطان العثماني لدى جلوسه ـ فدخلت في هذا السوق مع (الادباء) ، والان اذا علمت واحكمت يظهر الامر حسب معتقدي فيك ، وانا ومحمد بيك على ولاء واحد غير ممكن احدنا يخرج عن ارادة الاخر فقلت له نعم فغبت عنهما يوما وثانيا وفي الثالث ارسلا بطلبي اليهما ٠

كان قد تحقق عزل خورشيد باشا وتغيير الحكومة عن المشيرية الى الحكمدارية اعني الولاية لانه قد كانت بيروت مشيرية ، والشام كذلك فصارت سوريا ولاية واحدة تحولت الى عهدة دولة محمد رشدي باشا الصدر ٠

ولما اتيت الى البيكوات وجدت الشيخ البلاغي وهم ينتظروني اخبروهم بوفودي قابلوني بالاقبال وانا حسن البزة والحال ، ولما استقر المجلس ، واذ صار تلاوة الصور المذكورة الى الاخر تليت الصورة التي عملتها ، لولا تزكية النفس لقلت ، فحينئذ قال البيك الكبير وبالحق ان فلان علامة بمشرب الزمن وبالسياسة، وان يكن الشيخ عبدالله البلاغي واحد سوريا لكنما فلان جمع ما عند البلاغي وزيادة قلمه ، فنعرف جميعا له كلام مثل هذا ، فقال ينبغي ان تبيض وتختمها من مجلس تبنين (وهو المجلس الذي شهد لخورشيد باشا في بنت جبيل بخلاف مضمون المضبطة) فاخذتها وبيضتها وختمتها وبعد يومين احضرتها له وكان حضر الوالي الجديد وتوجه خورشيد باشا الى البابور (٢٣) ، وبعد مباشرة الوالي رد السلام ويومين من حضوره باليوم الثالث او الرابع ارسل علي بيك ولديه محمد نجيب بيك وشبيب بيك الى مقام الوالي ومعهما المضبطة فوصلا وقدما لدولته الاحترامات اللائقة واعرضا المضبطة لبين اياديه ، فصادفت القبول ؟ وطلب دولته السيد محمد امين وساله عن اعمال خورشيد باشا (واستجوابه لمجلس تبنين) اكانت بالمجبورية ام لا ؟ اجاب السيد لا اشهد بالمجبورية بل في بنت جبيل على خورشيد وهو يقول الى النائب انت مسافر الى عكا واحضرت له

البغلة ؟! فضحك الوالي وقال السيد لا يشهد بالمجبورية بل يشهد ان النائب معزوم الى عكا الى السيران واكتفى بذلك واطلق البيكوات من الحبس وتوجها اخذا دارا مستقلة فزرتهما فيها ·

من اساليبهم السياسية

ثم يقول المؤلف « أحب ان اعلمك حينما جاء الوالي محمد رشدي الى بيروت وتوجه السيد ومجلس تبنين للسلام على الوالي وتوجهت معهم بنصف الطريق اصابني وجع بطن فرجعت الى المنزل ونمت فيه الى ان حضروا واخبروني انهم سلموا على الوالي ، وكنت قد استعديت على خطبة وستة ابيات تهنئة فثاني يوم توجهت للسرايا واخذت الاذن وقلت الى الياور (امين السر والمرافق الخاص ان فيه احد علماء بلاد بشارة حاضر مخصوص لتقديم التهاني الى دولة الوالي فجاء الاذن ، اما والله من حينما دخلت باب الديوان قام واقفا حتى انتهيت اليه فتمنيت ، وقابلني بالرد وامرني بالجلوس على الكرسي لجانبه فبعد القهوة اخرجت الهدية قرأتها واخذها قرأها واستوعبها وهو من العلماء الادباء ، قال ممنون متشكر ، بعد هينهة قمت فقام واحترمني أي احترام ، فبعد ثلاث ؟؟ حضرت ودخلت عليه فزاد اكرامي واعرضت لديه ان قصدي وجل مجيئي تقديم التهاني لدولتكم فاظهر الامتنان بزيادة وما علم مني اني النائب وسترها المولى بستره مترخصت وتوجهت الى محلي واستقمت ·

● الهوامش والتعليقات

(١) لاحظ ص ١١١ ـ ١١٣ من مقدمة ديوان شبيب باشا الاسعد ، ثم لاحظ ان كلام الاسعد هذا يشعرك بان والده علي بك سعى في تلك الفترة بعزل تامر بك الحسين واقامة محمد بك الاسعد محله في مديرية مرجعيون وجبل هونين ، وان هذا العمل حرك تامر بك للسعاية عند خورشيد باشا ضد علي بك وضد ما اجراه من عزل وتعيين ، ليعود الى محله في مديرية مرجعيون ·

ولكن من المعروف الذي لا شك بواقعه ان محمد بك الاسعد لم يصبح مديرا في هذه الفترة التي سعى فيها تامر بك لعزله واخذ مركزه ، بل كان مدير لقضاء مرجعيون منذ سنة ١٨٥٨ ، كما يتضح من مراجعة النصوص التاريخية ص ٣٥٩ ثم ص ٣٧٨ من المحررات السياسية والمفاوضات الدولية ج(١) ·

وان رتبة رئيس العشائر كانت رتبة شرقية لا رتبة رسمية تمنح صاحبها ان يعزل من يشاء ويوظف من يشاء من الحكام ، او تفرض على بقية رؤساء العشائر ان يأتمروا بامره طوعا او كرها ، وشاهدنا على ذلك انهم لم يطيعوا حمد البك

قبله يوم دعاهم للحرب مع الدولة في لجا حوران سنة ١٨٥٣ ، كما يتضح من مراجعة ص ٦١ من مخطوطة سوق المعادن لعز الدين ، وص ١٤٤ من كتاب (للبحث عن تاريخنا في لبنان) ·

وعلى هذا فعزل تامر الحسين وتعيين محمد الاسعد لم يكن من صلاحية علي بك ، وان العزل والتعيين لم يكن من الحوادث التي نجحت في هذه الفترة كما يذهب شبيب باشا في رواياته وقصصه ·

ثم لو ان خورشيد باشا ـ يوم طلب علي بك ومحمد بك الى صيدا ـ كان يقصد مجرد عزلهما عن الحكم ولم يكن يقصد مع ذلك ان يعتقلهما ·· اذن لبلغهما اوامره بالعزل مع قوة من عسكره ولم يطلبهما الى مركز الولاية ويعتقلهما ·

ثم لو ان خورشيد باشا كان يحسب الحساب لانصار علي بك وزلمه وقواده الشعبية يوم ذلك لما صمم وعزم على ان يمر في قلب بلاد بشارة ويجري التحقيق الصارم مع اشياع البكوات وزلمهم في نفس الوقت الذي اعتقل به البكوات · ولم يرجع تامر بك الى مكانه في الحكم بل عين حكاما من الاجانب عن اهالي البلاد ·

واما قصة الخوف او التخويف من الحاشية والحشم الذين جاءوا مع البكوات الى صيدا يوم دعاهم الباشا لمقابلته ، فحسبي دليلا على مدى حجمها واثرها ما قد سمعته من حفيد علي بك الاسعد المرحوم احمد بك الناصيف وهو يعتذر عن مبالغة زعماء آل الصغير في ممالاة الحكام والامتثال لاوامر الولاة ولو كانوا ثائرين في قرارة نفوسهم ويلتمس المبررات للمتزعمين في الغض من قيمة القوى الشعبية او من اثرها على نفوذ كلمتهم ، اذ قال ما معناه او ما نصه :

« ان حادث اعتقال علي بك وابن عمه زعماء آل الصغير درسا في عدم الاطمئنان للانصار والزلم والجماهير الشعبية ، فان علي بك حين اعتقل التفت قبل ان يصل الى القشلة فلم ير احدا وراءه من الانصار والزلم اذ بمجرد ان شعروا بخبر الاعتقال اختفوا وتفرقوا ثم تسللوا من صيدا الى قراهم وبيوتهم ؟؟

* * *

(٢) ـ لاحظ ص ١٠٩ ـ ١٢١ من مخطوطة (جواهر الحكم) ثم لاحظ قول المؤلف « اورد عبائر ان الدولة التزمت في امورها نائب للشريعة ، ثم قوله » ان بلادنا ينبغي ان يكون نائب قاضي من اهلها ليس تركيا » الا يبدو من فحوى ذلك ان الدولة لم تامر البيك صراحة بتعيين نائب شيعي في مقاطعته وانما هو الذي استحسن ذلك كما يدل قوله : ينبغي ان يكون نائب القاضي من اهل البلاد ·

(٣) ـ يعني يحب الحاكم علي بك ويهوى ان تكون الاحكام المرسلة للدولة ممضية باسم المؤلف وان يكون نص الخطاب والاحكـام المعتبرة شرعية مـن تسطير الحاكم علي بك وحسب مشيئته الفردية ووحي مصلحته ٠

(٤) ـ ثم لعله يقصد بالمراسلة هنا مراسلة البك للدولة ومخاطبتها بشأن امور البلاد الادارية والمالية ، لا مراسلة الدولة لعلي بك بشأن تعيين نائب القاضي ٠

(٥) ـ يعني ان لقب السيد محمد القشاقش بمفتي بلاد بشارة لقب اعتباري ورتبة شرفية ، لا انه عين رسميا مـن قبل الدولـة كبقية القضاة والمفتين الذين عينتهم الدولة ليشغلوا مراكز القضاء والافتاء في الولاية او في القضاء بل لعل تعيينه كان من قبل حكام المقاطعات البشارية ، وكذلك نظن ان اسناد نيابة القاضي للمؤلف كان اعتبارا لا رسميا ومن قبل الحكم الاقطاعيين انفسهم لا من قبل الدولة العثمانية ، ذلك بان من المعروف تاريخيا ان الدولة العثمانية لم تكن تسمح بمركز قاضي او بمركز مفتي لاحد من مشايخ اهل السنة الا اذا كان حنفي المذهب فكيف تسمح بذلك لرجل شيعي ـ لا تعترف رسميا بمذهبه ـ ان يكون مفتيا او قاضيا او نائبا ، وقد رأينا في عصرنا ان الدولة العثمانية لـم تعين ـ حتى في النجف الاشرف ـ مفتيا او قاضيا او نائبا للقاضي الا من اهل السنة ولعله كان للظروف يومئذ حكمها في السماح للحكام الاقطاعيين ان يعينوا مفتيا من قبلهم ومن ابنـاء طائفتهم ثم قاضيا معه ، ولو كان غير معترف بمذهبهما رسميا من قبل الدولة ٠

(٦) ـ يظهر من قوله (تجر الضرر على البكوات) انه انما تتصل من تلـك المسائل لانها تجر الضرر على البكوات لا لانها مسائل واهية او كاذبة ولا لانهـا تجر الضرر على اهالي البلاد الذين دفعوا بواسطة البكوات كل ما عليهم للدولـة من اموال اميرية ولكن البكوات صرفوها ولم يدفعوها ويسددوها للخزينة بـل ظلت مسجلة على اسم الاهالي ، كما يتضح فيما بعد استجواب رئيـس مجلس الادارة في تبنين ومن قصة الاموال الباقية على قرية طير دبا من عهد البكوات حتى عهد يوسف آغا المملوك في صور ٠

(٧) ـ اذا لاحظنا قول المؤلف السابق عن السيد محمد امين قشاقش « ولـما حضر الباشا والسيد كله بكليته مصروف لجهة الباشا ومن بطانته ومن جملـة الداخلين في حوزته » ثم قوله « فطلبني الوالي اليه وبحضور السيد سألني عـن مسائل واهية تجر الضرر على البكوات » بدا لنا من ملاحظة هذه الاقوال وامثالها ان المؤلف يتهم السيد محمد امين بالوشاية والتآمر ، اذ ليس هناك رجل من الشيعة كان مصروفا كله بكليته لجهة الباشا مثل السـيد محمد امين ، وخصوصـا ان

السيد قد كذب المؤلف امام الباشا وقال لـه ـ حين انكر علمه بـامور البكوات ـ عندك علم كل شيء من هؤلاء الجماعة (أي البكوات) ٠

(٨) ـ ان هذا القول وامثاله من المؤلف يتناقض مع النصوص الشعريـة والمراسلات الادبية التي اشتملت عليها ترجمة السـيد محمد امين ونسبت لـه صفحة ٣٠١ ـ ٣١٢ مـن اعيان الشيعة ج٤٣ ، وعليه فباي المتناقضين نشـك وبايهما نثق وتؤمن ؟؟

(٩) ـ يظهر من سياق كلام المؤلف هنا انه كان مرتابا من خلوة هؤلاء الاعيان ومن تشاورهم دونه في مشاكل الساعة او في مشاكله هو نفسه مع البكوات ٠

(١٠) ـ يظهر من قوله « السرايا التي كانت ملكا لتامر بك الحسين » ان تامر بك لم يكن يملكهما في ذلك الوقت ، ولم يكن موجودا معهم فيها ٠

(١١) ـ أي ان المؤلف لم يشترك مع علي بك ومحمد بك الاسعد في الاشغال الادارية ٠

(١٢) لعل الباشا يقصد برئيس المجلس رئيس مجلس الادارة الذي كان يتألف في كل قضاء وكل مديرية وكان بمقتضى القوانين الادارية كل امر موقوف على اجازة رئيس المجلس له ، ولكن دكتاتورية الحكم الاقطاعي لم تكن تسمح بشيء من ذلك للمجلس ولرئيسه الذي كان يعين من قبل الحاكم الاقطاعي نفسه ٠

(١٣) ـ لعل الباشا قصد بقوله (محمد افندي) السيد محمد امين قشاقش لانه شعر (من الحوار) باختلاف ميول كل منهما عن الاخر في السياسة الاقليمية، ولا لفظة الافندي باللغة التركية مرادفة للفظة السيد باللغة العربية ٠

(١٤) ـ لعل الباشا قصد بقوله (الشقيين) علي بك ومحمد بك الاسعد ، وان في تعبيره عنهما بالشقيين ما يشف عن مدى نقمته عليهما او ازدرائه بهما ، ثم لا شك بانه قصد بالقرايا المضمحلة القرايا الخراب او المعطلة ارضها من الفلاحة والزراعة والاستغلال ٠

(١٥) ـ من المعروف ان اخذ العسكر وجمعه كان يومئذ بالقرعة ، وذلك بان توضع اوراق صغيرة ضمن كيس صغير ، ويمد كل رجل بلغ السن العسكرية يده ويسحب ورقة منه فاذا كانت الورقة بيضاء لم يكتب عليها شيء فمعناه انه معفي من الخدمة العسكرية وربما تخلل هذه القرعة طـرق ملتويـة يستغلها اصحاب النفوذ لتحقيق اغراضهم ومطامعهم ٠

ولا ندري ما يقصده المؤلف هنا من القرعة اهي القرعة العسكرية ام القرعة على تلزيم القرى والمزارع التي كانت مع البكوات في العهد الاقطاعي ؟؟

(١٦) ـ لعله يقصد من تداخل السيد بالقرعة وبالتزام القرى التي كانت مع البكوات ان السيد كان يستعمل الطرق الملتوية اثناء القرعـــة واثنـاء التلزيم ليستغلها في ارضاء مطامحه الشخصية ، او ارضاء الاشخاص الذين يستدرجونه بالهدايا او المساعدات السياسية والمعنوية ٠

(١٧) ـ يظهر من قوله « التزمت اطاعتهما وقلت المصانعة واجبة حتى تمضي تلك الحادثة » ان المؤلف كان ناقما على السيد محمد امين، ولكن الخوف اضطره الى المصانعة لئلا يستحكم السيد منه او لئلا يخالف وصية الباشا له (بأن يكون يدا واحدة مع محمد افندي) ٠

(١٨) ـ لعل المؤلف قصد من تبريره للقرعة التي اجراها السيد محمد امين في تبنين ان يعلم الباشا انه اصبح مع السيد يدا واحدة كما اوصاه ان يكون ، مع ان المؤلف كان شاكا بانصاف القرعة وعدالتها ، ولهذا ضحـــك الباشا مـن فحوى العريضة ومن مضمونها السياسي المموه بنظر الباشا ، ولهذا تطمن السيد بعد ان كان خائفا فزعا من التشكيك باعماله لدى الباشا ٠

(١٩) ـ لا ندري ما هي الامور التي جرت في صور وأوجبت اعتقال المؤلف ستين يوما في بيروت واجراء التحقيق معه ، ولعله قصد بالامور تشكي الاهالي وتقديم العرائض بحق البكوات وموظفيهم ، كما يستفاد من روايـة صاحب سوق المعادن وقوله « وفي سنة ١٢٧١ هـ جاء خورشيد باشا الى صيدا واعتقل رئيسي بلادنا علي بك الاسعد ومحمد بك الاسعد واخذهما الى بيـــروت ووضعهما في القشلة وأغرى أهل البلاد بهما فأقاموا عليهما دعاوى كثيرة » ٠

لاحظ ص ٦١ من مخطوطة (سوق المعـــادن) ثم ص ٩٠٦ وص ١٠٠٨ من العرفان م ١٠ ٠

على ان هناك ما يوضح لنا بأن بعض الشكايـــات كانت تجري وتتكرر قبل اعتقال البكوات كما يبدو من رواية صاحب الاعيان وقوله « حدثني الحاج محمد مبارك وكان من اتباع آل علي الصغير ، قال تقدمت مضبطة في الشكاية على علي بك ومحمد بك الاسعد ، وقع فيها السيد محمـد الامين والشيـخ علي زيدان ، والحاج محمد البزي ، والحاج حسـين فرحات ومحمد الجوني ، فأرسلها ولاة الامور الى البكوات وطلبوا منهم توقيع مضبطة من هـؤلاء الجماعة بضدهـا، فركب محمد بك من الطيبة ليلا واخذني معه وكنت صغير السن فلما وصلنا شقراء نزل قريبا ، وارسلني الى دار السيد محمد الامين وقال قل له يقـول لك اخوك محمد بك وقع هذه المضبطة واختمها ، فقال لي واين هو محمـد بك قلت خارج القرية ، فأراد أن يذهب اليه فقلت انه مستعجل ولا يرضى بذهابك اليه ، فوقعها وركب محمد بك وانا معه قاصدين بنت جبيل حتى وصلنا وعرة بيتحون فسمعنا

حسا على الطريق وجلسنا بين الشجر ، واذا بالحاج محمد بزي والحاج حسين فرحات ومحمد الجوني ، فقال لي قم وادعهم فدعوتهم فحضروا ، واخرج شمعة فأنارها وأمرهم بختم المضبطة فامتثلوا ومضوا لحال سبيلهم وعدنا الى الطيبة»٠

(لاحظ ص ١٨٥ من أعيان الشيعة ج ٤٢ طبعة ثانية) ٠

(٢٠) ثم لا ندري لماذا انكر اعضاء مجلس ادارة تبنين مـا قد صرحوا بـه للباشا من ان البقايا المتراكمة على بلاد بشارة (من الاموال الاميرية) هي حقيقة على البكوات ، لا على اهالي البلاد ؟؟ ولا ندري كذلك فيمـا كان خـــوفهم ؟ أفي الاعتراف للباشا به أم في انكار ذلك جملة وتفصيلا ؟

ثم هل كان مصدر اضطرابهم وترددهم ، هو الخوف من الباشا على مصير البكوات ومصالحهم ؟ أم الخوف من نقمة البكوات المرتقبة فيما اذا رجعـوا الى مراكزهم ، ام كان الخوف على مصير اعضـــاء مجلس الادارة انفسهم من نقمة الباشا وعقابه الصارم ؟؟

ولكن اذا لاحظنا كلام صاحب المخطوطة عن مشاكله مع الدولة بشأن الاموال الاميرية الباقية على قرية طيردبا من عهد البكوات ، وتصريح المؤلف مرارا بأن هذه البقايا من الاموال التي بلغت على حد قوله (ماية وسبعين الف قرش) كانت تدفع للبكوات ، والبكوات لا يسددونها لخزينة الدولة ٠٠٠ تأكد لنـا ان اعضاء المجلس ونائب القاضي معهم انما أنكروا وتحرجوا من الاعتراف بالحقيقة لامرين مختلفين ، طمع نائب القاضي بعودة البكوات الى الحكم وبعودته هو الى ما كان عليه ، او خوفه وخوف جميع اعضاء المجلس الاداري من مغبة عـودة البكوات المقدرة وانتقامهم ممن لم يراعوا مصالحهم في الازمات ؟

(٢١) ـ يظهر من فحوى هذا الكلام ان السيد محمد الامين كان مع الدولة وضد البكوات ، او انه كان مع الاهالي المتذمرين من تحكم البكـوات بمقدرات البلاد ومن حكمهم الكيفي ؟؟

(٢٢) ـ لا ندري من هم هؤلاء الافراد الذين كان لهم رواتب ومعاشات مـن البكوات ، وهل كانوا من علماء الدين ام من الشعراء أم من المطبلين والمزمرين ؟؟ أم أن هذا التعميم من المؤلف لا يقصد به سوى الابهام والتعتيم وان المعني بنظره واحد لم يستطع ان يبوح باسمه حتى بعد انطواء عهد البكوات ٠

(٢٣) – لعل هذا التطور السياسي في تبديل رجال الـدولة هو الذي حسن للمؤلف وللبكوات ان يعملوا مضبطة ضد ما جرى في عهد خورشيد باشا ، ولو ان خورشيد باشا بقي واليا في ايالة صيدا ... أتظن ان احدا منهم كان يفكر في تغيير افادته أو يقترح توقيع مضابط مغايرة لما جرى في عهد خورشيد باشا ؟؟

حادثة عينبل بعد أخذ البكوات الى الشام

.. وبعدها البيكوات توجها بمعية الوالي محمد رشدي الى الشام ، وبغضون ذلك حدثت قضية عينبل فحضر الوالي بذاته الى بنت جبيل فحرق منها جانب حيث اتهمت اهليها بالتعدي على اهالي عينبل وهذا افتراء وتزوير وكانت حادثة عظيمة اخذ تتكر وصدر امر الوالي باخذ السـيد والحاج محمد بزي والحاج حسين فرحات والمقدس الشيخ حسن سبيتي جرته القافية اخذوهم تحت الحفظ مصحوبين بعسكر شاهاني حتى اوصلوهم الى قشلة العسكرية في بيروت وكان صدر امـر الوالي بهم وبالنائب وبالتوفيق الالهي كان وقتئذ النائب الى هونين وتبنين الشيخ علي شرارة عوضا عن هذا العاجز ، لانه كان ساحل معركة التحق بصور وصدر امر الوالي بالنائب واخذ الشيخ علي فداء حيث في جميع هذه الحوادث لم يكـن لي مطالعة ولا اشتراك رأي ، واخذت ظلما وعدوانا وانا بريء من كل تهمة ، فكان من عدل الله ان سلمني من سائر العوارض والاضرار .

من حوادث قضاء صور في زمن المملوك

وتحولت قضايانا لصور وعندها حضر حافظ وكيل متصرف صيدا كـان بوقتها اسم المتصرف قائمقام (٢٤) وكانت بصيدا ، وتوجـه القائم مقام الـى الاستانة فخلفه وكيلا عنه فصدرت ترتيبات جديدة ، وهي قيام مختارين واعضاء مجالس ، فاول حضوره لصور نزل في بيت يوسف آغا بـن حسين آغا مملوك ، وهذا من مماليك عبدالله باشا واحمد باشا الجزار الشهير صاحب الظلم الـذي اوقع النكبة بعاملة اربعة وعشرين سنة والتابع على دين المتبوع ولم يكن وقتئـذ معرفة بيوسف آغا بشيء بل انه اوشى الى حافظ علي بوشي كـاذب ، فيه بعض مزارع متأخرة ايراداتها عن وفاء مرتباتها ، قال له هذه بذمة نائب (×) فطلبني وسألني عن ذلك فصلت له (الامر) قال حيثما الان ما صدر امر بنيابة تبنين على

احد باقية عليكم ومرادنا نعمل تشكيلات جديدة بنصب مختارين واعضاء ومقتضي نكون عن يدكم فهناك نكشف على دفاتر القضايا ليتضح ما تقرر عن الاموال المتأخرة ، قلت له ولا بأس فتوجهنا سوية وهناك (عرف) وشي المملوك انه زور وبهتان بغير محله ؟؟ واجرينا التشكيلات وصار ممنونا من الفقير ورجعت الى محلي كاسبا النصرة ٠

وهذه كانت اول معرفتي بالمملوك عمله بالدسائس والضغاين فبعد برهة وجيزة حضر متصرفا الى بيروت سعاد تلو كامل باشا وحصلت تشكيات على يوسف آغا وتغير خاطر الباشا وعظمت التشكيات وتكاثرت وكانت من مسيحيي صور ومقدامهم الخواجا اسكندر ايوب اذ كان مدير مال القضا وله عبودية تامة على طرف الباشا المومى اليه فاستحضر الباشا قائمقاما مستعدا الحاج محمد كوفي من رجال قبرص من دواهي الرجال عارفا بالسياسة والاحوال وجميع الفنون متدينا عاقلا مستويا شيخا هذبته التجارب فحضر وباشر الامور وضيق على المملوك والزمه عدم الخروج من بيته ، وكان المملوك اعتذر الى الفقير وتغيرت حالته معي الى الصداقة والوداد وكنت عرفت على التأهيل من اجل بيوتات صور من بيت الشرف والسيادة بنت المرحوم السيد علي طاهر الحسيني فباشر المملوك وسعى وبذل جميع همته لتتمكن الصداقة والخلة فتأهلت وفتحت بيتا في صور واقمت بها وحصل بيني وبين كوفي افندي مودة تامة وصداقة ثابتة ولما علم مني ما علم استحسن ان يجعلني عضوا في مجلس الدعاوى لوقاية الحقوق وعدم ثورة الفساد والتعديات فالزمني ولم اقدر على الخروج من ارادته وارادة وجوه طائفة الاسلام وقد وجد كثيرا يوسف آغا لبعض مقاصد املا بان يمتزج مع القائمقام المذكور وان لم يقدر على مواجهة كوفي افندي وليس كلامه عنده مقبولا ، لكنه من دهاء المملوك استعمل الدسائس مع رجل اسمه حسن افندي قبرصلي كان مديرا لرأس العين ارسله كامل باشا وله صداقة اكيدة مع كوفي افندي وهما من بلدة واحدة ، فاخذ المملوك يبذل الدراهم الى حسن افندي ليستجلب رضا القائمقام وتوافقت الاسباب وصار تعيين المجلس وتساعدوا على رضا القائمقام وتوفيقات المملوك انه كان فيه مخازن ملح مضبوطة من جهة الميري مهربة عن الجمرك واحتال القائمقام وعجز تدبيره عن تخصيص هذه القضية فاشير عليه بتقريب المملوك لان دسائسه واحتيالاته لا يقدر على مثلها ٠٠ فاستجلبه وطلب منه اظهار المهربين فحالا اظهر له ذلك ، وكما قيل في المثل السائر (الذبابة تعرف بيت اللبان) فحسن اعتقاد (القائمقام) به ورضي عنه وكتب الى كامل باشا يستجلب له رضاه فما قدر كوفي افندي بل ان كامل باشا سكت عنه وصار كوفي افندي والى المملوك لا يصبر عنه وسلمه زمام الحكومة لكنه عاقل جدا بالليل يحضر يوسف آغا الى عنده ويبقى هو واياه الى آخر الليل وكلما يركزوه في الليل يصرفوه بالنهار ، وصارت تجبي الاموال الى المملوك والعرب بعد ان كان

القائمقام يبطش فيهم ويربيهم واذ صاروا اهل الرأي والاعتبار والحل والعقد (٢٥) وبعد ان كانوا حراميه تغير حالتهم واغتدوا اجلاء تقضى بهم الحوائج عند القائمقام ، كله بوسيلة المملوك واستقام قائمقاما لصور تقريبا من سنتين وضبطها ضبطا تاما احسن ادارتها ٠

تطور الاوضاع بعد تغيير الحكام ونفي المملوك

ولما صار انفصال كوفي افندي عن قائمقامية صور ، ثارت الضغائن التي اوجدها المملوك بصدور العموم وكبرت الفتنة وتشكت الناس على المملوك وصدر امر الوالي باخراجه من صور وقطع علائقه بموجب بلوردي اثبتناها في باب الخطب ، وعزل المجلس واسكندر ايوب ودوائر الحكومة جميعا لاسباب يطول شرحها ليس هنا موضعها ولا حاجة لنا باثباتها ؟ انما لما رأى يوسف آغا صداقتي معه ثابتة ، اعتضد بازاحة اسكندر الايوب عن منصبه لانه خرج عن طوره وتعدى على جماعة خصوصا هذا العاجز ، فانه اوشى الى الحكومة بان قرية طير دبا عليها بقايا قديمة نحو ماية وسبعون الف قرش (×) (٢٦) باقية من مدة المرحوم علي بيك الاسعد وانقضت مدته وبقيت البقايا ولها اراضي زائدة عن ادارة اهالي القرية فالحكومة تصدت لمبيع اراضي القرية بالسهل فباعتها الحكومة بغير طريقة عديلة واحترمنا منافعها بواسطة الحاقنا لصور ٠

هذا اول الضرر وعدى عن مبيع الارض حضر مأمور خاص لتحصيل البقايا فدفعنا خمسين ليرا فرنساوية للمأمور لاجلما يسلك الجادة المستقيمة، وبمدة غياب يوسف آغا المملوك بالنفي استراحت الحكومة والاهالي ودار دولاب الاشغال والمهام سرحت وتوفرت (قلت) المظالم ٠

الاحوال بعد عودة يوسف المملوك من المنفى

٠٠ وانا كنت بصور اطلع على الاحوال وادور على محور السياسة كيفما دارت الى ان فهمت من الاخيار ان الشيخ سليم افندي العطار تعاطى امر اطلاق المملوك واستحصال على امر من دولة (الوالي) الجديد لان الوالي الذي انتقم منه ونفاه كان عزل وهو محمد رشيد باشا فحضر عوضه محمد مخلص باشا وعلمت يقينا ان اطلاقه صار قريبا فتوجهتلجهات عكا الى الزيبلمحل اقامة يوسف آغا وبالتحقيق لي مصلحة خاصة انه كان انسرق من عندي اربعة روس بقر عمال وبالفحص علمت ان السارقين من نواحي طرشيحا ، فالامر الباطني توجهي لهذا والظاهري لاجل زيارة الآغا فتوجهت ولما وصلت الى الزيب وجدته قاعدا وحده في محل على كنار البحر وكان وصولي العشاء وضوء قمر والوقت لطف فمن

الشباك قلت له السلام عليكم ، فقام يرقص ويركض ويزفق فرحا مسرورا وبعد ان جلسنا واستقربنا المجلس اخذنا بالحديث عما هو فيه قال لا بد ان تعزيني وان تمنحني رضاك وخالص ودادك اجبته لا بأس فقط مشغول ان لي بطرشيحا اربعة روس بقر قال تحت يدي خذهم مني وله بعكا ونواحيها جاه واسع عريض والحكومة فيها معتنية به كثيرا فوق المعتاد فجاريته بعد تعهده واظهرت له القصد زيارتكم فاخذها بصحتها ؟؟ فعملت تلك الليلة تلغرافا الى الصدارة تشكيا من خليل افندي كاتب تحريرات الولاية وله اليد الطولى ومستميل له الوالي وكان اكثر الوشي والاضرار على المملوك من خليل افندي المذكور وفيه عداوة ثابتة ومطاردة متكررة فبالليل تم التلغراف وارسله ليلا الى اخيه مصطفى آغا بصور فختمه وصادف وجود ابن اخي مصطفى مغنية هناك فختم على التلغراف وجماعة من علماء واعيان فبوصوله لمقام الصدارة صادف القبول وصدر امر قطعي بعزل خليل افندي من دائرة الولاية فعزل وطلب المرافعة مع الذين ختموا على التلغراف واصابهم الوهم فخافوا كثيرا ولم يكن مضنة خوف فرجع يوسف آغا الى صور بعد ان كان توجه الى بيروت ومنها الى الولاية ، واقتدر على استخراج اوامر ببراءة ذمته فعاد واستعمل الاحتيال والاغتيال اكثر من الاول ، وابتدأ اول شيء جال في البلاد لزيارة العلماء والاعيان لكي يؤخذ رأي الجمهور ويستميل الجميع اليه وكان كما فعل ، فبعد ان استراح مد يده شيئا فشيئا حتى مد يده على اموال وتمكن امره في المتصرفية والولاية واخذ رجالهما اليه ، وكانت الشكايات بحقه بعد اذن هي تزكية كلما استزادت عند الولادة اذ كان تجعلها له بياض وجه تعمدا وتقصدا ونكاية للمشتكين عليه ، فطال واستطال وشخر ونخر واخذ يلتزم الاعشار ويؤخذ جميع الحاصلات بالبطش والفتك والقوة والاقتدار والسب والضرب وما بالى باحد سوى الامدادات الى اركان الحكومة وهي تصد وترد عنه وسلمته الرعية تسليم الشياه الى الذئب وهو كلما اراد اكل منها شاة حتى كاد ان يقطع القطيع ٠

تجدد الخصام مع المملوك وتجدد المصالحة معه ؟

٠٠ وجاء من اهل الفضل ممن يلزمني اجابتهم واخرجوني عن ارادتي وقالوا لا بد من ان تظهر نفسك ضد هذا الطاغية فانجبرت على ذلك وتظاهرت له وتظاهر لاضراري وتمسك بمادة البقايا ووجد مساعدين من اركان الحكومة ان كان بالولاية او المتصرفية ، فنزلت لبيروت فتبعني واخذ معه سليم افندي رمضان من بيروت فتساعد على اضراري والله منع ، سوى اني تكبدت مصارفات تزيد عن المائة ليرا ولكن المملوك ما كفاه بتلك السفرة وسداد الثغور التي فتحت عليه نحو الف ليرا ٠

فرجعت وتصافحت معه وعاتبني فاعتذرت وسلكت القضية ، لكن اخبرك عن ابناء طائفتي واعيانهم وذواتهم وحالاتهم رجعت الى سكني ، هل احد منهم زارني او سلم ورضيت ان يكونوا كفافا لا عليها ولانها (بل) كانت الاعتراضات مشحونة باختامهم محتوية على (٠٠٠) وبيان طرقات لاضرار هذا الفقير ، ومن المولى بالنصر وما مسني شيء ٠

ثم تجدد الخصام حتى النهاية

واستمر الحال بيني وبين المملوك بالصداقة والمحبة وتزايد هو في عتوه وجبره وظلم فصرخت الحقوق الى باريها وتشكت لمقام الصدارة العظمى فحضر امر قطعي بقيام المملوك من صور ؟

وفي اثناء هذه الحوادث عاد المؤلف لمخاصمة المملوك ثم الى مصالحته بواسطة قاضي صور الجديد الشيخ شاكر افندي حمزه ثم عزل القائمقام الموالي لآل المملوك وجاء مكانه مصطفى افندي قنواتي ، فمنع المظالم جميعها وقطع الشقاوة وتتبع الاشقياء فثارت نفوس المملوك واكثر الشكايات منه وما وافقه احد سوى حاشيته وقدموا افتراء لمقام الصدارة ولبقية الوكلاء تشكيات على القائمقام فصدرت ارادة سنية الى دولة الوالي حمدي باشا فاحضر القائمقام لبيروت ونصب قومسيون (محاميا) لتلك الدعاوى فغب التحقيق تظاهر الافتراء والتزوير فحصل عليهم الحكم والجزاء وحبسوا جميعا وكلهم من طائفة الشيعة سوى كاتبين من المسيحيين ، ودولة الوالي طلب يوسف آغا المملوك لبيروت فاعتذر انه مريض وجرجر ، جرجرة البعير الادبر ، فارسل الوالي يوزباشي اخذه ووضعه في السجن وما اخرجه حتى ناعت روحه قبل موته بيومين وتوفي وقدم على ما قدم (٢٧) ٠

● الهوامش والتعليقات

(١) ـ لاحظ قول المؤلف هنا (كان بوقتها اسم المتصرف قائمقام) لتعرف سبب اطلاقه اسم متصرف على خليل بك الاسعد في قضاء نابلس مع ان نابلس في العهد العثماني كله كانت تابعة لمتصرفية القدس ولم تعلو رتبة حاكمها عن رتبة قائم مقام ٠

(٢٥) ـ لعل المؤلف يقصد بقوله (العرب) هنا ، العرب البدو ، او اللصوص منهم ٠

(٢) ـ يلاحظ ان المائة وسبعين الف غرش كان في ذلك الوقت تعادل في قيمتها

الشرائية ثمن قريتين او ثلاث مثل قرية طير دبا ، لذلك نستبعد ان تكون هذه القيمة من بقايا الاموال الاميرية على قرية طير دبا وحدها بل لا بد ان تكون هذه القيمة من بقايا الاموال التي ظلت عليها وعلى امثالها مـــن القرى والمزارع التي كان البكوات ووكلاؤهم يسيطرون على مقدراتها ويجبون اموالها ٠

(٣) ـ لاحظ تفاصيل هذا الحادث ص ١٠٩ ـ ١٢١ من مخطوطة (جواهـر الحكم) ثم لاحظ ان المؤلف لم يعين اوقات الحوادث او يحددها حتى انه اهمـل ذكر الشهر والسنة التي توفي بها وجيه مدينة صور في عصـره وزعيمها يوسف آغا المملوك ، وكذلك نراه لا يعلل الحوادث التي يرويها ولا يشرح ملابساتها بـل يلوذ بجنح للاقتضاب حيث يقتضي المقام الاســهاب والتفصيل وللاسهاب حيث يقتضي الاجمال ، ثم لا يصرح باسماء المعارضين له وللزعماء الذين يواليهـم الا ما ندر من الاشارة الخاطفة للسيد محمد امين قشاقش ، ولاعضاء مجلس ادارة تبنين في عهد علي بك الاسعد ٠

ومع ذلك ، فلو ان كل وجيه وكل اديب اقتدى به في تسجيل ما لا بسه فـي حياته من مشاكل سياسية وصادفه من ازمات نفسية او اجتماعية لكان به لنا من ذلك ثروة تاريخية وموارد خصبة تمدنا باطراف المعلومات وادقها في تفسير مـا غمض من القصص والاســاطير التي شوهت تاريخنـــا وعرضتــه للضــياع والاهمال ٠

نصوص وملاحظات تاريخية

بقلم : الشيخ فهد يحيى الصعبي

لقد اطلعت اخيرا على تاريخ جبل عامل تاليف المرحوم محمد جابر فوجدت فيه مغايرة للحقائق في بعض الامور واجحافا بحقيقة وقائـع وغمطا لحق بعض البيوت والاسر (منها اسرتا آل الفضل الصعبي وآل الحر) وبالاخص فيما يتعلق بحوادث سنة الستين المعلومة فلم يذكر لها كتاب تاريـخ جبل عامــل الا النزر اليسير ولا ادري سبب هذا التنقيص بينما هو زاد لغيرهما الشيء الكثير من لـم يكن له في تلك الحوادث ٠

لذلك ارى من اللازم ان اورد هنا تدليلا على ذلك ما جاء في كتاب المســرات للدكتور شاكر بك الخوري عن حوادث الستين وهو الذي عاناها صبيا ووعاهـــا وعاشها ، وعرف أهوالها وحفظ في قلبــه الفضل لصاحب الفضـــل والمعروف لصاحب المعروف ٠

ابتداء الفتنة فـي اقليم جزين

في اليوم الثلاثين من ايار ١٨٦٠ عندمـــا كانت الناس ملتهيـة بمواسمها الحريرية عند الساعة التاسعة عربيـــة قبل الغروب بثلاث ساعات ســمع اطلاق البنادق من جهة قرية باتر واهلها تتقدم الى جهة بجنين وهي اول قرية من اقليم جزين قريبة من باتر ٠

فعندما ابتدأ اطلاق البارود وتأكد ابتداء الفتنة اركبتنا والدتنا على بغل مع اخوي خليل وامين اللذين هما اصغر مني واما اختي ليا فمشت معنا وارسلتنـا مع رجل منبكاسين اسمه لبوس الراهب الى مزرعة الرهبان التي تبعد عن بكاسين ساعتين وبينما نحن على هذه الحال وكانت الساعة واحدة بعد الغروب والقمـر يضيء كالنهار وفد علينا والدي ويوسف بك مبارك وجم غفير من الرجال والنساء والاولاد واما والدتي وجدتي وباقي الاقارب فلم يحضر منهم احد ولم نعلم مـاذا

حدث لهم فعند ذلك اجتمع والدي مع ابن عمه يوسف بك وتشاوروا على المحل الذي نذهب اليه فاتفقا على التوجه لصيدا كالعادة لان هذه هي الطريق المأمونة ٠

طريــق صيدا

فمررنا على مزرعة اسمها الرمانة وهي مركز مزرعة الرهبان وهي مزرعة شمسية ومنها رأينا دخان الحريق في القرى التي دخلها اهل الشوف وكنا نسمع صوت البارود الغير المنقطع وصراخ البشر واصوات الحيوانات كأنه يوم القيامة والذي رحم اهل الاقليم في هذا اليوم هو دخول الليل بحيث لـم يمكن للاخصام ان يتبعوهم » خوفا ان يكمنوا لهم في محلات يجهلونها ٠

فلو كان معهم يشوع بن نون واوقف الشمس ساعتين لهلكت كل اهالي الاقليم ولكن لوجود الليل انتشر الهاربون في كل مكان واختبأ اهل بكاسين خصوصا في حرشهم الذي يمتد ساعة من الزمان طولا وعرضا وفيه محلات تخفي الوف مـن الهاربين والبعض التجأ الى بيوت شركاء سعيد بك جنبلاط مختفين فيها فاهـل الشوف احترمت هذه المحلات واصحابها لانها تخص البيك الموما اليه ٠ ثم مررنا على قرية سنيا معناها العليقة ثم على كفر جرا معناها حقل السهام وعند الصبح في قرية المعمرية ٠

المعمريــة

فعندما وصلنا الى المعمرية وقفنا ونزل المطران بطرس البستاني هناك وابتدأوا يتشاورون الى أي جهة يذهبون وبينما هم كذلك اذ وفد على المطران بطرس قواس من قبل قنصل فرنسا في صيدا مـع اثنين مـــن قبل عمر افندي يدعون المطران للتوجه مع جماعته الى صيدا وانهم يحمونه من كل طارق وكاد المطران عند ذلك ان يذهب معهم فاعترضه بعضهم وقال له ربما كان ذلك فخ لـك ولو افترضنا ان هؤلاء صادقون فلا يمكنهم الدفاع عنك وقت اللزوم وخصوصا ان شخصك هـو المطلوب ٠

فلذلك تصور المطران ان ارسال القواس والرجلين مـــا هو الا فخ لشخصه فامتنع عن النزول الى صيدا ولكنه ارسل مع هؤلاء نائبه الخوري يعقوب واخـاه الخوري سليمان مع جملة من الرهبان والراهبات وجمهور كبير من الرجال ايضا الذين توجهوا آمنين بحماية القواس والنفرين ٠

ولما توجه نائب المطران الخوري يعقوب مـع اخيه وباقي الجمهور ووصلوا الى قرب المدينة وأرادوا ان يستريحوا هناك فكان الامـر ان الاخصام هجموا على هؤلاء المساكين وقطعوهم اربا اربا رجالا ونساء واولادا ورهبانا وكـــان اولهم

الخوري يعقوب واخيه ظنا منهم انه هو المطران بطرس وكانت ساعـــة هائلـــة بالصراخ والاستغاثة بدون سميع او مجيب ٠

وقد اخبرني عن هذه الحادثة رجل من بكاسين كان معهم وهرب بعدما جـرح في رأسه ومن ذلك الوقت ابتدأوا يصطادون افرادا من الهاربين ويقتلونهم ٠

واما المطران بطرس فانه توجه مع يوسف فرنسيس الى محل محمد بك علي الشبيب الصعبي المتوالي في المروانية الذي اكرمهم وجهز لهم اتباعا يرافقونهم ويوصلونهم الى صور ومنها نزلوا بحرا الى بيروت ٠

واما نحن فاخذنا والدنا مع باقي اقاربنا وجملة من الناس ايضا الى قريـة دير الزهراني في بلاد الشقيف التي كان حاكمها يومئذ الشيخ يوسف نصر الله الصعبي المتوالي ٠

وقد وصلنا عند غياب الشمس الى دير الزهراني فبتنا هناك تلك الليلة وفي اليوم الثاني حضر طلب لوالدي من حسين بك الامين الصعبي مدير النبطية التحتا لانه كان له به معرفة فتوجهنا مـــع هذا الجمع فانزلنا حسـين بك في دار بحارة النصارى تخص رفول نمور من صيدا التي كانت خالية وقتئذ وكان يرسل الطعام صباحا ومساء الى جميع من معنا الذين كانوا نحوا من ثلاث ماية تقريبا ٠

سوق النبطية

ان هذا السوق من اعظم المحلات التجارية في بلادنا تجتمع اليه الناس كل نهار اثنين من كل الجهات على مسافة اثني عشر ساعة واكثر تجارته الحبوب والمواشي ويجتمع فيه من الخمسة الى الستة آلاف نسمة من شار وبائع ومـــن العجائب انه ينعقد فيه نحو الخمسين الف عقد بين بيع وشراء وكل ذلك بالقول فقط ويتم بكلمتين بعت واشتريت ويندر جدا الاختلاف بينهم ٠

واغرب من ذلك انهم من كل الاجناس بين نصارى على اختلاف اجناســهم ومتاولة ودروز ويهود واسلام وخلافهم ومع هذا الاجتماع لحد الان ما سمع ان حصل بينهم اختلاف عمومي وكل ذلك يتم بنهار واحد من صباح الاثنين الى عصره بحيث عند مساء الاثنين لا نرى احدا من هذه الجموع العديدة وقد مضى عليـه مئات من السنين ولم يزل كما هو رغما عن تجربة بلدان اخرى لعمل سوق مثلـه ولم تفلح ويوجد سوق مثله في بلاد حاصبيا اســمه ســوق الخان ولكنه ليس باهميته وخلاف هذا السـوق يوجد قلعة عظيمة شـــرقي النبطية تسمى بقلعـة بلاد الشقيف ٠

قلعة ارنون او قلعة الشقيف

هذه القلعة باسم الشقيف هي التي اعطت اسمها الى كل الاقليم وسميتها بقلعة ارنون آتية من اسم قرية بجانبها ومعنى ارنون الجرذون وهي موجودة على ارتفاع عمودي غربي نهر الليطاني بحيث لا يمكن الصعود اليها من تلك الجهة وارتفاعها عن النهر نحو الثلاثماية متر تقريبا كحائط واحد وقد تنظر من مسافات بعيدة وهي مبنية بحجارة ضخمة جدا وفيها منازل للسكن وآبار للمياه وتعلو عن النبطية قدر مائتين متر ولا يمكن الوصول اليها الا من الجهة الغربية بصعود عظيم عسر المسلك · وقد بنى هذه القلعة الصليبيون وفيها بناء فينيقي قديم وفيها توفي الشيخ جنبلاط جد العائلة الجنبلاطية في لبنان الذي ارسله الامير فخر الدين المعني الثاني للمحافظة عليها مع اربعين من الفرسان وقد استولى عليها شيخ الجبل رئيس الاسماعيلية مدة من الزمن ·

واما النبطية فكان يسكنها في ذلك الوقت المشايخ الصعبيين خلاف حسين بك الامين الصعبي الحاكم اخوه سعد الدين الصعبي وابن عمه الشيخ فضل الحسن الصعبي الشهير وولده حسن الذي اولاده الان نعيم بك ومحمود بك وفضل بك ·

وبقينا في النبطية مدة خمسة عشر يوما مع الجمع الغفير الذي كان منه قسم عظيم ينام في الحقل وتحت الاشجار وكان يقدم له الاكل من حسين بك الامين الصعبي وفي اثناء ذلك ورد لنا خبر عن والدتي واخوتي وخالتي زوجة غالب البعقليني الطبيب واولاد عمي منصور مبارك الخوري وفرنسيس الخوري انهم في جباع الحلاوى مع جملة من النصارى في بيت الشيخ علي الحر وهو رجل عظيم من اكابر قومه عمل معروفا مع النصارى لا يقدر وكذلك الشيخ عبدالله نعمة الذي عمل نفس المعروف ·

فعند ذلك ارسل والدي خيالة من قبل حسين بك الامين الصعبي الى جباع لتحضر والدتي مع اقاربنا الذين كانوا هناك ·

قصة منصور مبارك

قد اخبرتني والدتي انها بينما كانت في جباع وهي مشتتة الافكار لا تدري ما جرى لزوجها واخوتها واولادها هل هم من الاحياء ام من الاموات واين هم اذا كانوا من الاحياء ومن قتل منهم ومن بقي حيا تقضي يومها بالنحيب والبكاء محجوبة مع والدتها واختها في الحرم واذا بسيد من اهل جباع اسمه ابراهيم يطلب مقابلتها فاسرعت حالا بالمجيء اليه فرأته سيدا مهابا متأدبا محتشما فاخبرها انه بينما كان في مزرعة الرهبان في جبل طورا وجد خمسة رجال من بكاسين مختفين هناك يأكلون القمح الفريك فسأل عنهم فقيل له هؤلاء منصور

مبارك الخوري ورفاقه فتقدم اليهم وسأل عن حالهم فاخبروه من هم فسأل منصور من عندكم من اهالي الاقليم في جباع فاخبره عن وجود والدتي فحينئذ قال له منصور ارجوك ان تخبر امرأة عمي اننا لم نزل احياء موجودين في ضيقة عظيمة في هذا المحل وكدنا ان نهلك جوعا فارجوها ان تعمل لنا طريقة مع الشيخ علي الحر ليوصلنا الى جباع ·

فعند ذلك حضرت والدتي الى الشيخ واخبرته بذلك فطلب حالا السيد ابراهيم وامره ان يرجع حالا مع خمسة رجال ويصحبون منصور ورفاقه معهم وان اذا نزلت نقطة دم منهم تكون بحياته فتوجه حالا السيد ابراهيم مع خمسة من اعوان الشيخ وفتشوا على منصور ورفاقه ·

ذهابنا من النبطية الى صيدا

فكان مدة وجودنا في النبطية تأتي اليها اهل الشوف من المشايخ ومن جملتهم الشيخ حسين عساف من نيحا الذي كان صديقا لوالدي واخبره ان يخرج من النبطية لان اهل الشوف مستعدون لمطاردة اهل الاقليم فيها كما جرى في جباع ·

فعند ذلك اخبر والدي حسين بك الامين الصعبي وترجاه ان يعطيه رجالا من المتاولة ليوصلوا اهل الاقليم الى صيدا فارسل حسين بك معنا خمسة عشر خيالا تحت قيادة ابن عمه حسن بك الفضل الصعبي فركبنا من النبطية عند غروب الشمس نمشي ليلا وقد اركبوني مهرة بدون رسن غير مركوبة قبلا واخوتي على بغل وكذلك والدتي وجدي وكان الليل مظلما لا اعرف كيف امشي مع مهرتي فكانت تأتي حيثما تريد لا كما اريد فكانت تارة تمشي على الطريق وتارة على الجلالي وكنت منشرحا من ذلك وغير مفتكر في الاخطار التي سنلاقيها كأني ذاهب الى عرس وكل ذلك من فضائل الحداثة التي لا تشعر بخوف ولا تعب وقد استرحنا قليلا قبل الضوء في قرية اسمها البابلية التي بعدها استلمنا السهل فمشت المتاولة امامنا وكنا جمهورا من الكهنة والشيوخ والنساء والاولاد والرجال المسلحة وبينما نحن بسهل الغازية نظرنا خيالا آتيا من جهة صيدا فعند رؤيته خفقت قلوب الجميع ظنا منهم انه جاسوس من قبل الذين كانوا مجتمعين في قرية الغازية وبالحقيقة كان ذلك وعندما رآه المتاولة اصطفوا امامنا وفي وسطهم حسن بك الفضل الصعبي فتقدم ذلك الخيال وسلم على البيك وقال له ابشرك ان زحلة اخذت فأجابه البيك انه يعطي النصر لمن يشاء فتوجه الخيال الى الغازية ·

واما الذين كانوا مشهورين والحكام في حادثة الستين هم حسين بك الامين الصعبي في النبطية وتامر بك الحسين والشيخ فضل الصعبي والشيخ يوسف نصر الله الصعبي في دير الزهراني وبيت الحر في جباع ومحمد علي بك الشبيب

الصعبي في المروانية وذكرنا بالخصوص هؤلاء لانهم حافظوا على اهل الاقليم الذين اجتمعوا عندهم وعاملوهم بالخير والاحسان ٠

فاخيرا اجتمعت مشايخ المتاولة مع بعض للمخابرة بامر معاملتهم لاهل الاقليم فاجابهم الشيخ فضل الصعبي الذي كان اكبر سنا مهابا مطاعا ان الرأي عندي ان نتركهم مدة ثلاثة اشهر فاذا نفذت مساعدة اليهم قبل هذا الوقت فنكون صنعنا جميلا معهم ونكافأ عليه واذا لم يساعدهم احد فهم في قبضة يدنا نفعل ما نريد بهم ٠

وهكذا كان فان مشايخ المتاولة عملت كل معروف واذا كان بعض جهالهم تعدى بسلب او خلاقه فكانت تقاصه المشايخ وترجع المسلوب وكانوا يصرفون من اموالهم الخاصة عليهم فلذلك يلزم ان تكون النصارى مديونة بالمعروف والجميل لهم ولا ينسوا حسين بك الامين الصعبي والشيخ فضل الصعبي واولاده حسن بك والشيخ علي الحر والشيخ عبد الله نعمة من جباع والشيخ يوسف نصر الله الصعبي من دير الزهراني ومحمد علي بك الشبيب الصعبي من المروانية ولا اولادهم الى من يأتي من نسلهم فيما بعد ٠

ومن نسل محمد علي بك الشبيب ابن ابن اخيه حسين بك الدرويش الصعبي من الرجال اصحاب الاداب والمروءة وكرم الاخلاق ٠

واما اسرة المشايخ بيت علي الصغير الذي منهم علي بك الاسعد الذي توفي سنة ١٢٨٢هـ كانوا يساعدون اهل حاصبيا كما سنذكر وله ثلاثة اولاد نجيب بك الذي توفي وله ولد اسعد بك وبقي شبيب باشا نزيل الاستانة وناصيف بك الرجل المشهور في المروءة وحفظ الزمام واما ولد محمد بك الاسعد ابن اسعد بك الخليل واخو خليل بك الاسعد الذي هو اول من اتصل الى المتصرفية من الشيعة وكان كريم الاخلاق محمودا وله اربعة اولاد وهم كامل بك الذي عمل اكثر من والده في الجاه ورتب مالية ترتيبا عظيما وله الاسم والشهرة بحيث خلد ذكر هذا البيت والاخرون هم محمود بك وعبد اللطيف بك وزين العابدين بك وهم من الاماجد الكرام ومشايخ المتاولة الان هم ثلاثة اسر مشايخ بيت علي الصغير والمشايخ الصعبية ومشايخ المناكرة ولهم شكرنا اجمعين ٠

بيروت — فهد يحيى الصعبي

ملاحظة عابرة

لا شك بان الشيخ فهد يحيى الصعبي كان محقا فيما اخذه على مؤلف (تاريخ جبل عامل) وكان صادقا امينا فيما نقله من نصوص تاريخية عن كتاب جامع المسرات للدكتور شاكر الخوري ٠

بيد ان ملاحظاته كانت مبتورة او متحيزة ذلك بان الاستاذ جابر كما تجاهل ما رواه الدكتور شاكر من حسنات الصعبية ومآثرهم سنة ١٨٦٠م فانه قد بالغ في تقدير مكانتهم ومكانة زعيمهم الشيخ علي الفارس السياسية والاجتماعية الى حد تجاهل فيه منطق التاريخ وذلك حين قال عن حوادث سنة ١٢٢١هـ « واستدعى الوالي سليمان باشا الى عكا الشيخ علي الفارس عميد آل صعب فاقامه حاكما على تبنين (١) ٠

او حين روى هذا القول الصريح دون ان يذكر المصدر الذي اعتمد عليه ، ودون ان يعطي رأيه فيما نص عليه الركيني – وهو من المعاصرين للحوادث – بقوله « وفيها سنة ١١٨٩هـ في ٢٥ من شهر رجب توفي الشيخ علي فارس بن احمد فارس الى رحمة الله ٠ وانه توفي في قلعة تبنين لانه كان في مواجهة محمد باشا العظم في بلاد صفد باشة الشام المحروسة وباشة صيدا المحروسة لانها كانت خطرة معكوسة ومنحوسة (٢) ٠

ثم دون ان يتعرض لما فعله وبسطه مؤلف تاريخ ولاية سليمان باشا عن حوادث سنة ١٢٢١هـ في كتابه هذا الذي ينص فيه على ان سليمان باشا ، قد استدعى الشيخ فارس الناصيف الى عكا في سنة ١٢٢١ وعينه حاكما على جميع مشايخ المتاولة (٣) ٠

الحوادث في ايام خليل بك

كانت السياسة في ايام خليل بك الاسعد سياسة موظفين يترقبون ما يصدر

١ – لاحظ ص ١٤٠ من تاريخ جبل عامل ٠
٢ – لاحظ يوميات الركيني ص ٢٥٥ – ٢٥٦ من العرفان م (٢٨) ٠
٣ – لاحظ ص ٣٤ – ٥٢ من تاريخ ولاية سليمان باشا ٠

اليهم من اوامر وارادات سنية ليعملوا بمقتضاها ايجابا او سلبا ذلـك بانه لـم تبق لهم الصلاحيات المطلقة في حكم مناطقهم كما كانـوا في ايـام المشيخات الاقطاعية ومع هذا فقد بقي نفوذ خليل بك وامثاله من ابناء الاقطاعيين الكبـار مسيطرا على نفوس ابناء مناطقهم وقراهم بحكم الوراثة ، وراثة الجاه والتقاليد والارزاق الواسعة ، وبحكم حاجة الناس الى من يحميهم من بعضهم او الى مـن يقويهم على بعضهم في بعض الحالات اما لتحكم الجهل والعصبيـة والرشوة او لضعف الادارة وقلة الامن ٠

على انه لم يحدث في هذه الفترة التي عاشها خليل بك حوادث تلفت النظر ، سوى حوادث غاية ، حادث تزوير العرضحال المزعوم ، وحادث اختلاف الدروز في قرية المطلة ، وحادث المضبطة التي اعتقل موقعها ، ثم حادث بلدة الخيام بين المتاولة والدروز ٠

قصة العرضحال المزور

يقول الشيخ محمد مغنية في كتابه (جواهر الحكم) ودور المتكلم انه فـي سنة ١٢٩٤هـ حينما كان خليل بك الاسعد قائم مقاما في مرجعيون جاءه طلب الى بيروت من متصرفها رائف باشا ولـم يعلم السبب فلما وصل بيروت قـال له المتصرف انت مطلوب الى الولاية فلما دخل على الوالي ضياء باشا في دمشق قال له من انت ولم يكن يعرفه قبل لان الوالي حضر جديدا لهذه القضية ٠ فاجابـه بالتركية قائم مقام مرجعيون ، فامره بالجلوس واخرج له عرضحال وناوله اياه فقراه ، ومضمونه انه موجود قائمقام من العشائر يدعى بامير الجبل عازم على العصيان والخروج عن طاعة الدولة العلية وقد استعد على خمس وعشرين الف بارودة واذا ما صار قتل هذا الامير او نفيـه والا فعلى فصـل الربيع مراده الخروج عن الطاعة ، وقال له الوالي استوعبته تماما وكما لا قام نعم ، فاخرج له تحريرا ثانيا مزورا عن لسانـه الى الحـاج حسين فرحـات احد وجوه جبل هونين ، وفيه بعد المقدمة انه بحسب الاجتماعات والعهود قد اخذنا السلاح اللازم، فانتم اهتموا بتعجيل عمارة قلعة هونين وتبنين ومارون وقلعة دوبية وبقية القلـع والاستحكامات الكائنة ضمن البلاد ، ويحثـه على التعجيل لمزاحمـة الوقت ، والتوقيع قائم مقام مرجعيون والختم (خليل الاسعد) وبعد اطلاعـه على هذه الاوراق المزورة من اشقى القوم ، سأله الوالي وشدد عليه في السؤال ، فاجابـه الاجوبةالمسددة التي ليس عليها رد، وبرهن له انه منذ ستمائةسنة عائلة بيت علي الصغير لم تزل في صدق الخدمة للدولة العلية والنصح وما فارقت الطاعـة في وقت من الاوقات ، وكانت عتاة وعصاة سورية تذللها الدولة بعشائر بلاد بشارة، وشرح لهكيفية دخولفؤاد باشا الصدر الاعظم الى سوريةفي حادثة الستينوصدق خدماتبكوات بلاد بشارةللدولة، وادخال فؤاد باشا رئيسهم عليبك الاسعد مجلس

الخاصة وجعله عضوا في مجلس (فـوق العادة) واصدر عن رأيه حتى غدت سورية في ظل لوائه ، فعندها ضاعف الوالي التفاتة الى خليل بك واعتنى بشانه ، وكان الوالي حينما وصل الى ازمير قادما من الاستانة ، جاءه امر تلغرافي بـان يتدارك سورية فعجل وبوصوله الى بيروت ارسل مفتش السر ممن يعتمـد عليهم فانكشف الامر ان القضية مجرد تزوير وافتراء كذب محض ٠

فاثنى على خليل واعجبه ادراكه وتصرفاته واعتنى بشانه زيادة عن باقي قائمقامي سورية ، وارادوا اضراره واهلاكه فكانت عناية وعاقبة محمودة وحاق المكر السيء « باهله » (١) ٠

● ما يلاحظه الباحثون

لا ندري ماذا يريد مؤلف (جواهر الحكم) بهذه القصة التي يرويها عـن خليل بك الاسعد ، فهل كان يريد ان يعارض بها الحريري او بديع الزمان فـي مقاماتهما ؟ ام كان يريد ان يكتب قصة خيالية ؟ ام يريد ان يسجل واقعا تاريخيا حدث في زمانه ؟ وعلى كل حال سـواء اراد ان يعارض اصحاب المقامـات او اصحاب القصص الخيالية او ان يكون مؤرخا لحادثة مؤثرة ٠

فان من لوازم هذا كله ان يكون منسجما ـ بما يرويه ويتصوره ويقولـه ـ مع طبيعة الاشياء والظروف النفسية والاجتماعية ومع طبيعة العادات والتقاليد والاوضاع السياسية والاقتصادية ليستسيغ الناس قوله وروايته ويطمأنـوا الى اهدافه وميوله الادبية والسياسية ٠

والا فكيف يستطيع قارىء قصة مؤلف جواهر الحكم عن خليل بك في ايام السلطان عبد الحميد وجواسيسه المنتشرين بكل مكان للبحث والمراقبة ٠

١ ـ ان يصدق بان والي سوريا الذي استدعته الدوة تلغرافيا مـن ازمير ليتدارك سوريا من ثورة خليل بك قبل ان يجمع رجاله واسلحته ويثور ان هـذا الوالي عندما وصل الى الشام لم يبادر الى اعتقال خليل بك والاتيان به محفوظا الى مركز الولاية ، بل استدعاه الى الشام كما لو كان مطلوبا للمشاورة في حـل مشكلة من مشاكل الايالة ؟

ـ او يصدق بان الوالي استدعى خليل بك ولم يستدع الحاج حسين فرحات ويحقق معه قبل ان يستدعي خليل بك لان فرحات كان معتمد الباشا ومكان سـره في ذلك العمل الخطير الذي تضطرب الدولة لمجرد سماعه ٠

---

١ ـ لاحظ ص ٩٢ ـ ٩٣ من اعيان الشيعة ج٣٠ ثم ص ١٦٧ ـ ١٦٩ مـن مخطوطة مغنية وان اختلف النص ٠

ـ او يصدق بان والي الشام قد اقتنع من قائم مقام مرجعيون بمجرد ان قال له انا فلان ومن بيت فلان او بمجرد ان قرأ له تاريخ اسرته وما الى ذلك من اقوال وحكايات ساذجة ليس فيها من المنطق ومن الادلة ما يتصل بالموضوع وما يقنع ببراءة المتهم من التهمة الموجهة اليه ٠

ثم اذا صح ما يرويه المؤلف من (ان الوالي عند وصوله لبيروت ارسل مفتش السر ممن يعتمد عليهم فانكشف الامر ان القضية مجرد تزوير وافتراء كذب محض ، او صح انه قد تثبت للوالي براءة خليل بك والحاج حسين فرحات من التمة الموجهة اليهم ٠

فان برائتهم توجب على الدولة ان تعتقل المزورين لتلك التهم وتحاكمهم وتقتص منهم بما كان يجب ان تقتص ممن نسبت اليهم تلك التهم والمحاولات الخطيرة لو انه صحت النسبة ٠

ولكن الدولة ـ بحسب رواية المؤلف ـ لم تتعرض لاحد من المزورين مع انهم كانوا معروفين لدى خليل بك كما كانوا معروفين لدى الوالي (١) ٠

اجل ان ثبوت براءة المتهمين توجب على الدولة ان تعتقل المزورين ذلك بان العفو عن المتهمين وعن اخصامهم من المزورين شيء لم يكن معقولا في عهد السلطان عبد الحميد الذي كان يعاقب اشد العقاب من ينسب اليهم انهم تلفظوا بكلمة حرية او بكلمة دستور او قومية فكيف يعفو اذن عمن تنسب اليهم محاولة الثورة على الدولة والعمل على هدم كيانها ؟ او ان يعفو عمن يزورون مثل هذه التهم والمضابط الملفقة ؟

حادثة المطلة سنة ١٢٩٤هـ

يقول الاستاذ محمد جابر « وكان الشيخ علي الحجار وجيه قرية المطلة الدرزية التي تبعد ثلاثة اميال جنوبا عن جديدة مرجعيون ٠

وحدث (في ايام علي الحجار هذا) ان ولاية بيروت ارسلت رفعت بك (بابان) وكيلا لقائم مقام مرجعيون وكان شابا غرا ، جارفعت بك الى مرجعيون والوالي يومئذ خالد بك وهو من عشيرة بابان ايضا فاغتر رفعت بك بانتمائه لعشيرة الوالي وامعن في الرشوة وابتزاز الاموال بأي وسيلة كانت ، وحاول ان يبتز مالا من الشيخ علي الحجار فامتنع هذا وغلظ له القول فاحتدم رفعت بك

١ ـ لاحظ ص ٩٥ من اعيان الشيعة ج٣٠ حيث يقول المؤلف مغنية « ولما عاد (خليل بك) الى مركزه وفحص عمن اوجد ذلك العرضحال ظهر له ان استمداد ذلك كان من رئيس صور وجرى في عكا مع احد افراد الشيعة وتوافقا على ذلك وصبغوه وزوروه وارسلوه الى بيروت ومنها الى الصدارة في استانبول فردهم الله بغيضهم ٠

غيضا ورفسه برجله ـ وكان محتذيا جزمة ـ رفسة قوية في صدره ، وكان شيخا طاعنا في السن فمات لساعته ، فارتاع رفعت بك حينئذ فاستدعى بعض انصاره فربطوا القتيل بالحبال ونقلوه في جوف الليل الى حقل قريب مزروع ذره ، وفي اليوم التالي عثر عليه احد الرعاة فانتشر الخبر وهاج الدروز ، واتهموا بقتله بعض اعيان المسيحيين » (١) ٠

وعلى موجب هذه الرواية يقتضي ان يكون حادث القتل قد وقع ليلا وفي بيت رفعت بك او السراي اذ لا يعقل ان يقع القتل نهارا او في قرية المطلة ويستطيع رفعت بك ان ينقل القتيل ويرميه في حقول الذره ثم يبقى خبره مجهولا غامضا يحمل الدروز على اتهام بعض اعيان المسيحين بقتله ؟؟

بيد ان رواية الشيخ محمد مغنية ـ وهو من المعاصرين لهذه الحادثة ـ تختلف بمنطقها ومضمونها عن رواية الاستاذ جابر اذ تنص على « ان بكوات بيت ابي نكد من دروز جبل لبنان كان لهم علاقة بقرية المطلة من قرى مرجعيون واهلها دروز ، فوقع اختلاف بين النكديين وعلي الحجار وجيه القريةالمذكورة وهو درزي ايضا، وعلى عادة الدروز من انهم لا يستندون في اخذ حقوقهم الى غير قوتهم استنجد الحجار دروز حاصبيا فحضرت جماهير الدروز من حاصبيا وراشيا ومجدل شمس خيالة ورجاله بالسلاح الكامل ، فلما قاربوا المطلة ، ارسل النكديون خبرا الى حكومة مرجعيون ومركزها يومئذ في كفركلا ووكيل القائم مقام الشيخ رشيد الفاخوري نائب القضاء في القائمقامية فتوجه الوكيل واخذ هيأة الحكومة ، والضابط مع القوة المسلحة ، فلما وصلوا تعاطوا اسباب منع الفتنة وحجز الفريقين فلم يلتفت الدروز الى ذلك وارادوا الفتك برجال الحكومة لولا ان تدارك الامر احد اعيان الدروز في حاصبيا سليم بك شمس فمنع من ذلك ورجعت هيأة الحكومة بالخجالة وحصل قتل وجرح بين فرقتي الدروز وقتل علي الحجار » (٢) ٠

ثم لاحظ ان رواية مؤلف جواهر الحكم هذه تنص على انه كان يومئذ وكيلا لقائمقامية مرجعيون الشيخ رشيد الفاخوري ، لا رفعت بك بابان كما تنص على ان القتال وقع في قرية المطلة بين الدروز مع بعضهم البعض ، وقتل اثناء ذلك الشيخ علي الحجار ، ولكن الرواية لا تعين كيف قتل ومن الذي قتله ؟

بيد ان محاولة الدروز الفتك برجال الحكومة تشعرنا بانه قد بدر من بعض رجال الحكومة من الاعمال الجارحة ما قد استفز حمية الدروز واخرجهم عن حدود الاحترام لقوانين ولرجال الحكومة ٠

١ ـ لاحظ ص ٢٦٣ من تاريخ جبل عامل ٠
٢ ـ لاحظ ص ٩٤ من اعيان الشيعة ج٣٠ ٠

قصة المضبطة التي اعتقل موقعها

ان الحاج علي الزين ـ هو من اعيان البلاد النابهين وادباءها المثقفين بثقافة عصرهم كان لتأثره بمطالعة الصحف وخصوصا المصريـة المحرمـة من قبل السلطان عبد الحميد كمجلة المنار يومئذ ، ولايمانه بمبادىء جماعة الاصلاح مـن ساسة العرب كان لهذا كله في ثورة على الاوضاع الفاسدة التي كانت تغمر البلاد الشامية وخصوصا في منطقة جبل عامل ·

وانه بباعث من هذه العوامل والافكار صمم على تنظيم مضبطة في التشكي من سوء الاحوال الادارية في ولاية بيروت عامة وفي منطقة جبل عامل خاصة مطالبا باصلاح ما فسد من الاوضاع وبانشـاء المدارس الرسمية وتعبيد الطرق الرئيسية ومراقبة الرشوة وتعميم العدل وما شاكل ذلك من المطالب الاقليميـة الملحة ·

وبعد ان اتم تنظيمها واحكام صيغها البيانية عرضها على خليل بك الاسعد وبقية اعيان البلاد فوافق الجميع على ما تضمنته من مطالب وملاحظات وحبذوا الجميع نصها وصياغتها ، ولكنهـم عنـدما دعـاهم لتوقيعهـا تمنعوا واصطنعوا الاعذار والموانع الخاصة بكل منهم ، فاضطر لان يوقعها باسمه ويرسلها تلغرافيا من حاصبيا الى العاصمة استانبول لان المدن التابعة لولاية بيروت لا تسمح بارسال مثل هذه المضابط والبرقيات منها مراعاة لشعور والي بيروت وارادته السنية، وقد بلغ عدد كلماتها سبع ماية كلمة (١) ·

وبعد ان ارسلت المضبطة الى محلها وعرف والي بيروت بمضمونها امـر باعتقال موقعها ، ولكنه لـم يستسلم للسلطة الا بعد ان ارسـل البرقية التالية للسلطان عبد الحميد بهذا النص الموجـز « عزك بنا وعزنـا بك فـلا تلجئنا الى غيرك » (٢) ·

ثم استسلم للسلطة ولم يكد يصل مخفورا الى بيروت حتى جاءت الاوامر من استانبول بعزل الوالي او بنقله وبالعفو عن صاحب المضبطة ، وشاع الخبر بان

....

١ ـ اما مضمون المضبطة وعرضها على خليل بك وبقية الاعيان وتمنع الجميع عن توقيعها بعد ان حبذوها ، ثم ارسالها تلغرافيا باسمه من حاصبيا وان عدد كلماتها بلغ سـبع ماية كلمة كل ذلك سمعته صغيرا من صاحب المضبطة وهو يروي خبرهـا لبعض زواره في صيدا ·

٢ ـ واما نص البرقية الثانية فقد سمعته حرفيا من استاذي الشيخ محمد علي مقداد فـي النجف والشيخ لا يزال حيا يرزق يستطيع من يحرص على تمحيص الحقائق ان يراجعه ويسأله عما يمكن ان يضيفه على هذه القصة من حواشي موضحة ·

الحاج علي الزين سعى بعزل الوالي (١) وعزله » ·

حادثة الخيام سنة ١٣١٢هـ

يقول الاستاذ محمد جابر (اما اسباب الحادثة فهي ان رجلين من اهـل الخيام ذهبا الى جهة القنيطرة لبيع بطيخ ولمـا رجعا اعترضهما ثلاثة رجـال مسلحين من دروز عين قنية قـرب بانياس وارادوا سلبهما فحدث بين الفريقين عراك اسفر عن قتيل درزي وجريح خيامي ، واتصل خبر الحادث باقارب الجريح الخيامي فجاء من حمله الى بلده وفي طريقهم اعترضهم درزي آخـر فقتلوه ، واستعظم الدروز ان يقتل منهم اثنان في جريح واحد ، فحشدوا رجالهم في قرية المارية شرقي الخيام ونشروا البيارق وشرعوا بالاناشيد الحماسية فاحتشد اهل الخيام ايضا في ساحات بلدهم يهزجون وينشدون وخشي آل عبدالله ان يتفاقم الامر بطيش الشباب ، فكتبوا رسالة للعلامة السيد حسن يوسف يبسطون لـه المسألة ويسألون النجدة واتخاذ التدابير اللازمة لانقاذ بلدهم من الدمار » (٢) ·

فعقد السيد في منزله مجلسـا ضم علية القوم واصحـاب الرأي والتدبيـر فاقروا اصدار منشور عام لابناء الشيعة في جبل عامل يدعوهم فيه للاجتماع في الخيام والدفاع عنها بقوة السلاح · فسار الناس الى الخيام افواجا سراعـا دراكا ، ولم يمض اثنا عشرة ساعة حتى بلغ عددهم خمسة عشر الفا الى عشرين الف مسلح وكنا في جملة من سار الى الخيام وشهد حوادثها عن كثب » (٣)·

● الهوامش والتعليقات

اذا كان ذلك هو السبب في حوادث الخيام فقد كان على عقلاء الخيام وقيادتهم من آل عبدالله يومئذ ان يفكروا ويقدروا بان مـن طبيعة المفجوعين بقتلاهم ان

....

١ ـ اما كيف ولماذا كان عزل الوالي وكان العفو عـن الحاج علي الزين فالاقوال متعددة واشهرها انه لما سئل الوالي رسميا عن مكانة الحاج علي من الشيعة فاجـاب الوالي بانه يمثل عشرات الالاف منهم فكان هذا الجواب سببا لعزل الوالي او نقله والعفـو عن الحاج علي ذلك بان السلطان عبد الحميد كـان يحرص على احتضان مثل هكذا شخصيات عربية مسالمة ويحسب لهم حسابهم وعلى كل حال فان للقارىء حقه بـان يتهمني حين اروي اخبار اسرتي ومناقب سراتها ذلك بان الراوي في مثل هذه الحـال قد تتغلب فيه العاطفة على العقل ويزل قلمه من حيث يدرى ولا يدري ·
ولكن مثلهذه التهم لا تتيح للمؤرخ ان يتجاهل ما قد سمعه ورسخ في ذهنه من اخبـار اله وذويه التاريخية اذا ما اكتنفها الغموض والتعتيم او اضطربت صورها لاضطراب المؤرخين الذين لم يكتبوا التـاريخ في اغلب الاحيان الا طمعا او خوفا او تحزبا لفئة دون فئـة ·

٢ ـ لاحظ صفحة ٢٥٨ من تاريخ جبل عامل ·

٣ ـ لاحظ صفحة ٢٥٧ من تاريخ جبل عامل ·

يتجمهروا في تشييع جنائز قتلاهم او في ذكراهم الاسبوعية وان ينشروا الاعلام ويتحمسوا في اناشيدهم وحداثهم الحزين جريا مع العادات والتقاليد وطبائع البشر في مثل هذه الحالات ثم ان يفكروا ويقدروا بان الحماسة في هذه الحالات شيء وان الهجوم على قرية الخيام شيء آخر · ثم كان على عقلاء الخيام وقادتهم ان يبادروا قبل كل شيء الى مراسلة زعماء الدروز وزعماء حاصبيا من الامراء الشهابيين معزين ومتأسفين لما وقع جهلا وخطأ من ابناء قريتهم طالبين من اولئك الزعماء والقادة ان يساعدوهم على حل المشكلة صلحا ذلك بان اهل الخيام كانوا هم المسؤولون عما اقترفه ابناء قريتهم من القتل والا فلا موجب لان يبادر وجهاء الخيام ، قبل ان يقنطوا من سبل الاصلاح ، الى استنجاد اعيان المتاولة واستثارة حميتهم باخبار مثيرة صورها لهم الخوف والاضطراب بانها واقعة لا محالة كما يبدو من قول المؤلف « وصل الخبر الى النبطية في خريف سنة ١٣١٢هـ ١٨٩٤م ان الطائفة الدرزية في حاصبيا ووادي التيم جمعت جموعها ورفعت بيارقها وعزمت على مهاجمة قرية الخيام لحرق بيوتها والفتك باهلها » (١) ·

ثم ان جماهير الدروز وزعماءهم لا يعقل ان يفكروا بالهجوم على اي بلد من بلاد المتاولة او يصوبوا مثل هذا الهجوم لجماهيرهم حين يجد الجد في حسم الامور · ذلك بان الحادث حادث عادي لا يستوجب الهجوم العام على بلاد المتاولة ·

وبانه كان باستطاعة الدروز ان يثأروا لقتلاهم بطرق شتى غير الهجوم العام على بلاد المتاولة وذلك بان يترقبوا من يمر ببلادهم من ابناء المتاولة ويقتلوهم بدلا عن قتيلهم او بان يتسلل افراد من شجعانهم الى بلاد المتاولة ليلا ويقتلوا من يحاولون قتله عوضا عن قتيلهم ثم ينسحبون في جوف الظلام · ثم ان هجوم الدروز على بلاد المتاولة لا تضمن عواقبه للدروز من جهة المتاولة بل انه على كل حال يكلف الدروز من التضحيات فوق ما يستطيعون تحمله ·

ثم بان الدروس القاسية التي تلقنها الدروز من الدولة العثمانية في حوادث سنة ١٨٦٠م جعلتهم اعيانا وجماهير يحسبون الحساب لعواقب مثل هذه المغامرات ·

على ان قادة الدروز وعقلاءهم مع زعيم حاصبيا الامير سعيد الشهابي كانوا على استعداد لحل المشكلة صلحا كما يبدو من قول المؤلف « وكان الامير سعيد الشهابي كبير الامراء الشهابيين في حاصبيا قد اوفد اميرين من ابناء عمه في رسالة لال عبدالله يعرض فيها توسطه لحسم الخلاف وعقد راية الصلح والوئام » ·
ثم من قوله :

١ ـ لاحظ صفحة ٢٥٦ من تاريخ جبل عامل ·

« وكانت رسائل الشيخ حمد قيس شيخ الطائفة الدرزية تنطوي عى رغبة صادقة لانهاء المشاكل وحقن الدماء وتدل على حنكة وعقل راجح عرف بهما ذلك الشيخ الجليل » (١) ·

ثم ان القتيلين اللذين قتلهما ابناء الخيام لم يكونا من قادة الدروز واعيانهم ليتصلب الدروز في الاخذ بثأرهم وانما كانا من قطاع الطرق مما يسمح لعقلاء الدروز وقادتهم بان يتساهلوا ويتسامحوا بالثار لهما حرصا عى بقاء العلاقات الطيبة مستمرة بين الطائفتين او دفعا للاخطار التي تنجم عن الحرب والهجوم العام على بلاد المتاولة او عى بلدة كبيرة متحسبة للحرب والهجوم كبلدة الخيام ·

١ ـ لاحظ صفحة ٢٥٧ من نفس المصدر ·

الفهرس

● الاهـداء	٥
● تقديم :	
علي الزين مؤرخ الطائفة المعارض ٠٠ مؤرخ الدولة الغريب	٧
● الفصل الأول :	٣٥
ـ لمحة عن حياة الجزار	٣٧
ـ المعارك بين جزين وجباع سنة ١١٩٨ هـ	٥٧
ـ معارك المتاولة مع الجزار كما يرويها مخائيل مشاقة	٦٣
ـ أخبار وملاحظات متفرقة عن عهد الجزار	٦٩
ـ ثورة المماليك أو المؤامرة الكبرى على الجزار	٧٩
ـ وفاة الجزار واستلام سليمان باشا مكانه بطرق مشبوهة	٩٣
● الفصل الثاني :	١٠١
ـ اضطراب الأخبار بعد وفاة الجزار	١٠٣
● الفصل الثالث :	١٤٣
ـ الواقع التاريخي في أيام حمد البيك	١٤٥
ـ حادثة عينبل بعد أخذ البكوات الى الشام	٢١٥
ـ نصوص وملاحظات تاريخيه بقلم : الشيخ فهد يحيى الصعبي	٢٢١



الثمن ١٥ ليرة لبنانية أو ما يعادلها

دار الكلمة للنشر - تلفون ٣٥٤٩٠٢ ص ب ١٣/٥٢٨٨ - بيروت . لبنان